كتاب مرهم العلل المعضله

في دفع الشبه و الرد علـــى المعتزله

بالبراهين و الادلة المعضلة

محتوي … اهل السنة المعصلة

و ذكر مذاهب الفرق الاثنين و السبعيـــن

المخالفين للسنة و المبتدعين

… الامام العالم العارف

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر واعن يا كريم

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلوة والتسليم على رسوله سيدنا محمد النبي الكريم وعلى اله واصحابه اجمعين وبعد فهذا سؤال ارسل به الي بعض فقهاء الزيدية مشتمل على بعض المسائل الخلافية مما يتعلق باصول الدين وشيء من شبه المعتزلة المبتدعين وهذا لفظه ما يرى الشيخ فخر الاسلام وسيط عقد النظام وصدر المجالس ونور المدارس في نفي الثاني عن الله تعالى بظاهر النص في قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ولما يعلم من دين الانبياء صلوات الله عليهم ضرورة هل هو مترتب على معرفة الله تعالى او معرفة الله مترتبة عليه فان قلت نفي الثاني مترتب على معرفة الله تعالى فما الطريق اليها على مذهبك فان قلت الطريق اليها السمع كما تذهبون اليه فهي مشوشة عليك من وجوه احدها ان السمع مفتقر الى معرفة الله تعالى ومعرفة الله تعالى مفتقرة الى السمع وهذا دور محض لانا لا نعرف السمع حتى نعرف الله تعالى ولا نعرف الله تعالى حتى نعرف السمع فلا يحصلان ولا واحد منهما فبايهما نعترف ومن ايهما نعتذر لعمر الله انها مسئلة مجمجمة الذوق محمحمة السوق تعتورها العقول وتتناحر فيها الفحول فاجب بفتق صميمها وقشر اديمها الثاني انما يصح الاستدلال بكلام الله تعالى مهما كان عدل حكيم لا يفعل القبيح ولا يريده (قلت هكذا لفظ السائل بالرفع وصوابه بالنصب عدلا حكيما) فاما مع تجويزكم القبيح عليه وارادته بكل الكائنات من وجوه الفساد من كفر وظلم وسواه فما الثقة بكلامه ومن هاهنا انسد عليكم بالنبوات من حيث جوز شيخكم ابو الحسن الاشعري على الله تعالى اظهار المعجز على الكذابين وما اعتذر به شيخكم ابن الخطيب الرازي من

ان المعجز موضوع للتصديق وتجويزكم القبيح على الله تعالى لا يقدح في صدق الرسول فانما هو خلود في بحور الهوى ومراوغة عن الحق وتخبط في تيه الباطل وضجع شيخكم ابي حامد (هكذا قال وصوابه بالرفع ابو حامد) الغزالي على اصحابنا المعتزلة بكلام لم نفهم معناه من قوله الطبع قابل والعقل باعث والمعجز ممكن والرسول مبلغ ولقد سألنا اعلم اهل زماننا عنه فقال ما فهمنا غرضه في هذا الكلام مع انه الناقل لكلامه ومعترف بفضله في حيازة لقصبات السبق في الاصول الفقهية والمجاري القياسية الوجه الثالث هب انا سلمنا ان الطريق الى معرفته كلامه فالكلام في اصل اللغة ما وضع لافادة معنى وهذا لا يتأتى على مذهب اصحابك لان الكلام عندهم ما قام بذات المتكلم وكانت الحروف حكايات عنه وكلام الله تعالى عندكم ليس بحرف ولا صوت بل صفة واجبة لله تعالى كالقادرية والعالمية وان الذي بيننا ليس بكلام الله على الحقيقة فانظر الى جلافة شيخكم ابي الحسن الاشعري وكيف استهواه الجهل وافرط به العمى حتى انكر ماهو معلوم من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ضرورة وحيث قال الله تبارك وتعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فوصف الله تعالى ان هذه الاحرف كلامه دون ان يكون شيئ آخر كلام له (قلت هكذا لفظ السائل بالرفع وصوابه كلاما بالنصب) ثم قال ولم يحقق ما ذهب اليه من المعنى القائم بالذات فباع اليقين بالشك وقد طوينا الكشح عن كثير من المسائل الدينية خوف التطويل حتى يبين الانصاف او القول بالخلاف فالواجب على من قعد في دست العلماء ولبس شعارهم المجاذبة لاهداب النظر والمقارعة باسلحة الانظار كما ذهب اليه السلف من المشائخ المعتزلة ومشائخكم ومن سائر الفرق فاجب شافيا لا زلت ورد مستورد للاعلام (قلت هكذا لفظه بالرفع وصوابه وردا مستوردا بالنصب) والصلوة على سيد الانام محمد وآله الكرام انتهى السؤال * قال العبد الفقير الى لطف اللطيف الخبير عبد الله بن اسعد اليافعي اليمني الشافعي نزيل حرم الله المشرف المعظم وحرم رسوله المحروس المحترم الجواب وبالله

التوفيق ان هذا السؤال فيه محاولة ايهام ظهور حجج المعتزلة علينا بابداء السائل شيئًا من شبههم واراجيفهم التي لا تهولنا ورميهم لنا بمنجنيق محض عقل عرضة للخطأ باحجار اعتراضات في جدالنا لا تنال شوامخ حصون فروعنا ولا تزعزع رواسخ قواعد اصولنا التي هي في تاسيسها بين المعقول والمنقول من الكتاب والسنة والاجماع جامعة الثابتة بالادلة البالغة والحجج المانعة والبراهين القاطعة المسفرة عن محاسن السنة البيضاء وعن مذهب الحق المؤيد بالتوفيق وصحة الدليل النازل في على معالي الشرف الاسنى وذرى مفاخر المجد الاثيل الذي اشتهر فضله في المجامع والمشاهد وفيه قلت في بعض قصائد العقائد *

نحلنا مذهبا يجلى قديما * له غر العلى عالي الجناب
مشينا في ضياء من شموس * واقمار ومن رب الشهاب
من المعقول والمنقول صدقا * من الاخبار مع آي الكتاب
رويناها باسناد صحيح * لنا لا بافتراء واكتذاب
سلكنا محجة بيضا مشاها * سواد معظم اهل الركاب
ولم نركب بنيات الطريق التي فيها اتى نهي ارتكاب
ولا يمشي بها الا شذوذ * تمطوا متن اخطار صعاب
وفي الاخبار جا من شذ عن ذي * سواد شذ في نار العذاب
مع التمثيل في القصوى من الشا * لها قد خص في اخذ الذئاب

قلت وفي هذه الابيات الاخيرة اشرت الى ما ورد عليكم بالسواد الاعظم وما ورد إيّاكم وبنيات الطريق وما ورد من شذّ شذ في النار وما ورد انما ياخذ الذئب القاصية من الغنم وفي مذهب اهل السنة ومدح اعلامه الايمة قلت هذه القصيدة المسماة بعقد اللآلي المفصل بالياقوت الغالي في مدح عقيدة اهل الحق ومذهبهم العالي والتغزل بالامام ابي حامد الغزالي وغيره من ائمتنا اولي المناقب والمعالي *

لنا مذهب شمس الهدى ناهج جلي * ومذهب غير عن صدا الزيغ ما جُلي
عقيدتنا عقد من الدرّ والحلى * على جيدها في ثغرها السلسل الحلي

تحلت حلى آي الكتاب فاسفرت * عن السنة الحسنا وبرهانها الجلي
ونالت باجماع جميـع محاسن * ففاقت سواها بالجمال المكمل
لناظرها منا بزاهي جمالها * سبتهم وعنهـا ذواعتزال بمعزل
ابت ان تري تلك الحلى غير كاشف * لاستار اسرار المعالي فتجتلي
خبيـر بمكنون المحاسن مهتد * لمفهـوم منطوق وتفصيل مجمل
بظاهر اص وافق العقل قائل * وما لم يوافـق من محـال مأوّل
نأى عن حضيض الحشو نهج مشبّه * وغالي اعتزال للصفات معطل
بنهج وسيط بيـن تفريط حامد * وافراط غال جاوز الحق مبطل
شموس الهـدى سارت به وبدوره * اولو الراية البيضاء والمنصب العلي
ايمتنـا ما بيـن قطب محقق * مشاهد اسرار امام الهـدى ولي
وحبـر امام في العلـوم مدقق * مفيد الورى في كل فن محصل
وتصنيفنـا ما بين وضع قواعد * اذا بجبـال صودمـت لم تزلزل
ورفع فروع في حصـون شوامخ * فما رميهـا عن منجنيق بموصل
لنـا كم وجيز في بيان قواعد * وجمـع معان واختصار مطـول
وكم من بسيط في جلاء نفائس * وايضاح ايجـاز وحل لمشكـل
وكم ذي اقتصـاد مودع رب قاطع * لافحام خصم مثل ماض به اعتلي
بكف همام ذب عن منهج الهدى * بحرب نضال لا يرى غيـر اول
كمثل الفتى الحبر المباهي بفضله * فغنـي بغـزالي العـلا وتغـزل
ابي حامد غزال غزل مدقـق * من العلم لم يغزل كذاك بمغـزل
به المصطفى باهى لعيسى بن مريم * جليـل العطايا والكليـم المفضل
اعنـدكم حبر كهذا فقيـل لا * وناهيك في هذا الفخار المـؤثل
رآه الولي الشاذلي في منامه * ويرويه عنه من طريق مسلسـل
رواه ولي عن ولي لنا وعن ولي * رواه ذاك عـن رابـع ولي
وعن شاذلي شاذلي وهكـذا * وشيخ فشيخ مسندا غيـر مرسل
كذاك روينا عنه جلد بن حرزهم * على الطعن في الاحياء من خير مرسل
عليـه صلوة الله قال ولم يزل * الى الموت اثر السوط في ظهره جلي
وارويه ايضـا مع زيادات نصه * بتحقيـق نقل عن خبير رواه لي

فتى جده الحبر الامام ابن حرزهم * ابو الحسن المجلود في يومه علي
بقي موجعا خمسا وعشرين ليلة * لخيـــر يراه بعد من اجله ابتلي
راى المصطفى من بعدها جا متوبا * و موليه مسحاً شافيا ما به بلي
فشاهـــد في الاحياء حسناً رسولنا * به شاهد مع ما به لم اطول
وزيّنـــه املاك السما بعد موته * له اخرجوا من تحت ترب وجندل
فالبس خلعـــات غوال اتوا بها * من الخضر لم تنسج وتغزل بمغزل
واركـب مركوبا من اللون كائنا * حكى البرق اسراعا من الجو منزل
وراق الطباق السبع في الحال خارقا * وسبعين من حجب الى عال منزل
بذا شهد الصيـــاد شيخ زمانه * كما اشهد المذكور في كشفه الجلي
وقد شهد المرســـي استاذ عصره * لة مع شيوخ الوقت بالمنزل العلي
وممن رأى ذاك المقام امامنا * وسيدنا نور الهدى شيخنـــا علي
كذا الشاذلي شيخ المشائخ قد حكى * قضا حاجة الداعي به المتـــوسل
وسمي لاصحاب التصانيف سيدا * وذا قول اسماعيل شمس الهدى الولي
مقر الذي المشكور شيخ شيوخنا * امام الفريقين الحبيـــب المدلل
هو الحضرمي المشهور من وقفت له * بقول ففي شمس لابلغ منـــزلي
وكم عالم قد قال جاء لدينــنا * بخمس مئين كي يجدد ما بلي
وتجديد دين في الحديث بمحدث * براس مئين في الايمـــة مجمل
ففي المـــائة الاولى رواه خليفة * فيا مالها من بعـــده مثلـــه ولي
وذاك ابن عبد للعزيز الذي سما * بسيرته الحسناء ذو المنـــزل العلي
وخير وجود بحـــر جود راى الملا * امام الانام الشافعـــي له يلـــي
له منصب في العلم والفهم والهدى * شهير وفي الافاق مذهبـــه جلي
فريد زمان في المنـــاقب سابق * بوضع اصول والحديث معلـــل
ومن بعـــده للدين شيخ اصوله * وكاسي شعار الحق كم من مضلل
ابو الحسن المشهور بالاشعري الذي * له حجـــة كالطود غيـــر مزلزل
ومن بعد فى التجديد اكرم برابع * امام الهدى الحبر النجيب المفضل
هو الباقلاني بحـــر علم اصولنــا * تلاطم امواجا بهـــا الكون قد ملي
حوى للمعالي والمحاسن قد زها * ببستان فضل مزهر الكـــون مبقـــل

وخامسهم حبر مضى ذكر فضله * سراج به داجي الضلالات منجلي
امام الهدى المنبي عن الفضل منشدا * سبوقا على المهر الاغر المحجل
غزلت لهم غزلا دقيقا فلم اجد * لغزلي نساجا فكسرت مغزلي
مشيرا الى علم به متميز * عن ادراكه فهم الالبا بمعزل
تصانيفه فاقت بنفع وكثرة * وحلة حسن لم بها الغير يرفل
وكم حجة الاسلام حاز فضيلة * وكم حلية حسنا بها فضلها حلي
بها جاهل مع حاسد طاعن فذا * تعامى وعنها ذاك اعمى قد ابتلي
وما ضر سلمى ذم عالي جمالها * ومنظرها الباهي ومنطقها الحلي
لئن ذمها جاراتها ونظائر * وعبن جمالا في حلاها وفي الحلي
فما سلمت حسناء من ذم حاسد * وصاحب حق من عداوة مبطل
اذا في الفتى زاد الندى زادت العدى * وقيت الردا قل في الهدى وتمثل
دليل العلا كثر البلا هكذا الملا * ولولا احتراق التبر بالنار ما غلي
حلا لي مديح في مليح ايمة * وليس كغزالي حلا لي تغزلي
فمدحي كعقد من لالي ايمة * بياقوت غزالي المعالي مفصل
وكم من امام غير من قد مضى لنا * من الفضل والعلياء بالمنزل العلي
كحبر شهير بارع ماجد ابي المعالي النجيب ابن النجيب المبجل
فتى فحل نظار وكبت مناظر * ومفتاح مغلاق ومرهم معضل
وخير امام اسفرائيني جلا * عرائس فضل سافرات لمجتلي
وذي الفضل واليمن الامام ابن فورك * بحلة حسن العلم والدين مجتلي
وحبر اخير في المعالي مقدم * امام الهدى الرازي بفخر مجمل
وحبر ببيضا قد جلى بيض فضله * فضاء الدجا من وجهها المتهلل
وعز لعز الدين دين الهدى كما * عقيدته الحسنا حلى فاخر الحلي
كذلك محيي الدين احياه اذ سقت * تصانيفه الحسنى الورى عذب منهل
اماما علوم لكن الفقه غالب * جليلان حلا من قلوب بمنزل
على عشرة رمت اقتصارا وكم لنا * مجيد مقال للاصول مفصل
كمثل الامام البيهقي منهج الهدى * فتى الفضل والتحقيق حبر مفضل
وحبر الهدى بحر المعالم والندى م الفتى الفاضل الخطابي المتفضل

وكائن دقيق العيد حبـر وراتق * لمفتتـق فتـاق رتق بمشـكل
وكل امام ذي مقال محـقق * ومعتقد في اصل علـم معلـل
كاشياخنا السادات من كل عارف * من الراح في روض الوصال معلل
مسقى بكاسات الهوى من مدامة * بها رب نشـوان معـل ومنهـل
اذا ذاقها صب ارته جمـال من * يحب وارونه باعذب منهـل
وان شم تلك الراح خال عن الهوى * يرى الدهر مشغولا به ذلك الخلي
وان سقيـت نهـلا وعلا مقربا * يولـيه ملـكا كم ولي له ولي
كمثل شيـوخ عارفيـن ثلثة * شموس الهدى ارباب ملك مخول
مربين ما منهم يرى غير مرشد * الى الله بالله المـوفق موصـل
عقـائدهم مشهـورة شاع ذكرها * وعن فضلها داري فضائلهـا سل
وكن مثلهم في حب مولاك مشغفا * فما منهم عن حب مولاهم سلي
ابى القسم المولى القشيري حبرهم * امام هدى لم فضله قط يجهـل
وشيخ الوجود السهروردي من جلا * معارفه الحسنى بزهو لمجـتلي
وشيخ الهدى بحر الكرامات والفدى م الفتى القرشي المولى الوجيه المجلل
اولئـك اشيـاخ لنا وايمـة * نباهي بهم في كل ناد ومحفـل
فيا ذا اعتزال هل شيوخك مثلهم * تفاخرنا بل انت عن مثلهم خلي
فماحجة الاسلام مع شيخه ابي * المعالي واستاذ الهدى طب معضل
ككعبي ضلالات ونظـام بدعة * وجبائي الزيغ الضليل المضلـل
ثلاثتـكم ان بارزوا كثـلاثة * دعوا لبـراز يوم بدر معجـل
فما لبثـوا اذ ذاك الا هنيـهة * وحان حلول المستحق الموجل
بايـدي ضراغيـم ضوار ثلاثة * قد انصرفت عن رب قرب مجدل
ضراغيمـنا في كل ارض شهيرة * بغاباتها من حولها نشو اشـبل
واقمـارنا في كل افق منـيرة * بها يهتـدى في كل سهل واجبل
زهت في سما عليا مفاهج وافقت * عقـائدها حقا بهـا لم اطـول
سوى عشرة من شافعيات منهج * وبضـع منيـرات زواهر كمـل
وبدري هدى في المالكيات رابع * بتجديد دين والقريشي المفضل
وبدرين منها شاهدين لبـدرنا * بمجد وسعد جامع اليمن مقبـل

بدور كلا النهجين زاه بهاوها * بانوارها ظلما الضلالات تنجلي
وفي حنفيات لطيف سحابة * اتاها من التكوين غير مبدل
وفي حشويات كسوفان اظلما * وعن نهجها حاشي الامام ابن حنبل
هما جهة ما بين شمس وبينها * تحول وحرف في الكلام المنزل
رواصد اصوات وبحة قارئ * وحرفا كلام الله والعرش معتلي
تعالى اله عن حلول حوادث * به وعلا لم بالحوادث يحلل
ونهج اعتزال مع سواهم كلامه * تبارك مخلوق بجسم مقول
ارادوا بصوت مع حروف منطقا * لها بافتراء منهم وتقول
فقالوا كلام الجسم ذاك مصرحا * ولا ينسبوه قط للواحد العلي
وليس لكم عن ذا محيص ولا لكم * خلاص بما جئتم به من تخيل
فقلتم كلام في جماد فجئتم * بتخييل فرق موهم ذا تخيل
وما روم تدليس علينا بجائز * فما بينه والحي فرق مفصل
فما خلق ادراك وقدرة منطق * له بمحال لا ولا ذا بمشكل
فما الاصل في الاشياء الا خفية * فان لا دليل ليس غير مبطل
تسبح كل الكائنات بحمده * ودعوى مجاز فيه قول لمبطل
فهلا كلام من ذراع مسمم * جعلتم كلام الله حتى له تلي
بمذهب كل من اولي الربع ضحكة * مصيحة الباكي الحزين المثكل
ففي الباطني كل الدواب مكلف * لها انبيا يوحى الى كل مرسل
ومن عجب ثور نبي بقوبه * وتيس خصوه مع حمار محمل
ولا بعث والتكليف نار وجنة * لنفس زكت عودا الى الفلك العلي
وفي الرافضي جبريل اخطا بوحيه * الى احمد لم يرسل الا الى علي
فيا عجبا من مارق في ثلاثة * وعشرين عاما للاله مجهل
وكم ملحد في العالمين مجسم * وكم مارق زنديق دين معطل
اذا للصغير والكبير المعطل * لقيت لقيت التيس يمشي مع الطلي
وللكل كم سخرية وفضيحة * واعجوبة تحكي بها لم اطول
ويا طالبا حفظ اعتقاد محقق * خلا عن عيار صافيا عذب منهل
تلق عقيد الحق في خمسة عشر * من النظم تجري حافظا عن مطول

ان يعرف من هو ذلك الشخص فقبل
ـــــن * وولد وزوجات ووصف ممثـــل
ولا علم لي ابن بلغ انتهاؤه
ـــرم منكلـــم * مريد وحي مصـــدر كلها يلي
صلي الله
ـرته العظمـــى واتقان حكمـــة * يرى الكون في كن كان بالقهر معتلي
علا بجمـــال فيه مجـــد جلاله * بعز كمـــال الكبـــرياء مكلـــل
صفات على جلت وجلّ جلالها * عقول الورى معقـــولة عن تعقـــل
وكفهـــم عن كيف مع اين نافيا * حروفا وخلقـــا للكلام المنـــزل
ولا واجب حاشا عليـــه وحاكم * هو الشرع دون العقل ع القول واعقل
وفي قدر مـــع رؤية مع شفاعة * وحوض وتعذيب بقبـــر ومبتلي
وبعـــث وميـــزان ونار وجنـــة * وقد خلقـــا ثم الصراط وللولي
عظيـــم كرامات فكـــل شريعـــة * محا خير شرع جا به خير مرسل
فامن وسلـــم للصحابة واعتقـــد * جميعا وبجلهـــم وكالقـــوم فاعمـــل
واقبل على السادات واقبل مقالهم * وبين ايادي القـــوم للارض قبل
وقدم ابا بكر كمـــا للعـــلى علا * وبالليث ربع ذي المقام العلي علي
كما قدموهم هم نجوم الهدى فمن * هداهم فلا تعـــدل بذلك تعـــدل
وتخليـــد نار خصـــه كافرا ولا * بكفـــر لاهل القبلـــة افهمه واقبل
تباهت وفيها قد بدا لي توقف * تاخر كتبـــي بعـــد حزمي باول
مجانبة التفضيل في الاخرين او * اثان ارى في الفضل رابعهـــم يلي
وفي ذا اختلاف عن ظنون تعارضت * ودون جمال العلـــم ارخاء مسبل
وقد قال منـــا قائلون بكـــل ما * توقفت عن حرم الايمـــة ما خلي
وقد وقف الفاروق في فضل ستة * وذاك الذي القران ذي وفقة تلي
ومع ذا فترتيب المـــلا في خلافة * لذاك وجوه غيرها في المفصـــل
وقلبي بحمد الله في حب كلهم * وعلم بما جا في على الكل ممتلي
ومن بعد ذا اوصيك بالخير والتقى * وترك التواني والورى دع وابتل
ولا تك مثلـــي عاجزا متخلفـــا * عن الخير والدين النصيحة فاقبل
وقد صح ان المرء مع من احبـــه * فاحبب لاصحاب الهدى والتبتل
ولازم وداوم قرع باب مومـــلا * فمـــا خيب المـــولى رجاء مؤمل
ولليافعي باللـــه وادع برحمـــة * ونيل المنـــى في عاجل ومؤجل

فما هي تدت لا عن كلال عدابها * وفي الما الضلالات تنجلـــي

بهـــا واحـــد ياقوتة مستعـــارة * مضمنـــة ي ـــمبدل

وكم عند هذا تستعر من اجانب * فما زان من حلي الاجانب يكتسي

تحلت بعقد من لالي عقيـــدة * يضيئ الهدى في وجهها المتهلل

اذا ابتسمت في الليل عن درسنة * رايت دياجي الابتداعات تنجلي

وتمت بحمـــد الله ازكى صلاته * على المصطفى فاحت بمسك ومندل

قلت وقد رايت ان انبه على شيئ في هذه القصيدة وهو قولي في تفسير احد كسوفي المذهب المذكور هما جهة ما بين شمس وبينها تحول اعني هاتين الجهة العلوية بين القائلين بها من الاقمار الارضية و بين شمس الحضـــرة القدسية فخسفت كما في حيلولة الارض بين الشمس والقمر المذهبـــة النور طلعتـــه البهية على قول من قال ان الافلاك كرية على وجه الاستعارة على تقدير صحة قول الفلكية مع اني قد استدللت على بطلان قولهم هذا بعشرة ادلة عقلية ونقلية في كتاب سراج التوحيد واضحة جلية وتكفي في الدلالة على ذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغـــرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة وذلك من اقوى الادلة القطعيـــة اذ اخبر ببلوغ ذي القرنين مغربها ووجوده لها تغرب في تلك العيـــن وجدانا لا في راي العين مع تاييد ذلك بوصف العين المـــذكورة اذ هي موصوفة في الكتاب الممجد بالحماة التي هي الطين الاسود فمن قال انها لا تزال تدور وليس لها مغرب فهو بظاهر كلام الله عز وجل مكذب وكذلك قولي و زفته املاك السما بعد موته الى آخر الابيات الخمسة اشرت بذلك الى ما اشتهر وثبت بالاسناد في سيرة الشيخ الكبيـــر العارف بالله ابي العباس الصيـــاد قدس الله روحه ومختصر ذلك انه قال رضي الله عنه بينا انا ذات يوم قاعد وانا انظر الى ابواب السماء وهي مفتحة اذ نزلت عصبة من الملائكة ومعهم خلع خضر ودابة من الدواب فوقفوا على راس قبر من القبور واخرجوا شخصا من قبره والبسوه الخلع واركبوه على الدابة وصعدوا به الى السماء ثم ذكر انهم لم يزالوا يصعدون به من سماء الى سماء حتى جاوز السموات السبع وخرق بعدها سبعين حجابا واحجب

ان يعرف من هو ذلك الشخص فقيل له هذا الغزالي رضي الله عنه قال ولا علم لي اين بلغ انتهاؤه قلت واما ما اشرت اليه من مباهاة النبي صلى الله عليه وسلم للمنكر عليه فسياتي ذكره ان شاء الله تعالى قلت وفي استحسانه صلى الله عليه وسلم لاحياء علوم الدين دليل واضح على كون ما تضمنه من عقيدة الاشعرية حق وكذا ما اشتمل عليه من طريق الصوفية وعلومهم واحوالهم وكراماتهم والله اعلم قلت ايضا في مذهبنا هذه الابيات *

لنا حصن عز من علا مجد مذهب * باعلى سما ... ...

قواعده الغرا كتاب وسنة * وعقل واجماع ... ...

اذا ما رمى من منجنيق اعتزالهم * بجلمود عقل للتجادل دامغ

فلا لاحق فزعا ولا بمزعزع * لاصل ولا بعضا عن البعض فاسخ

محكم شرع دون عقل خلاف من * بعقل عن الشرع الاحاديث سالخ

وقد جاء لا تعذيب من قبل بعثة * بشرع لمجموع الشرائع ناسخ

ولا ناسخ يلغي لمحكم حكمة * الى حين اسرافيل في الصور نافخ

قلت فلما ارسل السائل بالسوال المذكور الي واقترح جوابه علي لم ينشرح صدري للجواب في الحال بل مال الى الاعراض عنه والاهمال لكون الهوى علي القلوب قد استحكم واتباع الباطل قد اعمى واصم فلا يكاد الحق في هذه الازمان ان يرى و ان رؤي فلا يكاد المبطل يتبعه بل يدفعه بالجدال والمراء ثم انشرح صدري بعد مدة لهذا الجواب ورايت اني ان سلكت فيه مسلك البسط والاطناب احتجت في ذلك الى تصنيف كتب لا كتاب ابين فيها قواعدنا وما اشكل من كلام الاصحاب واستوعب مسائل الاصول وادلتها في المعقول والمنقول في سائر الابواب مع كوني قد التزمت فيما مضى ترك التصنيف و سد هذا الباب فاقتصرت على شيء من البسط في الكلام بعبارة واضحة غير نائية عن الافهام ولولا وجود بعض الاعذار لبلغت جهدي في رد ايراد وابطال اعتراض وبيان قواعد وكشف الخمار عن جمال عقيدة اهل السنة التي هي اجمل العقائد ومحاسن معاني ما اشكل على السائل وامامه من الفاظ حجة الاسلام

ابي حامـــد وسائر كلامه المشتمـــل على بداعة المعـــاني وملاحة الترتيت و عجائب الامثلة و غرائب الفوائد التي من كشفت له العناية عن جمالها فنظر بعين التوفيق محاسنها السنية سلبت عقلـــه وهام في هواها وصار من عصابتها السنية وفي هذا المعنى المذكور انشد واقول *

اذا سنـــة حسنـــا سنـــي جمالها * على غيـــر سني مصون مخـــدر
فان كشفت ريح العنـــاية خدرها * فابصرها من لم لهـــا قط يبصـــر
سبت عقله الزاكي بزاهي جمالها * فهـــام بها من كان عنهـــا ينفـــر
وجا منهجـــا من نورها ناهجا به * عصـــابتها تعلو وتزهو وتفخـــر
ابو حامد منهـــم وكم من ملاحة * لها حجـــة الاسلام عنهـــا تخبـــر
امام الهدى بحر العلـــوم وكاشف * لاستـــار اسرار العلـــوم المفـــور
فكم من ستور كاشفا عن محاسن * فلاح لنا ذاك الجمال المستـــر
اتت نحوه حور المعاني لتجتلى * فكـــم در الفاظ على تلك ينثـــر
فاضحت مليحات المعاني ضواحكا * كما بمليـــح عن مليـــح تعبـــر
ومن كان قد باهى به سيد الورى * لموسى وعيسى فهو نعم المعبـــر
ونعـــم طريق سارها عن بصيـــرة * ونور وتوفيـــق بهـــا هو اخبـــر
اعندكم حبـــر كهـــذا فقيـــل لا * وناهيك ذا مجدا على الدهر مفخر
عن المصطفى صلى عليـــه الهنا * بذا الشاذلي بحر الحقـــائق مخبر
منـــاما راه عنـــه يرويه عاليـــا * لنا كابر عـــن كابر هـــو اكبـــر
يحق لنا ان قد سلكنـــا طريقـــة * بها سار يرضاها النـــذير المبشـــر
لها المصطفى مستحسن ومعاقب * لمنكـــرها جلدا مدى الدهر نشكر
بذا صح اسنادي عن ابن حرازم * فقيـــه بلاد العرب اذ كان ينكـــر

قلت قد اوضحت ما اشرت اليه في هذين البيتين الاخرين في كتاب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد في فصل سلوك الطريقة والجمـــع بين الشريعة والحقيقة ومختصـــر ذلك ان الشيـــخ الامام ابا الحسن بن حرزهم بكسر الحاء المهملة وسكون الراء و بعدها زاي المشهور بابن حرازم رضي الله عنه راى ليلة جمعة في المنام كانه داخل من باب الجامع الذي عادته يدخل منه واذا بالنبي صلى الله عليه وسلم وابي بكـــر وعمر

رضي الله عنهما جلوس في مكان من الجامع والنور على ذلك المكان ساطع وكان قد بالغ في الانكار على كتاب الاحياء وامر بجمع نسخه وعزم على احراقها يوم الجمعة المذكور لكونه بزعمه خلاف السنة واذا بالامام ابي حامد الغزالي رضي الله عنه قائم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا خصمي فان كان الامر كما زعم تبت الى الله تعالى وان كان شيئًا تستحسنه يا رسول الله حصل لي من بركتك فخذ لي حقي من خصمي ثم جثى على ركبتيه وصار يزحف عليهما الى ان وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم فناوله كتاب الاحياء وقال انظر فيه يا رسول الله فنظر فيه صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة الى اخره ثم قال والله ان هذا شيء حسن ثم ناوله ابا بكر فنظر فيه كذلك ثم قال نعم والذي بعثك بالحق يا رسول الله انه لحسن ثم ناوله عمر فنظر فيه كذلك ثم قال كما قال ابو بكر فامر صلى الله عليه وسلم بتجريد المنكر المذكور وضربه حد المفتري فجرد وضرب ثم شفع فيه ابو بكر رضي الله عنه بعد خمسة اسواط وقال يا رسول الله انما فعل هذا اجتهادا في سنتك وتعظيما لها فغفر له ابو حامد عند ذلك فلما استيقظ من منامه واصبح اعلم اصحابه بما جرى له ومكث خمسة وعشرين يوما وجعاً من ذلك الضرب ثم راى النبي صلى الله عليه وسلم مسح بيده الكريمة المباركة عليه فشفي قلبه وقالبه ثم نظر في الاحياء ففهمه فهما خلاف الفهم الاول ثم فتح عليه ونال من المعرفة بالله والعلم الباطن والفضل العظيم ما نال برحمة الله الكريم قلت فهذا مختصر ما رويناه بالاسانيد الصحيحة عن الشيخ الكبير العارف بالله الشهير ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وعن بعض ذرية الشيخ الكبير العارف بالله ابن حرزهم المذكور رضي الله عنه ما هو عندهم معلوم ومستفيض مشهور وفي سيرة جده مذكور محقق مسطور اخبرني بهذا المذكور الراوي المذكور من ذرية الشيخ المذكور محرما خاشعا جاثيا على ركبتيه في الحرم الشريف زاده الله شرفا قال الشيخ الامام ابو الحسن الشاذلي ولقد مات يوم مات واثر السياط ظاهر على جسمه اخبرني بذلك الشيخ الجليل العارف بالله الفضيل الامام شهاب الدين

ابن المنلق الشاذلي عن الشيخ الكبيـــر العارف بالله ياقوت الشاذلي عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله قدوة السالكين بحر المعارف ومعدن النور القدسي ابي العباس المرسي عن شيخه ابي الحسن الشاذلي المذكور معدن العلوم والاسرار والنور شيخ الشيوخ العارفين رضي الله عنهم اجمعين والى هولاء الشيوخ الاربعة اشرت بقولي فيمـــا تقدم رواه ولي عن ولي لذا وعن ولي رواه ذاك عن رابع ولي وهاانا اشرع فيما ذكرت من الجواب والله الموفق للصواب فاما قول السائل اولا في نفي الثاني عن الله تعالى في قوله عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله هل هو مترتب على معــــرفة الله تعالى او معرفة اللـــه تعالى مترتبة عليه فكان ينبغي ان يقول نفي اله غير الله لمطابقة الاية التي ذكر فانها نافية لكل اله سواه عز وجل وليس فيها لتعلق ذكر الثاني مدخل وان يقول ام معــــرفة الله بام عوضا عن او واما ما ذكره من ان الطريق الى معرفة الله تعالى السمع عنـــدنا فليس بصحيح بل الطريق اليها عندنا وعندهم النظر لكن عندنا يجب النظر فيها بالسمع وعندهم بالعقل فالسمع عندنا طريق الى معرفة وجوب النظر الموصل الى المعرفة لا الى المعـــرفة نفسها كما زعم لان الامر بها موجب للنظـــر المعرف وقد يتخلف النظر بتخلف امتثال الامر فتخلف المعـــرفة لتخلف المعرف ولا يلزم من وجوده وجودها اعني لا يلـــزم من وجود الامر الذي هو السمع وجود المامور به الذي هو المعرفة ودليلنا على ان الموجب للنظر فيها هو السمع دون العقل النقل والعقل اما وجوب ذلك بالسمـــع فيدل عليه النقل واما عدم وجوبه بالعقل فيـــدل عليه العقل والنقل اما الاول وهو قولنا ان الموجب للنظر فيها هو السمع فقوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض ونحو ذلك من الايات الكريمات وكذلك الاجماع كما سياتي كلام امام الحرمين في ذلك في الفصل الرابع ان شاء الله تعالى واما الثاني وهو عدم وجوبه بالعقل فسياتي بيانه هادما لجميع ما بنوا عليه مذهبهم الفاسد من التحسين و التقبيح العقلي في جميـــع العقائد واما جواب السوال عن اي من نفي الثـــاني ووجود المعـــرفة مترتب على الاخر فالمتقدم على ذكره بيان الطريق الموصلـــة الى المعرفة

فبذلك يتضح ان شاء الله بيان الطريق الى معرفة الصانع جل وعلا
اعلم ان الطريق الى معرفته تبارك وتعالى هي النظر في مصنوعاته في الملكوت العليا والسفلى وما اشتملت عليه من الاتقان والانتظام والحكم والاحكام وغير ذلك مما يشهد بوجود الصانع وجلاله وعظمته وكماله تعالى في ذاته وصفاته قال قدوتنا وسيدنا الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه واولى ما يستضاء به من الانوار و يسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القران فليس بعد بيان الله بيان وقد قال الله تعالى الم يجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا الى قوله تعالى الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الى قوله تعالى لايات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا الى قوله تعالى ونخرجكم اخراجا وقال تعالى افرأيتم ما تمنون الى قوله تعالى نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين قال وليس يخفى على من معه ادنى مسكة اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الايات وادار نظره على عجائب خلق الله في الارض والسموات وتدبر فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت التسخير ومصرفة بمقتضى تدبير ولذلك قال الله تعالى في الله شك فاطر السموات والارض وقال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله انتهى مختصرا وسياتي ايضا بيان حكم النظر في افادة العلم ووجوبه في معرفة الله سبحانه في الفصل الرابع ان شاء الله تعالى قلت واذا تامل الناظر في الوجود واحواله المختلفة من الصنعة المتقنة المؤتلفة البديعة المحكمة العجيبة المنتظمة وما فيه من تغير الاحوال وتقلب الايام والليال شاهد جميعه ناطقا وشاهدا بلسان الحال بتصديق قول الحق الملك الديان كل يوم هو في شان ومناسبة اسمائه الحسنى تبارك وتعالى اذ من جملتها القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل المحيي المميت المقدم المؤخر وقوله

عز وجل ان مع العسر يسرا وتاكيده ذلك باعادة اللفظ ثانيا لتاكد وقوعه لا محالة وتحقيق العلم بنفوذ حكم القضاء السابق المطابق للحكمة البالغة بذلك واستمرار هذه الحالة حتى علم ذلك بالاستقراء وانشد فيه الشعراء من ذلك قول بعضهم *

اذا ما رماك الدهر يوما بنكبة * فهيئ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان مقادير الزمان عجيبة * فيوما نرى يسرا ويوما نرى عسر

وقول اخر

دع المقادير تجري في اعنتها * ولا تبيتن الا خالي البال
ما بين غمضة عين و انتباهتها * يقلب الدهر من حال الى حال

وقول اخر

ولما وقفنا للسلام تبادرت * دموع الى ان كدت بالدمع اغرق
فقلت لعيني هل مع الوصل عبرة * فقالت السنا بعده نتفرق

قلت ومن هذا ما سمعت من بعض شيوخنا قدس الله ارواحهم يحكي انه مر انسان في الازمان على راعي غنم في بعض البراري وهو طرب يغني والارض مجدبة والناس في ضيق وحزن فتعجب منه ثم غاب ورجع فوجد تلك الارض مخصبة والناس في سعة وفرح وهو يبكي فازداد عجبا منه ثم ساله عن فرحه وعن حزن الناس وحزنه وقت فرحهم فقال اما فرحي فيما مضى فكان استبشارا بهذا الخصب الذي ترى واما حزني الان فلتوقع الجدب فيما ياتي من الزمان قلت ومن هذا وامثاله ما يطول ذكره من الشواهد والبرهان على وحدانية اله ليس له ثان ومطابقة ما قدمنا من تصديق قولة تعالى كل يوم هو في شان وكذلك يشهد على وحدانية الاله المعبود وعظيم ما اتصف به من القدرة والعلم والفضل والجود وجود الوجود على اكمل نظام واحسنه واحكمه واتقنه والى شيء من الشواهد اشرت حيث قلت في بعض القصائد *

له كل ذرات الوجود شواهد * على انه الباري الاله المصور

دحى الارض والسبع السموات شادها * وانقذها للعالمين لينظروا
وابدع حسن الصنع في ملكوتها * وفي ملكوت الارض كي يتفكروا
واوتدها بالراسيات فلم تمد * وشق انهارا بها تتفجر
واخرج مرعاها وبث دوابها * والكل ياتي منه رزق مقدر
من الحب ثم الاب والعشب والكلا * ونخل واعناب فواكه مثمر
واضحت بحسن الزهر تزهو رياضها * وفي حلل نسج الربيع تتبختر
وزان سماها بالمصابيح اصبحت * وامست تباهي الحسن تزهو وتزهر
تراها اذا جن الدجا قد تقلدت * قلائد دري اللدر تحقر
فيا ناظرا زهر البساتين دونها * اظلك اعمى ايس للحسن تبصر

قلت واما ما انكره بعض الناس على الامام حجة الاسلام رضي الله عنه ونسبه اليه من الكفر وزعمه انه حصر القدرة في قوله رضي الله عنه ليس في الامكان ابدع من هذا الوجود فقد اجبت عنه لما ارسل اليَّ بعض الفقهاء الطاعنين فيه يسأل عن الجواب في ذلك في معرض التعريض بالانكار عليه والاشعار بالكفر الذي نسبه اليه فذكرت في الجواب ما يقتضي الانكار على المنكر عليه وقلت التكفير على المكفر له بما نسبه اليه وها انا اشير الى ما ذكرته بتقرير قدرته وذلك ان كمال الصنعة يدلّ على كمال الصانع والنقص على النقص - فيلزم على قول المنكر ان يكون صنعة هذا الوجود ناقصة بالنسبة الى صنعة اكمل منها وذلك يستلزم نسبة النقص الى الصانع ونسبة النقص الى الصانع تعالى هي عين الكفر - واقول ايضا الصنعة صادرة عن صفات الصانع ولا اكمل من صفاته تعالى فلا اكمل من صنعته اذ صفاته تعالى في نهاية الكمال والجلال فصنعته في غاية الكمال والجمال - واقول ايضا هذا الوجود الدنيوي منه والاخروي والعلوي والسفلي وما اشتمل عليه من انواع الحكم البالغة الباهرة والمحاسن الباطنة والظاهرة ابدع كل بديع ووجود ابدع من الابدع محال - فوجود ابدع من هذا الوجود محال - فان قال [يلزم من هذا حصر القدرة] من كابر في النزاع قلت لا تعلق للقدرة بالمحال بالاجماع فان لم ينزع عن النزاع واصرّ على المكابرة زاعما ان

ذلك يؤدّي الى حصر القدرة - قلت له ما تقول هل يمكن في قدرة الله تعالى خلق اكمل من كل مخلوق فان قال لا فقد قال يعجز القادر على كل شيء جل وعلا وان قال نعم قلت فهل يمكن ان يخلق اكمل من اكمل كل مخلوق في جميع الاكوان والآفاق فان قال نعم فقد جعل اكمل من الاكمل وهو باطل بالاتفاق وان قال لا فقد حصر القدرة على قياسه وكفر في ذلك نفسه بنفسه وظهر بطلان ما الزمه من التكفير بزعمه لحجة الاسلام وانقلاب عليه ما وجهه اليه في ذلك الالزام - و هذا ما اقتصرت عليه من الجواب عن قول الامام ابي حامد علم الاعلام والله سبحانه وتعالى الخبير العلام وكل من له بصيرة يعلم ان في هذا العالم الذي هو عالم الملك وعالم الحكمة وعالم الخلق وعالم الشهادة من الحكم التي هي من المحاسن الباطنة الفائقة على المحاسن الظاهرة ما لا تهتدي العقول الا الى اليسير منه مما اشتملت عليه هذه الدار من خير وشر ونفع وضر وصفو وكدر ومليح وقبيح وسقم وصحيح وكريم وشحيح وعالم وجاهل ومجنون وعاقل وناقص وكامل وفقير وغني وضعيف وقوي وشريف ودني وجماد وحيوان وانس وجان وملك وشيطان وطيور وسباع وبهائم وسائر الاجناس والانواع مما ليس للعقل في حصره انساع مما اشتمل عليه الحيوان والنبات والارض والسموات وانقسام ذلك الى ذكور واناث وغير ذلك من الصفات - وما اشتملت عليه العقاقير من الادوية النافعة والحشرات من السموم الناقعة وما في الجواهر من الخواص التي هي للمضرّات قامعه وانقسام الخلق الى صامت وناطق ومخالف وموافق ومسهل وعائق واعمى وبصير وطويل وقصير ومظلم ومنير واصمّ وسامع وجامد ومائع وعاص وطائع ولين وخشن وعطر ومنتن وبليد وفطن وحزن وسرور وتيقظ وغرور وظل وحرور واختلاف اللغات والالوان واختصاص حسن الانسان بالفصاحة والبيان والنبوة والقرآن والى خلق حلو وحامض وواضح وغامض وقابل ورافض ومالح وعذب ويابس ورطب وخصب وجدب وبارد وحارّ ومتحرك وقارّ وفخر وعار وعافية وبلاء ورخص

وغلاء وداء ودواء وانقسام الخلق ايضا الى اخيار واشرار وابرار وفجار ومومنين وكفار ومصيرهم الى موت وحساب وثواب وعقاب ونعيم وعذاب - والجنة دار الفضل والنار دار العدل على مقتضى القضاء السابق الذي هو الاصل بحكمة الحكيم العليم الجواد الكريم شديد العقاب الغفور الرحيم وغير ذلك مما لا يحصى مما اشتمل على بدائع الحكم المودعة في سائر اجزاء العالم المشتملة على المحاسن الباطنة المشاهدة بعين البصيرة لا عين البصر التي هي بالنسبة اليها حقيرة ومن ذلك محاسن الانسان الباطنة احسن واكثر * قلت ولعلّ المفكر المذكور يتوهّم ان حسن هذا العالم ان يكون كله مستحسنا بعين البصر بان يكون جميعه الوانا حسنة مختلفة ونعيما دائما وقلوبا مؤتلفة دائمة الصفاء والسرور خلية عن كدر الاحزان والشرور كاملة الراحة والزين سالمة من التعتب والشين خلية عن الصور القبيحة بعين البصر وحقارة الحشرات منزهة عن الهموم والسموم وسائر المضرّات جامعة لجميع الحظوظ المطلوبات التي يميل اليها الراغبون وغير ذلك من صفات الجنة التي قال الله تعالى في مدحها وخطاب اهلها في كتابه المكنون [وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون] ولم يهتد الى معرفة المحاسن الباطنة من لطافة المعاني وغرابة الحكم البالغة ومن ذلك بعينه ان شين الدنيا سبب لزين الاخرة وبغض الدنيا وتعبها وكدرها زيادة في كمال الجنة ونعيمها وسرورها بل نار الآخرة وعذابها وهو انها زيادة في نعيم الجنة وعزها ومعرفة قدرها وشرفها وعلى الجملة لولا البلاء ما عرف قدر العافية ولولا العذاب ما عرف قدر النعيم ولولا النار ما عرف قدر الجنة قلت ولما وضعت هذا الكلام خطر لي انشاء نظم ابيات لم يسبق اليها النظام فما استتم هذا الكلام حتى حال بفكري ابيات في هذا المعنى المذكور سبقني اليها الشيخ العارف بالله الفقيه الامام ابو سليمن داود الشاذلي المشهور فاكتفيت بها لكونها وافية بهذا المعنى الذي انا له قاصد حيث قال رضي الله عنه في بعض القصائد *

ايا نفس للمعنى الاجل تطلبي * وكفي عن الدار التي قد تقضت

فكم ابعدت الفا وكم كدرت صفا * وكم جددت من ترحة بعد فرحة
كذا وضعت كيما تعدي الى العلا * فتكديرها من سر لطف وحكمة
فلو جعلت صفوا شغلت بحبها * ولم يك فرق بين دنيا وجنة
لعمرك ما الدنيا بدار اخي حجى * فيلهو بها عن دار فوز وعزة
عن الموطن الاسنا عن القرب واللقا * عن العيش لا العيش عند الاحبة
فوالله لولا ظلمة الذنب لم يطب * لك العيش يوما دون ميّ وعزة

قلت وقد ابعدنا في الخروج عن المقصود وها نحن الى ما دنا بصدده من الاستدلال نعود * قال الامام حجة الاسلام ابو حامد رضي الله عنه بعد ما ذكر ما في عجائب خلق الله في الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات وغير ذلك مما اشتمل عليه الصنع المتقن العجيب والترتيب المحكم الغريب - فاذا في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بديهة العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه - والعالم حادث - فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب ثم تكلم في ذلك السبب لما يطول ذكره من المباحث العقلية مما سياتي ذكره ان شاء الله تعالى في الاصل الرابع من شرح البيت الاول من قصيدتي المنظومة في عقيدة اهل السنة - ثم قال في آخر ذلك فيحصل ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة وقال غيره من ائمتنا ايضا في البرهان على وجود واجب الوجود سبحانه وتعالى لا شك في وجود حادث وكل حادث ممكن والا لم يكن موجودا تارة ومعدوما اخرى وكل ممكن فله سبب وذلك لابد وان يكون واجبا او منتهيا اليه لاستحالة الدور والتسلسل وقلت واخصر من هذا ان نقول العالم متغير وكل متغير حادث فالعالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث غير محدث والا لزم ايجاد الشيء نفسه او الدور والتسلسل والكل محال - وتقرير ذلك ياتي ان شاء الله تعالى في شرح البيت الاول * واما قول المعتزلة ان المعرفة واجبة بالعقل فممنوع لوجوه اقتصر منها هنا على ذكر ثلثة - الاول ان ذلك بناء منهم

على ثبوت الحكم بالتحسين والتقبيح العقليين وهو باطل كما سياتي مستدلا على بطلانه بثلاثة عشر دليلا ما بين عقلي ونقلي - الثاني ان في قوله تعالى [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] نفيا للوجوب قبل الشرع لنفي لازمه وهو العذاب الثالث ان وجوب معرفة الله تعالى وطاعته لو كان بالعقل لم يخل اما ان يكون لغير فائدة وغرض وهو محال في العقل لانه عبث او لفائدة وغرض للمعبود وهو محال ايضا لتقدسه عن الاغراض والفوائد او للعبد وهو محال ايضا لان الحال ليس فيه الا الكد والتعب بفعل الطاعات وترك الشهوات والمآل لا يستقل العقل بالاهتداء الى معرفة ما فيه من الثواب والعقاب فدلّ على ان لا موجب الا الشرع اذا علم هذا * فاعلم انه يلزم من معرفة الله تعالى معرفة كونه واحدا لا شريك له لاستحالة وجود شريك له تعالى عقلا وشرعا اما الشرع فقوله تعالى [قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا] وقوله سبحانه [لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا] وقوله تعالى [وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض] * واما العقل فلانه لا يعرف الله سبحانه الا بصفات الكمال المطلق والا لكان ناقصا والنقص محال عليه تعالى ومن جملة الكمال كونه واحدا متوحدا بالملك منفردا بتدبير المملكة غير مشارك في الخلق والامر لان الشركة يلزم منها المحال او النقص المؤدّي اليه لانا اذا فرضنا الهين وفرضنا ارادة احدهما شيئا وارادة الآخر نقيضه كايجاد شيء وعدم ايجاده او تحريكه وتسكينه فاما ان يحصل مرادهما فيجتمع النقيضان او لا يحصل مراد واحد منهما فيرتفعان والكل محال او يحصل مراد احدهما دون الآخر فيلزم عجز من لم يحصل مراده فلا يكون الها لنقصه فلزم ان لا يكون الاله الا واحدا * فان قيل يريدان الاصلح قلنا هذا مبنّي على القول بالتحسين والتقبيح العقلي وهو باطل كما سياتي . قلت وناهيك ببطلان مذهب يلزم منه على هذا وجود الهين وهذا غاية البطلان والفساد والضلال فعلم من هذا التقرير ان معرفة انتفاء الشركة في الالهية مترتّبة على معرفة الاله سبحانه * قلت وهذه المعرفة المذكورة هي المعرفة العامة المشتركة التي هي العلم في

لسان علماء الظاهر ان عندهم كل علم للمخلوق معرفة وكل معرفة علم وكل عالم منهم عارف وكل عارف عالم على ما قاله بعض العلماء - وفرق بعضهم بينهما فان العلم لا يستدعى سبق جهل بخلاف المعرفة ولهذا لا يقال الله تعالى عارف ويقال عالم - وبان العلم بنسبة شيء الى آخر ولهذا يتعدى علمت الى مفعولين بخلاف عرفت فانها وضعت لمفردات وليست المعرفة المخصوصة المختص بها الخواص ارباب المشاهدة فانها عندهم اوصاف عزيزة في عبد اصطفاه الحق سبحانه * وتكلموا فيها بما ذكره يطول ويخرجنا عما نحن له قاصدون * وها انا اقتصر هنا على ذكر قول ثلاثة منهم * قال الشيخ الكبير العارف بالله ابو العباس الصياد اليمني رضي الله عنه - المعرفة وجود تعظيم في القلب يمنع الشخص عن الانقياد لغير معروفه - وقال بعضهم المعرفة اطلاع العبد على الاسرار بمواصلة الانوار - وقال بعضهم المعرفة ايصال بصائر التعريف يقين العلم دوام المناجاة مع الله بالقلب وحصل من الله التعريف على دوام الاوقات باختلاف الحالات فعند ذلك تظهر انوار المعرفة فاذا تجرد العلم واتضحت البراهين وانتفت الشكوك بالكلية وحصل ثلج الفواد وبرد اليقين لا يسمى العبد الي هذه الطريقة عارفا حتى يحصل بينه وبين الله تعالى احوال زائدة على العلم من فنون الكشوفات وصنوف التعريفات وتحديث الحق مع العبد من غير سماع نطق بالجهر والعارف تبدو في قلبه في ابتداء التعريف لوائح ثم لوامع ثم كشوفات وبصائر انوار وطوالع فالعارف كانه يخاطبه الحق سبحانه بكل شيء ويلقي اليه كل خطاب ويعوده في كل وقت بنوع تعريف ومكاشفة وفي كل حال بسر * ثم من صفة العارف انه لايخلو من احوال معلومات منها المحبة ومنها التعظيم والهيبة ومنها الانس والقربة ومنها الحياء والغيبة واذا تحقق العبد في ابتداء طلبته بدوام المراقبة و وصل الى المشاهدة والمراقبة علمه بان الله سبحانه يراه ويعلمه على دوام الاوقات - ثم انوار المشاهدة تلوح في القلب والمشاهدة غلبة نور الحق على القلب وانتفاء احساسك بلك وذكرك لك وخبرك عنك فتكون مختطفا عن جملتك باستيلائه عليك

فكل ما زاد شهودك زادت اجنبيّتك عنك وعن الكون بالجملة واذا طلعت شموس العرفان استهلك في ضيائها نجوم العلوم كما قيل *

ولما استقار الصبح ادرج ضوءه * باسفاره انوار ضوء الكواكب

واما ما ذكرت ايها السائل من شبه المعتزلة الثلاث التي ذكرتها في الاوجه الثلاثة في الاعتراض على قولنا ان المعرفة تجب بالسمع الموجب دون العقل عندنا للنظر الذي هو طريق الى معرفتها عندنا وعندكم اجماعا * فالشبهة الاولى وهو قولك احدها ان السمع مفتقر الى معرفة الله تعالى ومعرفة الله تعالى مفتقرة الى السمع وهو دورٌ لانا لا نعرف السمع حتى نعرف الله تعالى ولا نعرف الله تعالى حتى نعرف السمع فلا يحصلان ولا واحد منهما - هي عين ما حكاه اصحابنا عن المعتزلة من قولهم ان الوجوب لوكان من الشرع لزم افحام الانبياء عليهم السلام فان المكلف لا ينظر ما لم يعلم الوجوب ولا يعلمه ما لم ينظر - قلت وقد الزم اصحابنا مذهبهم الافحام ايضا فقالوا في جوابهم ولو وجب عقلا لافحم ايضا لان وجوب النظر غير ضروري اذ هو متوقف على مقدمات مفتقرة الى انظار دقيقة - قلت لان المكلف على هذا يقول لا انظر حتى اعرف وجوب النظر ولا اعرف وجوب النظر حتى انظر - فيلزم في هذا من الدور في طريق المعرفة على مذهبهم على ما ذكره السائل من الدوّر في طريقها على مذهبنا قلت هكذا صرح غير واحد من ائمتنا المحققين وقال بعضهم العقل لا يفحم بل هو دورٌ لانه يصدق عليه قولنا لو وجب عقلا لما وجب عقلا نعبر عن هذا بالافحام انتهى - قلت ولزوم الدور كافٍ فيما رمُنا من منع الوجوب عقلا واذا لزم مذهبهم من الدور ما لزم مذهبنا فما اجابوا به عن ذلك به اجبنا وما لهم عن ذلك جواب ولا مخرج عن اللازم المذكور وها نحن على سبيل التبرع نجيب عن ذلك و نخرج عن المحذور وفي هذا المعنى انشد واقول *

اذا في الوغى اوردتمونا فاننا * سنوردكم منها الذي منه يحذر
اذا ضمنا يوما من الدهر معرك * صدرنا وانتم ما لكم عنه مصدر

فاقول و بالله التوفيق الجواب عن الشبهة المذكورة هو ما اشار اليه الامام

حجة الاسلام ابو حامد رضي الله عنه في قوله الذي ذكره السائل في هذا السوال - وذكر انهم لم يفهموه وانهم سالوا أعلم اهل زمانهم عن معناه فقال ما فهمنا غرضه في هذا الكلام مع انه الناقل لكلامه ومعترف بفضله - وذكر السائل انه ضجّع به في الردّ على المعتزلة (هكذا قال ضجّع بتشديد الجيم بعد الضاد المعجمة) وفسر ذلك بانه تكلم بكلام لا يفهم وهذا التفسير الذي ذكره لا يشهد له من جهة اللغة وضعٌ ولا من جهة الاصطلاح سمعٌ ولكن لهذه اللفظة معنى صحيح وان لم يذهب فهمه اليه وهي كلمة حق جرت على لسانه ليست له بل عليه اي اقعدهم بالردّ عليهم وصيّرهم مضطجعين غير قائمين بحجة واني تقوم حجة للمبتدعين - قال ابو حامد المذكور الطبع قابل والعقل باعث والمعجز ممكن والرسول مبلغ - قلت وها انا انبّه على معنى هذا الكلام بعبارة واضحة للافهام اجمع فيها بين تفهيمهم ما لم يفهموه من المعنى ودفع الالزام الذي الزموه لنا * اعلم ان كلامه هذا رضي الله عنه في غاية الحسن والمناسبة لما نحن بصدده من مسئلة المعرفة اللازم فيها الا فحام للزوم الدور المذكور وذلك انه رضي الله عنه مثّل المكلف القائل للرسول المستدعي النظر في المعجز المتحدى به الشاهد بصدق رسالته المشتملة على معرفة الله تعالى ومعرفة شرعه الذي يدعو به عباده لايلزمني النظر في معجزك حتى اعلم صدقك ولا اعلم صدقك حتى انظر في معجزك بمن قال له منذر ناصح مشفق تحذيراً له وراءك افعى فاحذر منها ان تلدغك او سبع ضار فاحذر منه ان يفترسك وان التفتّ وراءك ونظرت عرفت صدقي فقال لا التفت ورائي وانظر ما لم يثبت صدقك ولا يثبت صدقك ما لم التفت وانظر فهل قائل هذا القول الا احمق حيث عرض نفسه للهلاك وعظيم الخطر بترك نظر ليس عليه فيه كلفة ولا ضرر ولو كان له عقل لبعثه على النظر في ذلك وقال في نفسه يمكن ان يكون هذا المنذر صادقا فان قبلت نصحه ونظرت فيما قال وانذر وحذر واحترزت من العدو الذي ذكر نجوت وان لم اقبل نصحه وتقاعدت عن الاحتراز فلم انظر نزل بي الهلاك من حيث لا اشعر وان كان كاذبا فما يضرني النظر والاحتراز في امر ممكن هو على غائب ولا يورثني ذلك شينا بل زيناً

انه الاحتراز والنظر في الامور وما تؤول اليـــه من العواقب من شيمة العقلاء اولي الحزم والعزم والحـــذر من الغدر والوقوع في المعاطب وقد قال في ذم التغرير القائل الخبير * وما المغرر محمود وان سلم * قلت واما قولي في بعض القصائد *

فما فاز بالمجد الاثيل من الورى * سوى من لدى الاهوال بالنفس يسمح
فاما جبان عـــزت النفس عنده * فذاك الذي بالذل يمسي ويصبح

و قولي في اخرى

فمجد العلا ما ناله غير ماجد * يخاطر بالروح الخطير فيظفر

فان هذا تغرير بالنفوس في طاعة الملك القدوس وفيها النجاة وسعـــادة الابد والفوز العظيـــم بالنعيم المخلد وليس ذلك التغرير كذلك بل موقع في الهلاك - قلت فاذا فهم هذا المثل المـــذكور فليفهم ما نحن بصدده من كون العاقل يحترز من هذا المحذور لاحتمال صدق المخبر والوقوع في الهلا ك والتبور - فكذلك يقـــول الرسول صلى الله عليـــه وسلم وراءكم الموت وما بعده من الاهوال والشـــدائد والعقاب والوبال والعـــذاب الشديد الاليم وخلود الدهر في دار الجحيم ان لم تاخذوا حذركم وتحتـــرزوا مما انذرتكم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت اليها عرف صدقي واحترز ونجا - ومن لم يلتفت اليها لم يعرف صدقي ولم يحتـــرز من المحذور حتى ينزل به الهلاك والردى * قلت فقد علم من هذا التمثيل والايضاح انه لا يترك الاحتراز بالنظر في المعجز بسبب الدور من فيه فلاح فان الذي تحدّى به الرسول يمكن ان يكون معجزاً دالاً على صدقه فيما اخبرته اعني ممكنا في نفس الامر قبل ان ينظر فيه غير مقطوع بصدقه ولا كذبه فينبغي ان ينظر فيه لاحتمـــال الصدق المذكور خوفا من الوقوع بترك النظر في المحذور - فاذا نظر فيه حصل له العلم بكونه معجزا خارقا للعادة شاهدا بصدقه فبادر الى التصـــديق و نيل السعادة - فهذا معني قول الامام حجة الاسلام المحقق المتقن والمعجز ممكن * واما قوله

والرسول مبلـــغ فمعنـــاه ما عليه الا البلاغ وليس عليه ان يلزم المرسل اليهم الايمان بما ارسل به وقد قال الله تعالى [وما على الرسول الا البلاغ المبين وقال سبحانه [وما انت عليهم بوكيل] وقال عز وجل [انما انت نذير] وغير ذلك مما يطول ذكره من قوله تعالى في محكم الآيات الكريمات في هذا المعنى - وقد ضرب صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح مثلا لمن صدقه فنجا ومن كذبه فهلك وتردى * فقال صلى اللـه عليه وسلم مثل ما بعثني الله به كمثـــل رجل اتى قومه فقال اني رايت الجيش بعيني وانا النذير العريان فالنجـــاء - فاطاعه طائفـــة من قومه فادلجـــوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا - وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهـــم - فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثـــل من عصـــاني وكذب بما جئت به من الحـــق - اخرجاه في الصحيحين * قلت ولا ضرر على النذير اذا لم يقبل المنذر التحذير بل الضرر على من لم يقبل النصح والانذار - حتى نزل به الدمار - نسأل الله الكريم العفو والعافية والتوفيق وحسن الخاتمة لنا ولاحبابنا والمسلميـن - امين * فهذا معنى ما اشار اليه في قوله والرسول مبلغ * واما قوله والعقل باعث فلانه هو الذي يفهم كلام المنذر المشتمل على الاعلام بنزول الهلاك ان لم يصدق ويقبل ويبعث صاحبه على الاحتراز مما حذر منه ويحكم بامكان وقوع ذلك في المستقبل * قلت وقد ذكر الله تعالى العقـــل في القرآن في معرض المدح لاهله في مواضع تطول عدها وهو جدير بالمدح الكامل اذ به عرف الحق سبحانه ومعرفتـــه تعالى اكمل الفضائل وبه ايضا مناط التكليف وزجر النفس عن الهوى الموقع لها في شقاوة الابد وحلول دار الجحيم والجذب لها الى الخوف المفضـــي بها الى سعادة الابد والفلاح المخلد لها في دار النعيم حيث يقول الله العظيـــم [فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى] وحيث يقول العلي الكبير [وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير] قلت ومما يدل ايضا على ان العقل سبب النجاة من المحذور

انه لا يفكّر في عواقب الامور - ويخاف من تقلب الدهور - الا عاقل حذور - بالهموم مغمور - واما غير العاقل - فهو سال ساه لاه غافل - ولهذ قال القائل *

اذا قل عقل المرء قلت همومه
ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمد

وفي مدح العقل ايضا احسن القائل وصدق عدوٌّ عاقلٌ خير من صديق احمق قلت وهذا معنى ما اشار اليه في قوله والعقل باعث * واما قوله والطبع قابل (فهو بالباء الموحدة قبل اللام ويصح ان يقال بالتاء المثناة من فوق) ومعناه ظاهر لما قد علم في النفس من الطباع الردية المشتملة على الاوصاف الذميمة المحتاجة في ازالتها الى الرياضات والمجاهدات الشديدة - حتى تتبدل بتوفيق الله سبحانه بالصفات الحميدة - والا فلا تزال يصاحبها الى الاهواء مائلة - حتى تمسى وهي له قاتلة - واما على الوجه الاول اعني بالباء الموحدة وهو الظاهر الذي هو له قاصد - حجة الاسلام ابوحامد - فمعناه انه اذا فهم العقل الانذار وجوز امكان وقوع الاخطار فان الطبع يقبل النصح ويستشعر الخوف فيستحثّ على الحذر من الوقوع في الضرر ثم الضرر الاعظم موجود في الجهل بالله تعالى ومخالفة حكمه المعظم في ترك الواجبات وارتكاب المنهيات - ومعرفة ذلك كلّه مستفادة من الشرع المعروف بالمشرع المدعى الرسالة الشاهدة على صدق دعواه معجزته المحتملة قبل النظر فيها للصدق المفضي ترك النظر فيه الى الضرر المستحثّ الطبع على الحذر الداعي الى النظر المؤدّي الى معرفة صدق المشرع المستلزم التصديق به المفضي الى السلامة من المحذور وسعادة الابد ودوام السرور في جوار المولى الكريم الغفور فهذا معنى ما اشار اليه الامام حجة الاسلام الفاضل رضي الله عنه في قوله والطبع قابل وفي كون الطبع قابلا للخير وتبديل الصفات الذميمات بالصفات الحميدات قلت هذه الابيات *

نعود فعال الخيــر مع كل فاعل * بتبديل طبــع للتبدل قابل
فنفس الفتى ان راضها مهرت بها * نجاة وعز واكتساب فضــائل
وان لم يرضهــا كلب مزبلــة بها * هلاك وذل واكتســاب رذائل
قلت واذا كان الطبع غير قابل بالمــوحدة فلا شك انه قائل بالمثناة من
فوق كما ذكرت فيما تقدم والله اعلم * فهذا ما اقتصرت عليه من التنبيــه
على المقاصد المشتملة عليها الاربع الكلمات المذكورات في قول الامام ابي
حامد رضي الله عنه التي ذكر السائل انه لم يفهمها عالم زمانهــم الفاضل *
ولعمري ان بسط الكلام فيها يستدعي تصنيف كتاب كامل - وفيمــا ذكرت
من ذلك كفــاية عن التوغل في ميــدان بعيــد الغاية - ولنعــد
على الفور الى ما كنا بصدده من ذكر الدور * قال بعض ائمتنــا ليس في
هذه المسئلة دور لان معجزات الانبياء عليهم السلام تبهر عقول الانام فمن رآه
و سمع بها ولم يجب اليها ولا نظر فيها فهو مقصر لان ظهورها موجب
للنظر والشرع ثابت بظهورها وان لم يثبت عنــده والوجوب متــوقف
على ثبوت الشرع بالمعجزات لا على العلم بثبوته فكم من واجب يتوجه
على المكلف وهو غير عالم به - انتهى معنى كلامه مختصرا * قلت وهذا
نحو مما اشار اليه امام الحرمين رضي الله عنه في هذه المسئلة حيث
قال شرط الوجوب عندنا ثبوت السمــع الدالّ عليه مع تمكــن المكلف من
الوصول اليه - وقال ايضا مخاطبا للخصوم هذا الذي الزمتمونا في المعقول
ينعكس عليكم في قضايات العقول فان الموصل الى العلم يوجب النظر في
مجاري العبر عندكم ان العاقل يخطر بباله تجويز صانع يطلب منه معرفته
و شكره على نعمه - ولو عرفه وشكــره لنجا ورجا الثواب - ولو كفر واستكبر
لتصدى لاستحقاق العقــاب - فاذا تقابل عنده الجــائزان - وتعارض لديه
الاحتمالان - فالعاقل يقتضي باختيار ما يتوقع فيه النعيم المقيــم - واجتناب
ما يخشى فيه العذاب الاليم - فكذلك المعجزة اذا ظهرت وتمكن العاقل
من دركها كانت بمثابة جريان الخاطرين على زعم الخصم فاذا جريا فامكان
النظر في اختيار احدهما كامكان النظر في المعجزة عند ظهورها - قال ويلزم
الخصوم في مدارك العقول - عند الغفلة والذهول - ما الزمونا في منتضى

الشرع المنقول - فان من ذهل عن هذه الخواطر - وغفل عن هذه الضمائر - لا يكون عالما بوجوب النظر هذا ما اختصرته من كلامه غير ملتزم للفظه بل معنى مرامه - مع تقديم وتاخير مخالف لسلك نظامه * قلت وبعد هذه كله فاعلم ايها السائل ان من شرح الله صدره للاسلام وحبب اليه الايمان ووفقه لسلك طريق الهدى وترك طريق الردى لا يسلك في طلب معرفة الله عز وجل طريق اهل المراء والجدال حتى يقول لا انظر في المعجزة او في الادلّة السمعية حتى اعلم صدق صاحبها ولا اعلم صدقه حتى انظر فيها - ونحو ذلك من مدافعة الحق ودعاة من ليس بموفق واصطلاح - من ليس فيه صلاح - ولا لاح عليه فلاح - بل يبادر الى النظر فيها لاحتمال صدقها المترتب على التصديق به السعادة الكبرى وعلى التكذيب به الشقاوة العظمى - فاذا علم صدقها سارع الى التصديق بها والعلم النافع والعمل ولم يشتغل بعلم المغالطات والتشدق بالجدل كاشتغال الخالين عن الخوف والوجل الناسين لذكر الله عز وجل * فهذا كاف في دفع ما ذكرت من الشبهة الاولى في الوجه الاول وشاف فيما طلبت من فتق صميمها وقشر اديمها لمستبصر في طريق الهداية - موفق بتاييد العناية - لم تترو عروقه من منهل البدعة والغواية - فان ترويت من ذلك المنهل الوخم فاغسل يدك من صحة شاربه السقيم ووصوله الى منهل السنة العذب ذي النعيم وانشد على روس الملا متمثلا *

فدونك يا ماء العذيب تعرضت * مياه وخيمات عن الوصل صدت

اما ما ذكرت من الشبهة الثانية في الوجه الثاني بقولك انما يصح الاستدلال بكلام الله تعالى مهما كان عدلا حكيما لا يفعل القبيح ولا يريده فاما مع تجويزكم القبيح عليه وارادته بكل الكائنات من وجوه الفساد من كفر وظلم وسواه فما الثقة بكلامه الى آخره - فاعلم وما اظنك تعلم لما خالطك من الوخم فاعمى واصم انه تعالى لا ينسب اليه قبح ولا ظلم اذ لا ينصوران منه بدليل العقل و النقل اما العقل * فها انا اقدم طرفا منه كالتوطئة والتمهيد ثم اذكر بعد النقل منه طرفا رداً له وردفا - فاقول وبالله التوفيق اما دلالة العقل على ذلك فلان الظالم هو المتصرف في ملك

غيره هذا قول جميع ائمة الهدى والاتباع - وعليه انعقد الاجماع - قبل ظهور الابتداع * قلت او في ملكه على وجه مخالف لحكم حاكم عليه يلزمه طاعته وليس الله تعالى متصرفا في ملك غيره ولا مخالفا لحكم من يلزمه طاعته اذ لا مالك سواه ينسب الملك اليه - ولا حاكم غيره يحكم عليه - بل هو المالك للعبيد - والحاكم بما يريد - له الخلق والامر والعزة والقهر والعظمة والكبرياء والقدرة والعلاء والعلم والحكمة والسلطان والسطوة - لا يجري في ملكه الا ما يشاء - ولا يوجد الا ما سبق به القضاء - يعطي ويمنع - ويضر وينفع - ويخفض ويرفع - ويجلب ويدفع - ويفرق ويجمع - كل نعمة منه فضل - وكل نقمة منه عدل - لايسأل عما يفعل وهم يسئلون - والقبح والحسن يطلقان على معان مختلفة - منها ان يوصف الشيء الملائم للطبع بالحسن وغير الملائم بالقبح ومنها ان يوصف الشيء الكامل بالحسن والناقص بالقبح - فهذان المعنيان عقليان بلا خلاف ولكن ليس المراد هنا وانما المراد ما يتعلق به في الاجل ثواب او عقاب فهذ الحكم فيه للشرع دون العقل لوجوه - الاول ما تقدم من قوله تعالى [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] - الثاني ان العقل لا مجال له في الاهتداء الى معرفة الآخرة وما فيها من الثواب والعقاب - الثالث ان الفعل القبيح كالكذب مثلا قد يزول قبحه ويحسن عند اشتماله على مصلحة راجحة على مفسدته والاحكام البديهية ككون الكل اعظم من جزئه لا تزول بسبب اصلا - فقول المعتزلة ان بديهة العقل تحكم بالتحسين والتقبيح ليس بصحيح - الرابع ان افعال الخلق قد دلّ الدليل على وقوعها بقدرة الله تعالى وارادته وان المخلوق غير مستبد بالاختراع - قال ائمتنا رضي الله عنهم ومنهم الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي وهذا لفظه - وكيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما تتحير فيه عقول ذوي الالباب - فكيف انفردت هي باختراعها دون ربّ الارباب - وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكساب هيهات هيهات ذلّت المخلوقات - وتفرد بالملك والملكوت جبار السموات قلت والى صدور ذلك عن اختراع الاله الواحد - اشرت بقولي في بعض القصائد - في توحيد الرب الماجد - منتقلا من ذكر الغزل الى وصف الله عز وجل *

خليليّ ما نعمى ونعمان والحمى * وليلى وما ذكري للبنا ولبنان
دعاها فمقصودي سواها وانما * اكني بها عن عالي الوصف والشان
الهُ تعالى عن ثنا (sic) وصف واصف * مجيد وذي جود رحيم ورحمان
تقدس في اسمائه وصفاته * وفي ذاته عن كل عيب ونقصان
عليم بكل الكائنات وخالق * لها باختراع منه من غير اعوان
فكن كون الاكوان من غير حاجة * الى فعل آلات وقول وازمان
له الحمد حقا وحده دون غيره * على ذالك قد دلّت قواطع برهان
ويكفي دليلا قولنا الحمد والثنا * لوصفَيْن محمودَيْن حسن واحسان
وليس كلا الوصفين الا لصانع * حكيم جواد واحد ما له ثان
فكل جميل او جمال فجوده * وصنعته عن حكمة ذات اتقان
وذلك كل الكائنات جمادها * ومائعها مع كل نام وحيوان
فلا عرض او جوهر غير خلقه * ولا جسم الا خلق خلاق اكوان
فما النحل ثم العنكبوت لتهتدي * الى صنعة من غير الهام رحمان
ولا فطنة في صنعة ثم حكمة * وعلم اتت الا بتعليم منان
ولا قدرة عند الورى او ارادة * سوى خَلْق سلطان علا كل سلطان
فحاشاه من وجدان ما لا يريده * على ملكه يعلو اذاً ملك شيطان
وافعاله فضل وعدل تصرفا * بملك يراه ليس بالظالم الجاني
وليس بذا قبح كما ظن جاهل * نحا باعتزال نحو مذهب خذلان
ولكن فيه حكمة اي حكمة * فلا نقمة الا بها سرّ ديّان
ولا نعمة الا ومن عنده اتت * اليك وان جائتك من عند انسان
فيا رب وفقنا لشكر لنا به * مزيد من النعماء في نص قرآن
واكمل لنا دينا اليك مقربا * بتحقيق ايمان وايقان عرفان
وصل على زين الوجود محمد * امام الورى ما غردت ورق اغصان

قلت وسياتي ذكر مباحث عقلية ايضا بعد الادلّة النقلية ان شاء الله تعالى اعني ما وعدت به ان يكون ردفا والوعد ينبغي فيه الوفاء * فاما النقل فنصوص الكتاب والسنة ناطقة مع اجماع الامة قبل ظهور البدعة ان افعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وارادته والاستشهاد من ذلك بالقليل يخرجنا

الى حيز التطويل فليقتصر من ذلك على ما يحصل به الكفاية في الارشاد الى الايمان به والله ولي الهداية * فمن ذلك قوله تعالى [الله خالق كل شيء] وقوله سبحانه [والله خلقكم وما تعملون] وقوله تعالى [الا له الخلق والامر] وقوله سبحانه [الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير] وقوله تعالى [انا كل شيء خلقناه بقدر] وقوله سبحانه [من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم] وقوله تبارك وتعالى [اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم] وقوله جل جلاله [ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة] وقوله سبحانه [وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه] وقوله عز من قائل [ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون] وقوله تبارك وتعالى [فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون] وقوله تعالى [سنستدرجهم من حيث لا يعلمون] وقوله سبحانه [واضله الله على علم] وقوله عزوجل [ومن يضلل الله فماله من هاد] وقوله تبارك وتعالى [ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله] وقوله سبحانه [ولو شاء الله ما اشركوا] وقوله عز وجل [ولو شاء ربك ما فعلوه] وقوله تعالى [وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين] وقوله جل وعلا [ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا] وقوله سبحانه [ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها] وقوله تعالى [اتريدون ان تهدوا من اضل الله] وقوله عز وجل [ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها] وقوله تعالى [وكذلك زينا لكل امة عملهم] وقوله سبحانه [واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا] جاء في التفسير امرنا اي كثرنا * تقول امر بنو فلان بكسر الميم اذا كثروا - قلت ومن ذلك قول موسى عليه السلام لقد جئت شيئا امرا اي كبيرا بالباء الموحدة - وقول ابي سفيان لقد امر ابن ابي كبشة اى كبر وعظم * وقوله عزوجل حاكيا عن الخضر عليه السلام [لقيا غلاما فقتله] وفي الحديث الصحيح انه طبع يوم طبع كافرا وقوله تعالى حاكيا قول الكليم عليه الصلوة والتسليم [ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء] وقوله تبارك وتعالى حاكيا قول الخليل المكرم على الله عليه وسلم [تعذب

تعذب من تشاء وترحم من تشاء] وقوله سبحانه حاكيا قول شعيب عليه السلام
[قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما] وقوله
تعالى حاكيا قول نوح صلى الله عليه وسلم لقومه [ولا ينفعكم نصحي ان
اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون]
قلت وفي قوله هو ربكم اشارة الى ما ذكرت اولا من ان تصرف المالك
في ملكه ليس فيه ظلم اذ الرب في وضع اللغة المالك وهذا انما ظهر لي
عند وضع هذا الكلام اعني كون هذه الاشارة ظاهرة في التعليل * قلت
وكذلك قول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ان تعذبهم فانهم عبادك
فان الاشارة الى التعليل المذكور ايضا مفهومة من قوله فانهم عبادك
وقوله عز وجل مخبرا عن اولي الالباب ومعلما لنا الدعاء والاداب [ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت
الوهاب] قلت وهذه الاية الكريمة خاتمة ايات ثلاثين نسال الله الكريم
ان يختم لنا بها ولاحبابنا والمسلمين آمين * وهذا ما اقتصرت عليه من
الكتاب المبين مما خطر بالبال وحضر في الحال * واما الاحاديث
فاقتصر منها ايضا على ثلثين حديثا محذوفة الاسانيد - وطرق الروايات
منسوبة الى الكتب الستة التي هي الاصول لكتب الحديث والامهات
والمعتمد عليها في النقل والاستدلال في جميع الجهات وهي صحيحا
البخاري ومسلم وموطأ مالك وسنن ابي داود والترمذي والنسائي
رضي الله عنهم اجمعين * الحديث الاول روينا في صحيحي البخاري
ومسلم وسنن ابي داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان
احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك
ثم يكون مضغة مثل ذلك - ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويومر
باربع كلمات يكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد - فوالذي لا اله غيره
ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها - وان احدكم ليعمل

بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها * الحديث الثاني روينا في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بيّن لنا ديننا كانّا خلقنا الآن فيما العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل - قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله * الحديث الثالث روينا في صحيح مسلم ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة * الحديث الرابع روينا في صحيح مسلم وجامع الترمذي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال صلى الله عيه وسلم كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء * قال العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ او غيره لا اصل التقدير فان ذلك لا اول له * الحديث الخامس روينا في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف في كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز - وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان * قال العلماء المراد بالقوة عزيمة النفس في امور الآخرة وما يتعلق بالدين من الاقدام في الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى وانواع البلاء واحتمال المشاق في الطاعات والنشاط في العبادات من الاذكار والصوم والصلوات وغير ذلك من المهمات * الحديث السادس روينا في صحيح مسلم وسنن ابي داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال صلى الله عليه وسلم اولا تدرين ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه اهلا ولهذه اهلا * الحديث السابع

رويناه في الصحيحين وسنن ابي داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل صلى الله عليه وسلم عن اولاد المشركين فقال الله اعلم اذ خلقهم بما كانوا عاملين * قلت وسياتي في آخر الكتاب ذكر خلاف فيهم من اهل السنة والصحيح انهم في الجنة لحديث صحيح ياتي ذكره هنالك * الحديث الثامن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم حاجّ آدم موسى فقال انت الذي اخرجت الناس من الجنّة بذنبك واشقيتهم فقال آدم لموسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه اتلومني على امر كتبه الله تعالى قبل ان يخلقني او قدره علي قبل ان يخلقني قال صلى الله عليه وسلم فحجّ ادم موسى اخرجه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والنسائي * قلت وانما حجّه لانه لامه على ذنبه بعد التوبة منه والذنب بعد التوبة غير مواخذ به بفضل الله تعالى واما قبل التوبة فالقدر لا يقوم به حجة للمذنبين لانهم مواخذون بعدل الله تعالى * الحديث التاسع رويناه في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت سئل صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فقال كان عذابا يبعثه الله عز وجل على من كان قبلكم فجعله رحمة للمؤمنين ما من عبد يكون في بلد يكون فيه الطاعون فيمكث فيه ولا يخرج صابرا محتسباً يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد * الحديث العاشر رويناه في صحيح البخاري ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء * الحديث الحادي عشر رويناه في صحيح البخاري ايضا عن سهل ابن سعد رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليعمل عمل اهل النار وهو من اهل الجنة ويعمل عمل اهل الجنة وهو من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم * الحديث الثاني عشر رويناه في صحيح البخاري ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم جفّ القلم بما انت لاق * الحديث الثالث عشر رويناه في صحيح البخاري ايضا عن عمران ابن الحصين رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم كل يعمل لما

خلق له او لما تيسر له * الحديث الرابع عشر روينا في صحيح البخاري ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه * الحديث الخامس عشر روينا في صحيح البخاري ومسلم وسنن ابي داود عن علي كرم الله وجهه قال كنّا في جنازة ببقيع الغرقد واتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد - وقعدنا حوله - وبيده مِخْصَرة فجعل ينكت بها الارض (وفي رواية بعضهم عود) فقال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار او من الجنة - فقال رجل من القوم لا نتكل يا رسول الله قال لا اعملوا فكل ميسر وفي رواية بعضهم فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له الحديث *

الحديث السادس عشر روينا في صحيح مسلم عن يحيى بن يعمر رحمه الله تعالى قال كان اول من قال بالقدر في البصرة معبد الجهني فانطلقت انا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجّين او معتمرين فقلنا لو لقينا احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر - فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما داخلا المسجد فاكتنفته انا وصاحبي احدنا عن يمينه والآخر عن شماله - فظننت ان صاحبي سيَكِلُ الكلام اليّ فقلت ابا عبدالرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤن القرآن ويتقفّرون العلم وذكر من شأنهم وانهم يزعمون ان لا قدر وان الامر أنُفٌ - قال فاذا لقيتَ اولئك فاخبرهم اني بريءٌ منهم وانهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر - ثم قال حدثني ابي عمرُ بنُ الخطاب قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منّا احدٌ حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فَخِذَيْهِ وقال يا محمد اخبرني عن الاسلام - فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام أنّ

تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعتَ اليه سبيلا - فقال صدقت - فعجبنا له يسأله ويصدقه - قال فاخبرني عن الايمان - فقال أنْ تومن بالله وملائكته وكتُبِه ورسُلهِ واليوم الآخر وتؤمنَ بالقدر خيره وشرّه - قال صدقت - قال فاخبرني عن الاحسان - قال ان تعبد الله كانّك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك - قال فاخبرني عن الساعة - قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل - قال فاخبرني عن امارتها - قال ان تلد الامة ربَّها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان - قال ثم انطلق فلبثت مليا - ثم قال يا عمر أتدري مَنْ السائل - قلت الله ورسوله اعلم - قال فانه جبريل اتاكم يعلّمكم دينكم - اخرجه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم وقوله يتقفرون هو بتقديم القاف على الفاء ومعناه يطلبونه ويتبعونه هذا هو المشهور - وقيل معناه يجمعونه - ورواه بعضهم بتقديم الفاء وهو صحيح ايضا ومعناه يبحثون عن غامضه ويستخرجون خفيه - وروي في غير مسلم يقتفون بتقديم القاف وحذف الراء وهو صحيح ايضا ومعناه ايضا يتبعون - وقال بعضهم يتقعرون بالعين وفسّره بانهم يطلبون قعره اي غامضه وخفيه ومنه متقعر في كلامه اذا جاء بالغريب منه - وفي رواية بعضهم يتفقهون بزيادة الهاء وهو ظاهر * قلت هذا مختصر كلام شرّاح الحديث رحمهم الله تعالى * وقوله يزعمون ان لا قدر وان الامر انف هو بضم الهمزة والنون اي مستانف لم يسبق به قدر ولا علم من الله وانما يعلمه بعد وقوعه - قال ائمتنا وهذا قول غلاتهم وليس قول جميع القدرية وكذب قائله وضل وافترى - قلت يعنون ان القدرية صنفان احدهما ينفي القدر والعلم معا والثاني ينفي القدر فحسب - وسيأتي ان شاء الله ايضاح ذلك وبيان حكم الصنفين في التكفير - وان الاول منهما كافر بلا خلاف وهم الذين اراد ابن عمر وكلامه ظاهر في تكفيرهم - وفي الثاني اختلاف بين ائمة اهل الحق والله اعلم * الحديث السابع عشر روينا في صحيح مسلم وجامع الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقـــر انا كل شيء خلقناه

بقدر قلت فهذه سبعة عشر حديثا كلها في القدر وكلها صحاح رويناها في الصحيحين معا وبعضها في احدهما كما ترى مع زيادة ما ذكرت من رواية ما في الكتب الستة التي هي اصول الاسلام وامهات الاخبار ورواتها الذين ذكرتهم من سادات الصحابة رضي الله عنهم عشرة عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود وابو هريرة وعمران بن الحصين وجابر بن عبدالله وسهل بن سعد وعمرو بن العاص وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم * وها انا اردفها باحاديث اخرى في القدر ايضا مما اخرجه ابو داود والترمذي وهي ثلاثة عشر تتمة الثلاثين التي وعدت بها *

الحديث الثامن عشر روينا في سنن ابي داود عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني محمد رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر * الحديث التاسع عشر روينا في سنن ابي داود عنه صلى الله عليه وسلم انه سأله رجل من مزينة او جهينة فقال يا رسول الله فيما يعمل في شيء خلا ومضى او شيء يستانف لآن - قال في شيء خلا ومضى - فقال الرجل او قال بعض القوم ففيم العمل قال ان اهل الجنة ميسّرون لعمل اهل الجنة وان اهل النار ميسّرون لعمل اهل النار * الحديث العشرون روينا في جامع الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشرّه وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه * الحديث الحادي والعشرون روينا في سنن ابي داود والترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لابنه عند الموت يا بنيّ انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك - فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اوّل ما خلق الله القلم قال له اكتب فقال يا رب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيءٍ حتى يوم القيمة - فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من

مات على غير هذا فليس مني * الحديث الثاني والعشرون روينا في كتاب الترمذي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله الّا ان تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا وقال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا * فقال اصحابه ففيمَ العمل يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه - فقال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل - ثم قال صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير قال الترمذي وفي الباب عن ابن عمر هذا حديث حسن صحيح غريب * الحديث الثالث والعشرون روينا في كتاب الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق كل نفس وكتب حياتها ورزقها ومصائبها ومحابها وهذا بعض الحديث * الحديث الرابع والعشرون روينا في كتاب الترمذي ايضاً عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه سلم ان الله خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضلّ - فلذلك اقول جف القلم على علم الله * الحديث الخامس والعشرون في الرضاء بالقدر روينا في جامع الترمذي ايضا عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله * الحديث السادس والعشرون في ذمّ القدرية روينا في سنن ابي داود عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة القدرية الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه فهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال - زاد في رواية

فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم الكلام * الحديث السابع والعشرون روينا في كتاب الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال صنفان من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجية والقدرية * الحديث الثامن والعشرون روينا في سنن ابي داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في هذه الامة خسف ومسخ وذلك في المكذبين بالقدر - رواه ابن عمر رضي الله عنهما - قال وعن نافع ان رجلا اتى ابن عمر فقال ان فلانا يقرأ عليك السلام الرجل من اهل الشام فقال ابن عمر انه بلغني انه قد احدث التكذيب بالقدر فان كان قد احدث فلا تقرئه مني السلام فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في هذه الامة خسف ومسخ الحديث * الحديث التاسع والعشرون روينا في كتاب الترمذي عن ابي عزة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله لعبد ان يموت بارض جعل له اليها حاجة * قلت ومن هذا ما نقل انه جاء بعض الناس الى سليمن ابن داود عليهما السلام وقال له يا نبي الله اريد منك ان تامر الريح يحملني الى بلاد الهند فان لي فيها حاجة في هذه الساعة - والحّ عليه في ذلك فقال له نعم وامر الريح ان تحمله فلما خرج من عنده التفت سليمن فرای ملك الموت عليه السلام قائما عنده وراه متبسّما فسأله عن تبسّمه - فقال يا نبي الله تعجبت من هذا الرجل فاني أمرت بقبض روحه في ارض الهند في هذه الساعة فبقيت مفكرا كيف يصل الى بلاد الهند في هذه الساعة فلما سألك ان تامر الريح تعجبت من ذلك - انتهى * وفي هذا المعنى قلت *

فمن لم تاته منا المنايا * الى اوطانه يوما اتاها
كما قال الذي عزى نفوسا * وقوى في توكلها قواها
فمن كانت منيته بارض * فليس يموت في ارض سواها

عن الامام مالك رضي الله عنه انه بلغه انه قيل لاياس ما رايك في القدر فقال لا يعلم سرّه الاّ الله وكان يضرب به المثل في الفهم * قلت وممّا ضرب المثل به قول ابي تمام يمدح بعض الخلفاء قيل هو المامون وقيل هو المعتصم بشعر من جملته قوله *

اقدام عمرو في سمـاحة حاتم * في حلم احنف في ذكاء اياس
شبّهه في الشجاعة بعمرو بن معدي كرب وفي الكرم بحاتم طي المشهور
وفي الحلم بالسيد الجليل الاحنف بن قيس وفي الذكاء باياس بن معاوية
بن قرة الامام المشكور - فغضب بعض جلساء الممدوح من كبراء دولته من
تشبّهه اياه بعمرو وحاتم في شجاعته وسماحته وتكلم عليه في ذلك مصغرا
لهما في جنبه ومنكرا بالتشبيه باهل الكفر الذي لا يحمد فاطرق ابو تمام
مفكرا في ذلك ثم انشد *
لا تعجبوا ضربي له من دونه مثـ * لا شرودا في النـدي والبـأس
فاللـه قد ضـرب الاقل لنـوره * مثلا مـن المشـكاة والنبـراس
قلت يعني ان الله تعالى قد ضرب النور الاقل مثلا لنوره العظيم الاجل
وذلك قوله سبحانه [الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح]
الاية * فزال الغضب وتعجّبوا من براعة فطنته وانقاد قريحته غاية العجب
وسألوه عن اطراقه وسكوته - فذكر كلاما معناه انه افكر في شاهد يشهد له من
كلام العرب فلم يجده فاستفتح كلام الله فوجد فيه ما طلب - قلت لما لحقته
في ذلك الملامة افكر في شاهد يشهد لكلامه بالاستقامة فالتمس ذلك في
كلام العرب فلم يحصل له فيه إرَبٌ فارتحل بفكـره وانتقل الى كلام اللـه
عز وجل وغاص في بحر جواهر علومه على عجل في غوصه حتى انتهى
الى بحر جواهر النور فاستخرج منه جوهرة الشاهد المذكور * قلت والكلام
في هذا واشباهه يطول ويخرجنا مما نحن له قاصدون - فلهذا اخترت الاضراب
عن ذكر شيءٍ من المحاسن والآداب وحلم الاحنف بن قيس المذكور وما
ذكر من تعلمه ذلك من قيس بن عاصم المشهور - رجعنـا الى ما كنا
بصدده وعن الامام مالك ايضا انه سأله رجل عن القدر فقال الست تومن
به قال بلى فقال حسبك حدثني على بن الحسين عن ابيه رضوان الله
عليهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تَرْكُهُ مَا لَا
يعنيه وبلغه ايضا انه قيل للقمان رضوان الله عليه ما بلّغ بك الى ما يُرى
قال اداء الامانة وصدق الحـديث وتركى ما لا يعنينـي وقال الامام
محي الدين النووي رضي الله عنه قال الامام ابو المظفر السمعاني

رضي الله عنه سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفا النفس ولا يصل الى ما يطمئن به القلب لان القدر سرّ من اسرار الله تعالى ضُرِبَتْ دونه الاستار واختص الله تعالى به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة و واجبنا ان نقف حيث حدلنا ولا نتجاوزه - وقد طوى الله تعالى علم القدر عن العالم فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب - وقيل ان سرّ القدر ينكشف لهم اذا دخلوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها * الحديث الثلثون روينا في كتاب الترمذي عن ابى هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر - فغضب حتى احمرّ وجهه حتى كانما فقئ في وجنتيه حب الرمان - وقال ابهذا امرتم ام بهذا ارسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الامر عزمت عليكم ان لا تتنازعوا فيه * قلت فهذه ثلثون حديثا في القـــدر جمعتها من الصحيحين وباقي الكتب الستة التي فضلها اشهر اخرجها كل امام حافظ نقاد خبير رووها بالاسانيد المتصلـــة ورواها عنهـــم الجـــم الغفيـــر في الامهات كما قدمت لكتب الحديث والاصول والوسيلة التي يحصل بها الى معرفة السنة الوصول عليهـــا اعتمـــد العلماء عليها في جميـــع الاعصار وبها استدلّ الفقها في جميع الامصار * وقد قدمت ان سبعة عشر حديثا من الثلاثين المذكورة كلها صحاح روينا بعضها في الصحيحين معاً وبعضها في احدهما مع ما ذكرت من زيادة رواية باقي الكتب الستة الصحاح وذكرت ايضا ان رواتها عشرة من سادات الصحابة رضي الله عنهم وسمّينهم وقد زاد معهم في رواته الثالثة عشر ستة منهم * فجميع رواة احاديث القدر التي ذكرتها في هذا المختصر من الصحابة رضي الله عنهم ستة عشر * وجميع رواياتهم فيه مسندة لنا مسموعة وهذه اسماؤهم رضي الله عنهم مجموعة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن [illegible] وابو هريرة وعمران بن حصين وجابر بن عبد الله وجابر بن سمرة

وعبادة بن الصامت وسهل ابن سعد وعمرو بن العاص وابو عزة وعائشة بنت
أبي بكر * وروى ائمة الحديث في ذلك احاديث اخرى ايضا عن خلايق
من الصحابة غير المذكورين منهم ابو بكر الصديق وعبد الله بن عمر
العاص وانس بن مالك ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وابو سعيد ...
الدرداء و حباب بن الارب وابن حميد الساعدي وعديّ بن حاتم وابو سريحة
الغفاري وذو اللحية الكلاعي وسراقة بن جعشم وابو خزامة وأسمأ بنت
ابي بكر * وهولاء خمسة عشر الجملة احد وثلثون صحابيا مع غيرهم رضي الله
عنهم اجمعين * وجعلنا لهديهم متبعين وبديهم الحق ندين وجمع بيننا وبينهم
يوم الدين مع ساير الاحباب والمحبين آمين * قلت فما تقول ايها المعتزلي
في مجموع هذه الاخبار التي رواها ائمة الحديث الاعلام الاحبار عن الثقات
والسادات الاخيار عن المصطفى المكرم صلى الله عليه وسلم مع كثرتها وكثر
رواتها وكثرة مخرجها وشهرتها وحسنها وصحتها وكثرة طرقها وصريح منطوقها
الظاهر في اثبات القدر ووجوب الايمان به على طريق التواتر - أيترك الاحد بها
والايمان بمقتضاها ويقتصر على محض حكم العقول ونرمي (.sic) بحكم الشرع
وسنة الرسول والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه الذي على سائر
الكتب يزهو[وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا] فاي دين يبقى لنا
اذا رمينا سنة نبينا ونبذناها وراء ظهورنا وديننا انما هو متلقي منها اذ
مرجوع بيان احكام الكتاب اليها قال الله العظيم لنبيه الكريم عليه افضل
الصلوة والتسليم [وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزِلَ اليهم] هذا وايات
الكتاب المقدمات وغيرها موافقات للاحاديث المذكورات في اثبات القدر
كما مر وكذا اجماع سلف الامة اهل الاتباع قبل ظهور الابتداع وكذا النظر
الصحيح من العقل لا يحيل ما ورد في ذلك من النقل ومن الاجماع
المذكور اتفاق السلف فاطنة على قول ماشاء الله كان وما لم يشاء لم يكن *
وفي هذا المعنى انشد الحبر الفاضل بحر الفضايل السيد المعظم والامام
المقدم صاحب المرتبة العلية والمشهود له عند موته بالقطبية محمد بن
ادريس الشافعي القرشي المطلبي رضي الله عنه وارضاه وجعل في عا
الجنة ماراه *

ما شئتَ كان وان لم اشأ * وما شئتُ ان لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت * وفي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا اعنت وذا لم تعن
فمنهم شقيٌ ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
ومنهم فقير ومنهم غني * وكلٌّ باعماله مرتهن

روي ذلك عنه صاحباه المُزني والربيع * واما ما ذكرنا من اتصافه بالقطبية فذلك ما رواه الشيخ الامام شهاب الدين بن المُلق عن الشيخ الامام تاج الدين ابن عطاء الله من الشيخ الامام العارف بالله ابي العباس المرسي عن الشيخ الامام العارف بالله شيخ الشيوخ المشهود له بالقطبية ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم اجمعين - مع ما شهد به الخضر عليه السلام قبل ذلك بزمانه انه من الاوتاد - وذلك في قصيدة مشهورة رويناها في رسالة الامام القشيري المشهورة * قلت وفي قرب الاشيا من الوقوع بسوق القدر وبعدها عنه اذا لم يقدر احسن القائل الآخر *

الجد انهض بالفتى من عقله * فانهض بجدك في الحوادث او ذر
ما اقرب الاشيا حين تسوقها * قدرٌ وابعدها اذا لم تقدر

ولما كتب هذا المذكور الذي جمع فيه بين الجد والمقدور خطر لي ان انشد في ذلك واقول *

انظر جدك للغوايت لاحقا * وشريف عزمك المسوابق سابقا
وحميد رأيك للحوادث قائدا * ثم التمني للاماني سائقا
هيهات كل للمرام مخالف * لحكم حق لايزال موافقا
كل ابي ينقاد غير القائد * مقدور خلاق تبارك خالقا

قلت وهذه الابيات كالمعارضة للبيت الاول منهما فانه وان كان حسنا [1]

....

ولكن على ايجابه الروحاني الاول ثم ايجاب الروحاني ما دونه هل هذا الا

---

[1] In this place two folios of the MS. are missing.

بحكم لا معدول له ثم تكلم معهم في الطبائع و اجتماع العناصر واستدلّ على بطلان مذهبهم المقطوع بكفره بما لا حاجة الى ذكره اذ كفرهم ظاهر لا يحتاج الى نظر ناظر ثم انتقل الى الكلام في الاستدلال على بطلان التحسين والتقبيح العقليين وقال في اثناء ذلك و سبيلنا ان نوجر عليهم القول فنقول ما ادعيتم حسنه او قبحه ضرورة فانتم فيه منازعون وعن دعواكم مدفوعون واذا بطل ادعاء الضرورة في الاصول بطل رد النظريات اليها * قال وهذه الطريقة على اتخاذها يهدم اصول المعتزلة في التحسين والتقبيح و اذا تناقضت هذه الاصول وقولهم في الصلاح والثواب والعقاب وغيرها مثلّقا (؟) منها فنحسم عليهم ابواب الكلام في التعديل والتجويز * قلت يعني في جميع ما حكّموا فيه العقل من التحسين و التقبيح و ما بنوا على ذلك من وجوب الصلاح والا صلح واللطف والتعويض على الا لام على الله تعالى ومتشعب من ذلك مذهب اهل التناسخ * قال فيقال لهم لم ادعيتم العلم الضروري بالحسن والقبح مع علمكم بان مخالفيكم طبقوا وجه الارض واقل شرذمة منهم يربون على عدد التواتر ولا يسوغ اختصاص طائفة من العقلاء بضرب من العلوم الضرورية دون بعض مع استواء الجميع في مداركها * قال ومما يوضح الحق في دربهم عن دعوى الضرورة ان الذي ادعوه قبيحا على البديهة قد اطبق مخالفوهم على تجويزه واقعا من افعال الله تعالى مع القطع بكونه حسنا - فانهم قالوا الرب تعالى ان يولم عبدا من عبيده من غير استحقاق ولا تعويض على الالم و من غير جلب نفع ودفع ضرر موقفين على الالم ثم كما قطعوا بتجويز ذلك في احكام الله تعالى قطعوا بانه لو وقع لكان حسنا وهذا ما لا سبيل الى دفعه * وفيه فرض تحسين في الصورة التي ادعا المعتزلة العلم الضروري بالقبح فيها * قال وربما يشتغبون بالرجوع الى العادات ويقولون العقلاء يستحسنون الاحسان وانقاذ العرفي وتخليص الهلكى ويستقبحون الظلم والعدوان وان لم يخطر لهم السمع قلت يعني بالسمع حكم الشرع * قال وهذا تدليس وتلبيس فانا لا ننكر ميل الطباع الى اللذات ونفورها عن الالام والذي استشهدون من هذا القبيل - وانما كلامنا في ما يحسن من حكم الله تعالى وفيما يقبح فيه والدليل على ما قلناه ان العادة كما اطردت على

زعمهم في استقباح العقلاء واستحسانهم فكذلك استمرّ دأب ارباب الالباب في تقبيح تخلية العبيد والا ما يفخرون بعضهم ببعض ممرا من السادة ومسمع وهم متمكنون من حجر بعضهم عن بعض - فاذا تركوهم سدى والحالة هذه كان ذلك مستقبحا على الطريقة التي مهدوها مع القطع بان ذلک لا يقبح في حكم الاله سبحانه * قلت يعني ان ذلك واقع ومشاهد من عبيد الله الفاخرين بعضهم ببعض مع علمه تعالى بهم وقدرته على منعهم فوقوعه من اظهر الادلّة القاطعة على عدم قبحه في حكم المولى جلّ وعلا * وان كان قبيحا في حكم العباد فلا يقاس الغائب على الشاهد - اعنى لا يقاس حكم الله على حكم عبيده اذ لا يتصور القبيح في حكمه اصلا لا شرعا ولا عقلا * قال وربما يسوّغون لاثبات وجوب شكر المنعم عقلا صنيعةً فيقولون ان العاقل اذا علم انه له ربا جوّز في ابتداء نظره ان يريد منه الرب المنعم شكرا او لو شكره لاثابه واكرم مثواه ولو كفر لعاقبه وارداه فاذا نظر له الجائزان فالعقل يرشده الى اثبات ما يؤدّى الى الأمن من العقاب وارتقاب الثواب * وضربوا لذلك مثلا فقالوا من يصدي له في سفرته مسلكان يؤدّي كل واحد الى مقصده واحدهما خلي عن المخاوف عري من المتالف والثاني يشمل على المعاطب واللصوص وضواري السباع ولا غرض له في السبيل المخوف فالعقل يقضي بسلوك السبيل المأمون * قال وهذا الذي ذكروه له ما قالوه فانه يعارضه خاطر آخر يناقضه وذلك ان يخطر للعاقل انه عبد مملوك مخترع مربوب وان ليس للملوک الا ما اذن له مالكه ولو اتعب نفسه وانصبها لصارت مكدودة مجهودة من غير اذن ربها - وقد يعتضد هذا الخاطر عنده بان الرب غني عن شكر الشاكرين متعال عن الاحتياج وان تعالى كما يسدى النعم قبل استحقاقها لايبتغى بدلا عليها - فاذا عارض هذا الخاطر ما ذكروه قضى العقل بتوقف من خطر له الخاطران قال - ومما يوكد ما قلناه ان الملک العظيم اذا منح عبدا من عبيده كسرة من رغيف ثم اراد ذلک العبد ان يدور في المشارق والمغارب ويثني على الملک بما حباه ويشكر عطاءه وينصّ على انعامه فلا يعد ذلک مستحسنا فان ما صدر من الملک بالاضافة الى قدره

نزير مستحقر نافه مستصغر وجملة النعم بالاضافة الى قدر الله تعالى اقلّ واحقر من كسيرة رغيف بالاضافة الى ملك ملك * قال فان اردنا ان ينقض عليهم ما ذكروه من وجه اخر فرضنا الكلام فيمن لم يخطر له المنعم او لا فنقول هذا قولكم فيمن خطرت له الفكر وعنت له العبر فما قولكم في العاقل الذاهل الذي لم يخطر بباله شيء نهذا قد فقد الطريق الى العلم بالوجوب والشكر حتم عليه * قال وهذا عظيم موقعه على الخصوم فان قالوا لا بدّ ان يخطر الله تعالى ببال العاقل في اول كمال عقله ما ذكرناه فهذا تلاعب بالدين فكم من عاقل متماد في غوايته مصتمر على غرته لم يخطر له قط ما ذكروه ثم هذه الخواطر في ابتداء النظر شكوك والشك في الله تعالى كفر والرب تعالى لا يخلق الكفر على اصولهم فان قالوا يبعث الله تعالى الى كل عاقل ملكا يختم على قلبه ويقول في نفسه قولا يسمعه فهذا بهت عظيم واثبات كلام لم يسمعه ذوعقل وفيه نقض اصلهم في استبعاد الكلام سوى الحروف والاصوات * وقال ايضا في الهدي والضلال والختم والطبع اعلم وفقك الله لمرضاته ان كتاب الله العزيز اشتمل على آيٍ من القران دالة على تفرد الرب تبارك وتعالى بهداية الخلق واضلالهم والطبع على قلوب الكفرة منهم هي نصوص من ابطال مذاهب مخالفي اهل الحق ونحن نذكر عن صيامن ايات الهدي والضلال ثم نتبعها بالاى المحتوية على ذكر الختم والطبع فمما يعظم موقعه عليهم قوله تعالى [والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم] وقوله تعالى [انك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء] وقوله تعالى [من يهدى الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئک هم الخاسرون] واعلم ان الهدى في هذه الآي لاينتجه حمله الا على خلق الايمان وكذلک لاينتجه حمل الضلال على غير خلق الضلال ولسنا ننكر ورود الهداية في كتاب الله على غير هذا المعنى الذي ذكرنا فقد ترد والمراد بها الدعوة * قال الله تعالى [وانّک لتهدى الى صراط مستقيم] معناه وانک لتدعو وقد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المومنين الى مسالک الجنان والطرق المفضية اليها يوم القيمة * قال الله تعالى [فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم] فذكر تعالى المجاهدين في سبيله وعنى بهم

المهاجرين والانصار ثم قال سيهديهم فتعيّن حمل الهداية على ما ذكرناه * وقال تعالى [فاهدوهم الى صراط الجحيم] معناه اسلكو بهم اليها والمعنى بقوله تعالى [فاما ثمود فهديناهم] الدعوة ومعنى الاية انا دعوناهم فاستحبوا العمى على ما دعوا اليه من الهدى * قال وانما اشرنا الى انقسام معنى الهدى والضلال ليحيطوا علما بانا لا ننكر ورود الهدى والضلال على غير معنى الخلق ولكنا خصصنا استدلالنا بالآي التي صدرنا الفصل بها ولا سبيل الى حمله على الدعوة فانه تعالى فصّل بين الدعوة والهداية فقال [والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء] فخصص الهداية وعمم الدعوة وهذا مقتضى ما استدللنا به من الايات ولا وجه بحملها على الارشاد الى طريق الجنان فانه تعالى علق الهداية على مشيئته واختياره وكل من يستوجب الجنان فحتم على الله عند المعتزله ان يدخله الجنة * وقوله تعالى [فمن يُرِدِ اللّه ان يهديَه يشرح صدره للاسلام] مصرّح باحكام الدنيا وشرح الصدر وحرجه وذكر الاسلام من اصدق الآيات على ما قلنا وان استشهد المعتزلة في روم حمل الهداية على الدعوة او غيرها مما يطابق معتقدهم بالايات التي تلوناها فالوجه ان تقول لا بُعدَ في حمل ما استشهدتم به على ما ذكرتموه وانما استدللنا بالايات المفصلة المخصصة للهدى بقوم والضلال باخرين مع التنصيص على ذكر الاسلام وشرح الصدر له ولامجال لتاويلاتهم المزخرفة في النصوص التي استدللنا بها قال واما آيات الطبع والختم فمنها قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم * وقوله تعالى [وجعلنا قلوبهم قاسية] قال وقد حارت المعتزلة في هذه الآيات واضطربت بها اراؤهم فذهبت طائفة من البصريين الى تسمية الرب تعالى الكفرة بنبز الكفر والضلال قالوا فهذا معنى الطبع قال ولاخَفَاءَ بسقوط هذا الكلام فان الرب تعالى تمدح بهذه الايات واثباتها عن اقتداره واقتداره على ضمائر العبد واسراره و بين ان القلوب بحكمه يقلبها كيف شاء وصرح بذلك في قوله تعالى و يقلب افئدتهم وابصارهم فكيف يستجاز حمل هذه الآيات على تسمية وتلقيب وكيف يسوغ ذلك التلبيب والواحد منا لا يعجز عن التسميات والتلقيبات فما وجه استيثار الرب بسلطانه قال وجهل الجبائي

وابنه هذه الآيات على محمل بشع مؤذن بقلة اكرامهما بالدين وذلك انهما قالا من كفر وسم الله قلبه بسمة يعلمها الملائكة فاذا ختموا على القلوب تميزت لهم قلوب الكفار من أفئدة فهذا معنى الختم عندهما وما ذكراه مخالفة لنص الكتاب وفحوى الخطاب فان الآيات نصوص في ان الله تعالى يصرف بالطبع والختم عن سبيل الرشاد - من اراد صرفه من العباد فانه تعالى قال [وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه] فاقتضت الاية - كون الاكنة مانعة من ادراك الحق - والسمة التي اخترعوا القول بها لا يمنع من الادراك والى متى نتعدى غرضنا في الاختصار وقد وضح الحق وحصحص واستبان عناد المخالفين في تاويلاتهم والله الموفق للصواب * ثم قال في الاستطاعة وحكمها - العبد قادر على كسبه وقدرته بانية عليه - وذهبت الجبرية الى نفي القدرة وزعموا ان ما يسمى كسبا للعبد او فعلا له فهو على سبيل التجوز والتوسع في الاطلاق والحركات الارادية بمثابة الرعدة والرعشة * قال الدليل على اثبات القدرة ان العبد اذا ارتعدت يده ثم حركها قصدا فانه يفرق بين حالتيه في الحركة الضرورية والحركة التي اختارها واكتسبها - والتفرقة بين حالتي الاضطرار والاختيار معلومة على الضرورة ويستحيل رجوعها الى اختلاف الحركتين - فان الضرورة مماثلة الاختيارية قطعا ولكل واحدة من الحركتين ذهاب في جهة واحدة وانتقال اليها - ولا وجه في ادعاء افتراقهما بصفة مجهولة يدعى - فان ذلك يحسم طريق العمل متماثل كل مثلين - فاذا لم ترجع التفرقة الى الحركتين تعين صرفها الى صفة المتحرك وليس ذلك الا القدرة ثم نسلك بعد ذلك سبيل السبر والتقسيم في اثبات القدرة - فنقول يستحيل رجوع التفرقة الى نفس القائل من غير مزيد فان الامر لو كان كذلك لاستمرت صفة النفس ما دامت النفس - فاذا رجعت التفرقة الى زائد على النفس لم يخل ذلك الزائد من ان يكون حالاً او عرضاً - وباطل ان يكون حالا فان الحال المجردة لا تطرأ على الجوهر بل تتبع موجودا طاريا - وان كان ذلك الزائد عرضا فتعين كونه قدرة فانه ما من صفة من صفات المكتسب عند القدرة الا ويتصور ثبوتها مع الاقتدار و ينتفي معظم الصفات المغايرة للقدرة مع ثبوت القدرة والقدرة الحادثة

عرض من الاعراض وهي غير باقية وهذا حكم جميع الاعراض عندنا واطبقت المعتزلة على بقاء القدرة • والدليل على استحالة بقاء جميع الاعراض انها لو بقيت لاستحال عدمها * قال ويفرض هذا الدليل في القدرة ثم سنبين اطراده فيما عداها فنقول لو بقيت القدرة ثم قدر عدمها لم يخل القول في ذلك اما ان يقدّر انتفاؤها بضد وهو مذهب المخالفين واما ان يقدر انتفاؤها بانتفاء شرط لها وباطل تقدير عدمها بطريان ضد فانه ليس الضد الطاري بنفي القدرة اولى من ردّ القدرة الضد ومنعها اياه من الطريان * ثم اذا تعاقب الضدان فالثاني يوجد في حال عدم الاول - فاذا تحقق عدمه فلا حاجة الى الضد وقد يصرم ما قبله * وباطل ان يقال تنتفي القدرة بانتفاء شرطها فان شرطها لا يخلو اما ان يكون عرضا واما ان يكون جوهرا • فان كان عرضا فالكلام في بقائه وانتفائه كالكلام في القدرة * وان كان جوهرا فلا يتصور مع القول ببقاء الاعراض انتفاء الجواهر فان سبيل انتفائها قطع الاعراض عنها - فاذا قضي ببقاء الاعراض لم يتصور عدمها فاذا امتنع تقدير عدمها امتنع عدم الجوهر وبطل المصير الى ان القدرة تعدم باعدام الله تعالى اياها - فان الاعدام هو العدم والعدم نفي محض ويستحيل ان يكون المقدور نفيا اذ لا فرق بين ان يقال لا مقدور للقدرة وبين ان يقال مقدورها منتف * قال واذا ثبت استحالة بقاء القدرة الحادثة فانها يقارب حدوث مقدوراتها ولا يتقدم عليه ولو قدرنا سبق الاعتقاد الى بقاء القدرة لما استحال تقدمها على وقوع مقدوراتها ولذلك يجب القطع بقدم القدرة الازلية على وقوع المقدورات * ولما ثبت ان القدرة الحادثة لا تبقى ترتب على ذلك استحالة تقدمها على المقدور فانها لو تقدمت عليه لوقع المقدور مع انتفاء القدرة * و ذلك مستحيل * والحادث في حال حدوثه مقدور بالقدرة القديمة وان كان متعلقا للقدرة الحادثة فهو مقدور بها واذا بقي مقدور من مقدورات الباري تعالى وهو الجوهر اذ لايبقى غيره من الحوادث فلا يتصف في حال بقائه واستمرار وجوده بكونه مقدورا اجماعا • وذهبت المعتزلة الى ان الحادث في حال حدوثه يستحيل ان يكون مقدورا للقديم والمحدث وهو بمثابة الباقي المستمر وانما يتعلق القدرة بالمقدور في حال عدمه وقالوا على طرد ذلك يجب

تقدم الاستطاعة على المقدور ويجوز مقارنة ذات القدرة ذات المقدور من غير ان يكون متعلقة به حالة وقوعه * قال والدليل على ان الحادث مقدور وان الاستطاعة تقارن الفعل ان نقول القدرة من الصفات المتعلقة ويستحيل تقديرها دون متعلق لها * فاذا فرضنا قدرة متقدمة وفرضنا مقدورا بعدها في حالتين متعاقبتين ولايتقرر على اصول المعتزلة تعلق القدرة بالمقدور فانا ان نظرنا الى الحالة الاولى فلا يتصور فيها وقوع - وان نظرنا الى الحالة الثانية فلا تعلق للمقدور فيها * فاذا لم يتحقق في الحالة الاولى امكان ولم يتقرر في الثانية اقتدار فلا يبقي لتعلق القدرة معنىً ويعضد ذلك بوجهين احدهما ان المقدور لا يخلوا اما ان يكون عدما واما ان يكون موجودا * و يستحيل كونه عدما فانه نفي محض و الوجود عند المخالفين غير مقدور * والوجه الثاني انهم انما زعموا ان الحادث بمثابة الباقي في استحالة كونه مقدورا ثم لا امكان في الحالة الاولى من وجود القدرة * والحالة المتوقعة بعدها ليست حالة تعلق القدرة فان شاع ذلك فليكن الثاني مقدورا في الحالة الاولى من القدرة * ولا مخلص عن ذلك * وقال ايضا في الرد على القائلين بالتولد القدرة الحادثة لاتتعلق الا بقائم بمحلها * وما يقع مناسبا لمحل القدرة فلا يكون مقدورًا بها بل يقع فعلا للباري سبحانه وتعالى من غير اقتدار للعبد عليه * فاذا اندفع الحجر عند اعتماد معتمد عليه فاندفاعه غيرمقدور للعبد عند اهل الحق * وذهبت المتعزلة الى ان ما يقع مناسبا لمحل القدرة يجوز وقوعه متولدا عن سبب مقدورمباشر بالقدرة * فاذا اندفع الحجر عند الاعتماد عليه فاندفاعه متولد عن الاعتماد القائم بمحل القدرة * ثم المتولد عندهم فعل لفاعل السبب وهو مقدور بتوسط السبب * ومن المتولدات ما يقوم عندهم بمحل القدرة كالعلم النظري المتولد عن النظر القائم بمحل القدرة في خبط وتفصيل طويل واختلاف فيما تولد وفيما يتولد * قال وليس من غرضنا التعرض لتفاصيل مذهبهم* والدليل على ما صار اليه اهل الحق ان الذي وصفوه بكونه متولدا لايخلو من ان يكون مقدورا او غير مقدور فان كان مقدورا كان باطلا من وجهين احدهما ان السبب على اصلهم موجب للمسبب عند تقدير ارتفاع الموانع فاذا كان المسبب واجبا عند وجود السبب او بعده

فينبغي ان يستقل بوجوبه ويستغني عن مآثر القدرة فيه ولو تخيلنا اعتقاد مذهب التولد وخطر وجود السبب وارتفاع الموانع واعتقدنا مع ذلك انتفاء القدرة اصلا فيوجد المسبب بوجود السبب جريا على ما قدرناه من الاعتقادات والوجه الثاني ان المسبب لو كان مقدورالتصور وقوعه دون تصور السبب والدليل عليه انه لما وقع مقدورا للباري تعالى اذا لم يفسب العبد اليه فانه يقع مقدورا له تعالى من غير افتقار الى توسط سبب وقال الامام فخرالدين الرازي احتج اصحابنا انه لو صح القول بالتولد للزم وقوع الاثر الواحد بموثرين مستقليـــن بالتاثير وهذا محال فالقـــول بالتولد محال بيان الملازمة انه اذا التصق جوهر فرد بكف رجليـــن ثم ان احدهما جذب الكف في حال ما دفع الآخر ايضا كفه فلو صح القول بالتولد كان الجذب مولدا للحركة في ذلك الجوهر الفرد كما ان الدفع مولد للحركة فيه فاما ان يتولد من كل واحد منهما حركة على حدة او يتولد منهما معا حركة واحدة والاول باطل لانه يقتضي حصول الجسم الواحد في الآن الواحد في الحيز الواحد مرتين وهذا غير معقول وايضا فعلى هذا التقدير تكون الحركتان متماثلتين فليس اسناد احدهما الى الجذب والثانية الى الدفع اولى من العكس فلزم استناد كل واحدة منهما الى الجـــذب والدفع فيعود الامر الى وقوع الاثر الواحد بموثرين مستقلين ولما بطل هذا القسم ثبت انه حصل في ذلك الجـــوهر الفرد حركة واحدة وتلك الحركة الواحدة حصلت بعد الجذب وبعد الدفع ثم كل واحدة من هاتين العلتين مستقلة باقتضاء هذا الاثر مع القول بالتولد فيلزم حصول الاثر الواحد لموثرين مستقلين وذلك لان ذلك الاثر يستغني بهـــذا عن ذاك وبذاك عن هذا فلما اجتمعا عليه لزم ان يستغني كل واحد منهما عن كل واحد منهما وهو محال واستدلال المعتزلة على القول بالتولد انما هو لحسن المدح والذم والثـــواب والعقاب والجواب عنه في مسئلة خلق الافعال وبالله التوفيق وقال امام الحرمين ايضا في ارادة الكائنات مذهبنا ان كل حادث مراد الله تعالى حدوثه ولا يختص تعلق مشية الباري تعالى بصنف من الحوادث دون صنف بل هو تعالى مريد لوقوع جميع الحوادث خيرها

و شرّها نفعها و ضرّها قال ثم من ائمتنا من اطلق ذلک عامًّا ولم يطلقه تفصيلا فاذا سئل عن كون الكفر مراد الله تعالى لم يخصص في الجواب ذكر ما تتعلق الارادة به وان كان يعتقده ولكنه يجتنب اطلاقه لما فيه من ايهام الزلل اذ قد يتوهّم كثير من الناس ان ما يريده الله يامر به و يحرض عليه و لفظ يطلق عاما ولا يفصل * فانک تقول العالم بما فيه لله تعالى ولو فرض سوال في ولد او زوجة لم يقل الولد و الزوجة لله تعالى * قال و من حقق من ائمتنا اضاف تعلق الارادة الى كل حادث معمما و مخصصا مجملا ومفصلا و استدلّ على صحة مذهب اهل الحق وبطلان مذهب المعتزلة من وافقهم على نفي القدر بما لا يحتمل ايراده هذا المختصر * ثم قال و مما يقوى التمسک به اجماع السلف الصالحين قبل ظهور الاهواء واضطراب الآراء على كلمة غير معدودة من المجملات وهي قولهم ماشاء الله كان و ما لم يشا لم يكن وتكلم على ذلک * ثم قال ومما تمسک به ائمتنا ايضا ان قالوا الافعال المحكمة دالّة على علم من يخترعها فانما يتقرر ذلک على مذهب اهل الحق الصابرين الى ان مخترع الافعال الرب تعالى و هو عالم بحقائقها - ومن ذهب الى ان العبد مخترع افعاله وهو غير عالم بها فقد اخرج الاحكام عن كونه دالاّ على علم المخترع و ذلک نقض الادلّة العقلية * قلت و قد قدمت قول صاحبه الامام حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رضي الله عنه في هذا و ذكره ما يصدر من النحل والعنكبوت وسائر الحيوانات من لطيف الصناعات ما تتحير فيه عقول ذوى الالباب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب * قال امام الحرمين و مما يطيش عقولهم اتفاق العلما قاطبة على ان المديون القادر على برأة ذمته اذ قال و الله لا قضين حق غريمي غدا ان شاء الله عزوجل فاذا تصرم الامد المضروب والاجل المرقوب فلايحنث الحالف لاستثنائه مشية الله تعالى * وينزل ذلک منزلة ما لو قال لاقضين حق غريمي غدا ان شاء زيد ثم شاء زيد ولم يقضه فيحنث لا محالة * قال و مما يقوى الزامهم ان يقول الرب تعالى عندكم مريد ايمان الكافرين و ذلک واجب في حكمه فبينوا معاشر المعتزلة ما نسألكم عنه و اوضحوا الوقت الذي تقدم الارادة فيه والارادة حادثة عندكم

فلا يكادون يضبطون في ذلك وقتا موقوتا و لا يلقون لانفسهم بيوتا * ثم ذكر ان المعتزلة استدلوا بظواهر من كتاب الله تعالى لم يحيطوا بفحواها ولم يدركوا معناها منها قوله تعالى [ولا يرضى لعباده الكفر] قال و في الجواب عن هذه الآية مسلكان - احدهما الجري على موجبها وتمسك بمذهب من فصل بين الرضي و الارادة و الوجه الثاني حمل العباد على الموفقين للايمان الملهمين بالايقان وهم المشرفون بالاضافة الى الله ذكرا - وهذه الآية تجري مجري قوله تعالي [عينا يشرب بها عباد الله] وليس المراد جميع العباد بل المراد المصطفون * قلت ويوئد الاول ما سياتي ذكره عن زين العابدين ويوئد الثاني ما سياتي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية انهم المخلصون * وفي رواية اخرى عنه اي لا ارضي لاوليائي واهل طاعتي - هذه رواية عطاء والاولى رواية الوالبي * وقال السدي لايرضى لعباده المومنين ان يكفروا * قال الامام ابوالحسن الواحدي و هذا طريق من قال بالتخصيص في هذه الآية ومن اخذ انها على العموم قال الكفر غير مرضي لله من الكافر وان كان بارادته و معناه - و على هذا لا يمدحه ولا يثني عليه * وقال بعض ائمتنا اي لايثيبه قال بعضهم اي لا يحبه * قال امام الحرمين و مما يستروحون اليه قوله تعالى [لوشاء الله ما اشركنا] الآية قالوا و الدليل منها ان الرب سبحـــانه تعالى اخبر عنهم و بين انهم قالوا لوشاء الله ما اشركنا ثم وبخـــهم وردّ مقاليهم ولو كانوا ناطقين بحق مفصحين بصدق لما قرعوا * قلنا انما استوجبوا التوبيخ لانهم كانوا يستهزءون بالدين ويبغون ردّ دعوة الانبياء وكان قد قرع مسامعهم من شرائع الرسل تفويض الامر الى الله فلما طولبوا بالاسلام والتزام الاحكام تعللوا بما احتجوا به على النبيين قالوا لو شاء الله ما يشبه اما لم يكن من غرضهم ذكر ما ينطوي على عقيدتهم * و الدليل على ذلك قوله تعالى في سياق الاية [قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن] قال و كيف لايكون الامر كذلك والايمان بصفات الله فرع الايمان لله تعالى والمقرعون بالآية كفرة بالله تعالى * قلت و هذا الذي قاله ظاهر وها انا اضرب له مثلا آخر اظهر و اخصر وهو ان ذلك كمثل فاجر نهي عن

فجورة فقال هذا على مقدور فانه يقال له عند ذلك يرتكب الفجور ويقول هذا على مقدور مع انه صادق في قوله هذا لكنه تعلل بالقدر مع مخالفته ظاهر حكم الشرع فيوجه عليه الملام والتقريع والردع واري مع هذ، ان يعارضوا بقوله تعالى [ولو شاء الله ما اشركوا] بهذه الآية مما يحقق ما تقدم من تاويل الآية التي احتجوا بها وصحة معتقدنا و الحمد لله ولا وجه للاستدلال بالآية التي ذكروا مع وجود هذه الآية فان الحق سبحانه و تعالى يقول - [ولو شاء الله ما اشركوا] بالقول الصريح المفصل الذي ليس للتاويل فيه مدخل - رجعنا الى كلام امام الحرمين رضي الله عنه قال ومما يستدلون به العوام الاستدلال بقوله تعالى [وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون] وهي عامة في صفتها متعرضة لقبول التخصيص عند القائلين بالعموم مجملة عند منكر العموم ولا يسوغ الاستدلال في القطعية بما يتعرض للاحتمال او يتصدي للاجمال - ومذهب المعتزلة ان العموم اذا دخله التخصيص صار مجملا في بقية المسميات ولا خلاف ان الصبيان و المجانين مستثنون و ذلك موجب الآية تخصيصا و اصل العبادة التذلل والطريق المعبدة هي المذللة بالدوس قال فالمراد بالآية وما خلقتهم الا ليذلوا ثم من منع فقد ابدي تذلله و من عبد فشواهد الفطرة واضحة على تذلله وان تعرض و افترى * قال والحمل على ذلك امثل من الحمل على تناقض فان الرب تعالى علم ان معظم الخليقة سيكفرون فيكون التقدير وما خلقت من علمت انه يكفر الا ليؤمن وهذا لاوجه له * قلت وهذا ظاهر لانه يصير التقدير وما خلقت من علمت انه لايؤمن الا ليؤمن اذ قد علم سبحانه ان الكافرين لايؤمنون * واري خمسة اشياء قد عرضت لهذه الآية مانعة من عموم الاستدلال بها بعضها ما ذكره امام الحرمين في كلامه هذا - الاول منها ان المفسرين اختلفوا في معنى قوله تعالى يعبدون - التاني ان الآية مجملة عند بعض العلماء الثالث انه دخله التخصيص باستثناء المذكورين - الرابع ان اصل العبادة التذلل كما ذكر وعمومه على هذ الوجه ممكن لقوله تعالى [وان من شيء الا يسبح بحمده] و قوله صلى الله عليه وسلم المولود يولد على الفطرة - الخامس مايؤل اليه ما ذكره

في العموم من التناقض المذكور * قلت ومع هذه كلها ينبغي ان يعارضوا بقوله عزوجل [ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس] الآية - و وجه الاستدلال بها ان المخلوقين لجهنم ليسوا مخلوقين للعبادة لان المخلوقين للعبادة هم الذين سبقت لهم الحسنى بالسعادة و قد قال الله تعالى فيهم [اولئک عنها مبعدون] قال ومما يستدلون به قوله تعالى [ما اصابک من حسنة فمن الله وما اصابک من سيئة فمن نفسک] قلنا في الآية المتقدمة على هذه دلالة قاطعة على بطلان مذهبكم يعني قوله عزوجل [قل كل من عند الله] وتكلم على ذلک * ثم قال في آخر كلامه على ان المعتـــزلة لا يقولون بظاهر الآية يعني الآية التي احتجوا بها اذ الخير و الشر من افعال العباد واقعان بقدرة العباد خارجان عن مقدور الله تعالى فيهما جميعا بالعبد عندهم انتهى كلامه * قلت جميع ما ذكرت عن امام الحرمين المشهور بجودة النظر و الانتقاد اختصرته و جمعته من مواضع متفرقة من كتابه الارشاد - و قد كنت قدمت شيئًا من المعقول على ما استشهدت به من المنقول ثم اردفناه بكلام امام الحرمين المذكور المرتضى وها انا اورد شيئًا من المباحث العقلية ايضا و اقتصر منها على اربعة اشياء محصورة التعداد العلم و القدرة و الارادة و خلق افعال العباد * فاقول هل علم الحق سبحانه كفر الكافر قبل خلقه ام لا انصفني و الا اعتزل مسائلي ايها المعتزلي - فان قلت لم يعلم ذلک فقد هديته الى الجهل تعالى الله عن ذلک و كذبت فيما صدق القايلين [ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين] وقوله عزوجل [لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلک ولا اكبر] و قوله الكريم [وهو بكل شيء عليم] و غير ذلک من الآيات والذكر الحكيم - التي تكذيبها كفر بالله العظيم - و ان قلت علمه قلت فهل قدر على منعه منه ام لا فان قلت لم يقدر فقد نسبته الى العجز تعالى الله عن ذلک و مثلک في ذلک مثل من هرب من الرشاش فوقع تحت الوابل بل غرق في بحر ليس له ساحل - اعني انک هربت مما توهمت انه يكون ظلما في حقه تعالى ووقعت فيما هو اعظم و هو نسبتك اليه من الجهل والعجز تعالى

الله عن ذلک علوا کبیرا - و ان قلت قدر علی منعه من ذلک ولم یمنعه فقد نسبت الرب القدیر الحکیم الخبیر سبحانه الی الرضی بالقبیح الذي زعمت انه لاینسب الی الله تعالی اذا یصیر مقدرا علیه مع القدر علی المنع منه و علی ان لا یکون شيء من القبیح في مملکته و نقضت اصلک و هدمت مذهبک بل نقضت ذلک و هدمته بما هو اعظم و اوضح واجلی مما لیس لک عنه محید ولا محیص اصلا * وهو قولک بوجوب الاصلح علی الله عز وعلا وتقدس عن ذلک وتعالی فبالله علیک هل الاصلح عدم الایجاد للکفار ام ایجادهم مع تخلیدهم في النار ام موقهم فیها ام بقاءهم علی تعاقب الدهور في العذاب الشدید والویل والثبور وحرمان القصور وسائر اللذّات والسرور في دار الکرامة والنعیم المقیم مع رضوان الله وجوار المولی الکریم والتعوّض عن ذلک سخط الجبار وعذابه الالیم نسأل الله الکریم العفو والعافیة من ذلک ومن جمیع البلایا والمهالک لنا ولاحبابنا المسلمین آمین * والی نفي الوجوب علی الله اشرت في بعض القصائد بقولي *

وما من واجب بل زاغ حمق * وضلوا باعتزال عن صواب
علیه اوجبوا اشیا ولم یبق * الا ان یقوموا للعقاب
وما للعقل حکم بل لشرع علی * في منصب علی انتصاب
ففي سبحان لا تعذیب الا * ببعث الرسل في نص الکتاب

ثم اقول بعد هذا و اذا اعترفت بالحق من انه سبحانه علم کفر لکافر قبل خلقه قلت لک هل اراد صدور الکفر منه ام لم یرده فان قلت اراده فقد حصل المراد و وافقتنا وذلک هو المراد ویمکن ان نقضت اصلک ولزم کون مذهبک غیر صحیح بتجویزک ...... و ارادة ما زعمت من القبیح واقول ان لم یرد ذلک بل اراد منه الایمان - فقضیت بوجود ما لم یرد وعدم ما اراد فصار علی حکمک هذا ماشاء الله لم یکن وما لم یشاء

كان عكس ما اجمع عليه السلف الصالح وصار الملك القهار على هذا مقهوراً وحينئذ يكون الواقع على وفق ارادة عدوّ الله ابليس اكثر من الواقع على وفق ارادته تعالى اذا المعاصي اغلب من الطاعات لقوله تعالى [الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم] و قوله عز وجل [ولا تجد اكثرهم شاكرين] * قلت و على هذا قال الامام حجة الاسلام ابو حامد رضى الله عنه [1] .... [ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس] يقول خلقنا وفي قوله تعالى [ولا يزالون مختلفين الا مَنْ رَحِم ربّك ولذلك خلقهم] يقول فريقين فريقا يرحم فلا يختلف وفريقا لا يرحم فيختلف و ذلك قوله [فمنهم شقي وسعيد] وفي قوله تعالى [ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم و اهليهم يوم القيامة] قال وهم الكفار الذين خلقهم الله للنار وخلق النار لهم فزالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة قال الله تعالى [خسر الدنيا والاخرة] وفي قوله تعالى [كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة] قال ان الله تعالى بدأ خلق بني آدم مومنا و كافرا كما قال تعالى [هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن] ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلق مومنا و كافرا وفي قوله تعالى [واجعلنا للمتقين اماما] يقول ائمة تهتدي بنا ولا تجعلنا ائمة ضلالا لانه قال لاهل السعادة وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقال لاهل الشقاوة وجعلناهم ائمة يدعون الى النار وفي قوله تعالى [يحول بين المرء وقلبه] يقول يحول بين المومن و بين الكفر ويحول بين الكافر و بين الايمان وفي قوله تعالى [قال رب بما اغويتني] اى اضللتني وفي قوله تعالى [فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم] يقول لا تَضلّونَ انتم ولا أُضلُّ منكم الا مَنَ قضيت له انه صال الجحيم وفي قوله تعالى [وجعلنا في اعناقهم اغلالا]

---

[1] Two folios are missing here from the MS.

وفي قوله تعالى [اغفلنا قلبه عن ذكرنا] وقوله تعالى [ولو شاء ربّك لآمن من في الارض كلهم جميعا] ونحو هذا من القرآن * قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَحْرِصُ على ان يومن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبر الله تعالى انه لا يومن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من يسبق له من الله الشقاوة في الذكر الاول ثم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم [لعلك بَاخِعٌ نفسك ان لا يكونوا مومنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية] وفي قوله تعالى [امرنا مترفيها] يقول سلطنا شرارها فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك اهلكناهم بالعذاب - وهو قوله تعالى [وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها] وفي رواية اخرى عنه اكبرنا فساقها - وفي قوله تعالى [افلا يتوبون الى الله و يستغفرونه] قال قد دعا الله تعالى الى التوبة ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله عليه - قال تعالى [ثم تاب عليهم ليتوبوا] - وفي قوله تعالى [قل كل من عند الله] يقول الحسنة والسيئة من عند الله اما الحسنة فانعم الله بها عليك واما السيئة فابتلاء الله بها - وفي قوله تعالى [ان تكفروا فان الله غني عنكم] يعني الكفار [الذين لم يرد الله ان يطهّر قلوبهم] فيقولوا لا اله الا الله - ثم قال [ولا يرضى لعباده الكفر] وهم عباده المخلصون الذين قال تعالى [ان عبادي ليس لك عليهم سلطان] فاكرمهم شهادة ان لا اله الا الله وحسبها اليهم - وفي قوله تعالى [واما ثمود فهديناهم] يقول بيّنّا لهم - وفي قوله تعالى [وقضى ربك ألا تعبدوا إلّا اياه] يقول أَمَرَ - وفي قوله تعالى [واضله الله على علم] يقول اضله في سابق علمه - وفي قوله تعالى [ونبلوكم بالشر والخير فتنة] يقول نبتليكم بالشدة والرخا والصحة والسقم والغنا والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلالة - وفي قوله تعالى [ومن يرد الله فتنته فلن تملك له

من الله شيئًا] يقول من يرد الله ضلالته لم يغن عنه شيئًا * كل هذا المذكور رواه الامام البيهقي بسنده كما ذكرنا * و روي الامام الحاكم ابو عبد الله من حديث عطا بن السائب عن مقسم عنه انه قال اول ما خلق الله تعالى القلم خلقه من هجآ قبل الالف واللام فتصور قلما من نور فقيل له اجرِ في اللوح - قال يارب بما ذا - قال لما يكون الى يوم القيامة - فلما خلق الله الخلق وكّل لهم حفظة يحفظون عليهم اعمالهم فاذا قامت القيامة وعرضت عليهم اعمالهم وقيل [هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون] عرض بالكتابين فكانا سواءً * قال ابن عباس الستم عربا هل يكون النسخة الا من كتاب - رواه الحاكم عنه كما ذكرنا وقال صحيح - وعن طاوس قال كنت عند ابن عباس ومعنا رجل من القدرية فقلت ان ناسا يقولون لاقَدَرَ قال او في القوم احد منهم قلت لو كان ما كنت يصنع به قال لو كان فيهم احد منهم لاجذب براسه ثم قرات عليه انه كذا وكذا [وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الارض مرتين - الاية] رواه الحاكم من حديث الاعمش عن عبد الله بن ميسرة عن طاوس وقال على شرط البخاري ومسلم و رواه البيهقي ايضا بسنده الصحيح - قال طاوس فتمنيت ان كل قدري كان عندنا * ومن حديث عكرمة عنه قال كان الهدهد يدل سليمان على الماء فقلت وكيف ذلك والهدهد ينصب له الفخّ يلقي عليه التراب * فقال اذا جاء القضا ذهب البصر * قلت وفي نحو هذا مثل يذكر اذا نزل القدر عمى البصر ولم ينفع الحذر * وفي حديث سعيد بن جبير عنه ان القدر اذا جاء حال دون البصر * قال الحاكم على شرطهماوروي البيهقي ايضا كل هذه المذكورات وغيرها مما يطول ذكره وجميع هذا المذكور عن ابن عباس من روايات الائمة المذكورين هو من تفسيره * واما ما رواه عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقد قدمت عنه ما اخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من قوله صلى الله عليه وسلم في اولاد المشركين لما سئل عنهم الله اعلم اذ خلقهم بما كانوا عاملين * وفي صحيح مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لَأَ زهق ابويه طغيانا وكفروا ومما روي ابن عباس ايضا خطبة النبي صلى الله عليه وسلم لضماد من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له * و روي ايضا حديث واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشي قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشي لم يضروك الا بشي قد كتب الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف الحديث - رواه الترمذي وصححه ومن رواية غير الترمذي * واعلم انما اخطاك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطيك * وما رواه البيهقي بسنده الى ابى الجوزا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى قال يقول الله عز وجل ابن آدم انا خلقت الخير والشر فطوبى بالعبد قدّرتُ على يديه الخير - و ويل لعبد قدّرت الشر على يديه * و روي الطبري بسنده الى عطاء بن ابي رباح قال كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال ارايت من مدني عن الهدى واوردني دار الضلال والردي لاتراه قد ظلمني - قال ان كان الهدى شمالك عنده فقد ظلمك و ان كان الهدى هو له يوتيه من يشاء فلم يظلمك ولا تجالسني * و روي الطبري بسنده الصحيح الى ميمون بن مهران قال قال لي ابن عباس رضي الله عنهما احفظ عني ثلاثا اياك والنظر في النجوم فانها تدعوا الى الكهانة - واياك والقدر فانه يدعو الى الزندقة - واياك وشتم احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكبّك

الله في النار علي وجهك وغير ذلك مما روي عنه حذفته ايثارا للاختصار واكتفاء لما فيه كفـــاية لاهل الاعتبار ومنهـــم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قد يقدم قوله في الحديث الصحيح اذ القيت اولئك فاخبرهم الي اني بري منهم وانهم براء مني والذي كلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثـــل احد ذهبـــا فانفقه ما قبل الله منه حتي يومن بالقدر - الحديث * وفيه قوله صلي الله عليه وسلم ويومن بالقدر خيره وشره - وروي الطبري بسنده الي نافع ان ابن عمر قال له رجـــل ان قوما يتكلمون في القدر - فقال اولئك يصيرون الي ان يكونوا مجوس هذه الامة - فمن زعم ان مع الله تعالي قاضيا او قادرا او رازقا او ملك او قال او مالـــكا لنفسه ضرا اونفعا او حيوة او نشورا لعنه الله واخرس لسانه واعمي بصره وجعـــل صلٰوته وقيامه هبا وقطع له الاسباب وكبه علي وجهه في النار ومنهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - وقد قدمت عنه حديث الصحيحين وغيرهما الذي قال فيه فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمـــل بعمـل اهل الجنة حتي ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب الحديث الي آخره * وقوله في الحديث الصحيح الذي اخرجه مسلم الشقي من شقي في بطن امه * وفي المستـــدرك على الصحيحين عن عبد الله قال والذي لا اله غيره ما في الارض نفس الا الموت خيـــر لها ان كان مومنا فان الله تعالي يقول [لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات] وان كان فاجـــرا فان الله تعالي يقول [انما نملي لهم ليزدادوا اثما] رواه الحاكم * وقال علي شرطهما ومنهم عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما و روي الحـــاكم ابو عبد الله في المستدرك على الصحيحين - عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلـــم يقول ان الله خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور يوميذٍ شيء اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك جف القلم

علي علـــم الله * قال الحاكم علي شرطهما ولا علة له * و رواه البيهقي عن الحاكم واخرجه ابو حاتم بن حِبّان بكسر الحاء المهملة وتشديد الموحدة - قال الامام البيهقي القي عليه من نوره اى فمن علم الله ايمانه وامر القلم فجرى به وكتب من السعداء اصابه من ذلك النور فاهتدى - ومن علم الله كفره وامر القلـم فجري به وكتب من الاشقيـــا اخطاه ذلك النور - قال الله تعالى [او من كان ميتا فاحييناه وجعلنـــا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمـــات ليس بخارج منها] وقال تعالى [الله ولي الذين آمنوا يخرجهـــم من الظلمات الى النور] وقال تعالى [واضله الله علي علم] ومنهـــم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما * روي الامام مالك رضي الله عنه في الموطا عن عمرو بن دينار قال سمعت عبد الله بن الزبير يقول في خطبته ان الله هو الهـــادي والفاتر * ومنهم عمران بن حصين رضي الله عنه روي البخاري ومسلم عنه قال قيـــل يا رسول الله علم اهل الجنة من اهل النار قال نعم قيل ففيم يعمـــل العاملون قال كل ميسر لما خلـــق له قلت وقد قدمت عنه نحوا من هذا - من حديث البخاري * وروي البيهقي بسنده الصحيح الي ابى الاسود الديلمي قال قلت لعمران بن حصين اني جلست مجلسا ذكروا فيه القدر فقال عمران الله الذي لا اله الا هو لو ان الله عذب اهل السمـــوات والارض عذبهم وهو غير ظالم حين يعذبهم - ولو رحمهم كانت رحمته اوسع لهم وسنقدم المدينة فنســـال ابن مسعود وابي بن كعب فسالهما فقالا مثـــل ذلك * و رواه الطبري بسند صحيح عنه و زاد فيه ولو ان لرجـــل مثل أُحُد ذهبا ينفقه في سبيل الله لا يومن بالقدر خيره وشره لا يقبل منه - ومنهم عمار بن ياسر رضي الله عنه روي عبـــد الله بن المبـــارك بسنده عنه قال قال موسى يا رب خلقت خلقـــا خلقهم للنـــار فاوحى الله اليه ان ازرع زرعا فزرعه

وسقاه وقام عليه حتى حصده وداسه - قال ما فعل زرعك - قال رفعته - قال ما بركت منه - قال ما لا خير فيه - قال فاني لا ادخل النار الا ما لا خير فيه - ومنهم ابو هريرة رضي الله عنه * روي الامام احمد بسنده الى عمار مولى بني هاشم قال سالت ابا هريرة عن القدر فقال كيف بآخر سورة القمر وقد قدمت عنه احاديث صحيحة في القدر من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كتب على ابن آدم حظه من الزنا حديث البخاري * وقوله صلى الله عليه وسلم قال قدر الله وما شاء فعل حديث مسلم و غير ذلك * ومنهم ابو موسى الاشعري رضي الله عنه - روي الحافظ ابن حبان عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم من اديم الارض كلها فخرجت ذريته على حسب ذلك فمنهم الاسود والابيض والاحمر والاصفر ومنهم بين ذلك ومنهم السهل ومنهم الحزن والخبيث والطيب * و روي نحوه ابو داؤد والترمذي و صحّحه ولفظه ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنوا آدم على قدر الارض الحديث * و روي ابن حبان ايضا في صحيحه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله آدم ثم اخذ الخلق من ظهره فقال هولاء في الجنة ولا ابالي وهولاء في النار ولا ابالي - قال قائل يا رسول الله فعلى ماذا العمل قال على مواقع القدر - و روي نحوه ابو داؤد والترمذي والحاكم وقال على شرطهما ولفظه ان الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية - فقال خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون - ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية - فقال خلقت هولاء للنار و بعمل اهل النار يعملون الحديث - ومنهم سلمان الفارسي رضي الله عنه - روي البيهقي بسنده الصحيح الى حجاج الازدي قال سالنا سلمان ما الايمان بالقدر قال ان تعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه و ان ما اخطاه لم يكن ليصيبه -

و روي الطبري عنه انه قال ان الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج منه ما هو ذاري الى يوم القيامة - وكتب الاجال والاعمال والارزاق والشقاوة والسعادة - ومنهم ابو الدردا رضي الله عنه - روي البيهقي عنه بسند حسن انه قال كل يعمل في ثواب اعد له قلت هكذا هو في الاصل المنقول منه ولعله في ثواب او عقاب اعد له والله اعلم - ومنهم ابي بن كعب و زيد بن ثابت وحذيفة بن النعمان وعمرو بن العاص وعائشه بنت ابي بكر رضي الله عنهم اجمعين - روي الحافظ ابو حاتم بن حبان بسنده الصحيح الى ابن الديلمي قال اتيت ابي بن كعب فقلت له وقع في نفسي شي من القدر فحدثني بشي لعل الله يذهبه من قلبي قال لو ان الله عذب اهل سماواته واهل ارضه عذبهم و هو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرا من اعمالهم ولو انفقت مثل احد في سبيل الله ما قبله الله منك حتى يومن بالقدر - وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار - قال اتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك - ثم اتيت زيد بن ثابت فحدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك - و روي البيهقي بسنده الى زيد بن اسلم قال قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص لقد عجبت لك في ذهنك وعقلك كيف لم يكن من المهاجرين الولين - فقال له عمرو وما اعجبك يا عمر من رجل قلبه بيد غيره لا يستقيم او قال لا يستطيع التخلص منه الا الى ما اراد الذي بيده - فقال عمر صدقت - و روي الحاكم والطبري بسنديهما عن عمرو بن العاص قال عجبت من الرجل يفر من القدر وهو بواقعه ومن الرجل يري القذاة في عين اخيه و يدع الجزع في عينيه - وقد قدمت عنه ايضا حديثين في القدر رواهما الترمذي - و روي البيهقي بسند صحيح الى خثيمة عن

عطية قال دخلت انا ومسروق على عائشة رضي الله عنها فذكر - واقول عبد الله يعني ابن مسعود من احب لقا الله احب الله تعالى لقاه - ومن كره لقا الله كره الله لقاه - قال رحمه الله على ابن ام عبد حدثكم اول حديث لم تسالوه عن اخرة ان الله اذا اراد العبد خيرا قبض له قبل موته بعام ملكا يسدده و ييسره حتى يموت وهو خير ما كان يقول الناس مات فلان وهو خير ما كان فاذا احتضر وراي ثوابه من الجنة جعل يودع نفسه - ورد لو خرجت قبل ذلك حين احب لقا الله واحب الله لقاه - وان الله اذا اراد بعبد شرا قبض له شيطانا قبل موته بعام يفتنه ويصده ويضله حتى يموت حين يموت وهو شر ما كان و يقول للناس مات فلان وهو شر ما كان فاذا احتضر وراى ما اعد له فى النار جعل يتبلغ نفسه كراهة للخروج فعند ذلك يبغض لقا الله والله للقائه ابغض - و روي البيهقي ايضا عنها انه ذكر لها خروجها فقالت كان يقدر قلت يعني خروجها الى البصرة حتى جرى يوم الجمل ما جري - و روي الطبري بسنده الى هشام ابن عروة عن ابيه عن عائشة ان العبد ليعمل الزمان بعمل اهل الجنة وانه عند الله مكتوب من اهل النار الحديث - و رواه ابن حاتم بن حبان في صحيحه لفظه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة وانه لمكتوب فى الكتاب انه من اهل النار فاذا كان قبل موته بحول يعمل بعمل اهل النار فيدخل النار - وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار انه مكتوب فى الكتاب انه من اهل الجنة - فاذا كان قبل موته بحول فعمل بعمل اهل الجنة فمات فدخل الجنة - اللهم انا نسالك حسن الخاتمة مع العفو والعافية فى الدنيا والاخرة لنا ولاحبابنا والمسلمين آمين - قلت فهذا ما اقتصرت على ذكره عن هولاء السادة المذكورين الذين اقتصرت من سادات الصحابة عليهم -

وقد قدمت ان احاديث القدر رواها فوق ثلاثين صحابيــــا ومن التابعين زين العابدين علي بن الحسين رضوان الله عليه وعلى ابائه - روي الطبري بسنده ان رجلا من البصـــرة جاء اليه - فقال له يا سيدي اني وافد اهل البصرة اليك قال القدر قد فشابها وارتد اكثر الناس - فقال له سل - فقال للخير - فقال اكتب علم وقضا وقدر وشا واراد واجب - فقال الشر - فقال اكتب علم وقضا وقدر وسآء واراد ولم يرض ولم يجب - فرجع الى البصرة فقرا على الناس ما كتب فرجع اكثرهم - و روي عنه اقوال اخرى غليظة في تكفيـــر اصحاب القدر رواها الامــــام البيهقي وغيره باسانيدهم - قلت وهذا صريح من زين العابدين في التفريق بين الارادة والرضـــا وهو موافق لما قدمته من قول بعض ايمتنا - ومنهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه - روي الامام البيهقي بسنده الى الامام مالك - قال ان عمر بن عبد العزيز كان حكيما يقول لو اراد الله ان لا يعصي ما خلق ابليس - قلت وقد ذكر الامام الثعالبي رواية ان آدم عليه الســـلام التقي بابليس في الارض فلامه على صنيعه وقال يا ملعـون انت الذي اخللت بي وعزتني واخرجني من الجنـــة وفعلت وفعلت - قال فبكـي ابليس وقال يا آدم انا فعلت بك ما تقول وانزلتك هذه المنـــزلة فمن فعل بي ما انا فيه واحلني هذه المنزلة - رجعنا الى كـلام عمر بن عبد العزيز وكان يقول ان في كتاب الله لهولاء القدرية علمـا بينـــا علمه من علمه وجهله من جهله قوله تعـالى [فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم] و روي سعيد بن منصور في تفسيره قال حدثنا عمر بن دينار قال خرجت وافدا الى عمر بن عبد العزيز في نفر من اهل الكـــوفة وكان معنـا صاحب لنا يتكلـــم في القدر - فسالنا عمر بن عبد العزيز حوائجنا ثم ذكرنا له القدر - فقال لو اراد الله ان لا يعطني ما خلق ابليس - ثم قال قد بين انه ذلك

في كتابه [فانكم وما تعبدون الآية] فرجع صاحبنا ذلك عن القدر - ورواه الطبري بسنده الى عمر بن ذر وراد لو ان الله تعالى كلف العباد على قدر عظمته لما قامت لذلك سماء الارض ولا جبل ولا شي من الاشياء ولكنه اخذ منهم اليسير - ولو اراد واحب ان لا يعصي لم يخلق ابليس راس المعصية - قال بعض الايمة المتاخرين رحمه الله على عمر لقد اتاذ حسن دليل واخصر ولهذا قال مالك انه كان حكيما - و روي عنه سعيد بن منصور بسنده انه قال يا ايها الناس اتقوا الله من احسن فليحمد الله - ومن اساء فليستغفر الله فانه الله لابد لاقوام ان يعملوا اعمالا كتبها الله عليهم ووضعها في ركابهم - وقال ايضا فيما رواه ابو داؤد من رواية سفيان الثوري وغيره عنه ما اعلم الناس - وحدث الناس من محدثة ولا ابتدعوا من بدعة هي ابين امرا ولا ابت امرا من الاقدار بالقدر لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم يعزون به انفسهم على ما فاتهم - ثم لم يزده الاسلام الا شده - ولقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث ولا حديثين قد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته يقينا وتسليما لربهم عز وجل وتضعيفا لانفسهم ان يكون شي لم يحط به علمه ولم يحصه كتابه ولم يمض فيه قدرته وانه لمع ذلك في محكم كتابه لمنة اقتبسوه ولمنة تعلموه و لئن قلتم انزل الله كذا وثم قال كذا لقد قروا منه ما قرأتم وعلموا من تاويله ما جهلتم وقالوا بعد ذلك كله بكتاب وقدروا ما يقدر يكن وماشاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ولا يملك لانفسنا نفعا ولا ضرا - ثم رغبوا وبعد ذلك ذهبوا - روي الامام الطبري بسنده الصحيح الى الامام الاوزاعي قال كتب عمر بن عبد العزيز الى ابن له كتابا فكان فيما كتب اني اسال الله تعالى الذي بيده القلوب يضع فيها ما يشاء من هدى وضلالة - و روي الامام احمد بن حنبل رضي

الله عنه بسنده عنه انه دعي غيلان لشي بلغه عنه في القدر - فقال يا غيلان ما هذا الذي بلغني عنك - قال يكذب علي - قال ما تقول في العلم - قال هذا العلم - قال اذهب الان فقل ما شيت يا غيلان انك ان قررت بالعلم خصمت وان جحدته كفرت - و انك ان تقربه فتخصم خير لك من ان يجحده فيكفر - ثم قال اقرأ [يس] قال نعم - فقرأ [يس] الى قوله تعالى [لا يومنون] قال كيف ترى - قال كاني لم اقرأ هذه الايات قط اني اعاهد الله ان لا اتكلم في شي مما كنت اتكلم فيه ابدا قال اذهب فلما ولّى قال اللهم ان كان كاذبا فاذقه حر السلاح فلم يتكلم في زمن عمر فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك تكلم فلما ولى هشام ارسل اليه وقال ليس قد كنت عاهدت الله لعمر بن عبد العزيز ان لا يتكلم في شي من هذا ابدا - قال اقلني فوالله لا اعود قال لا قال لا اقالنى الله ان اقتلك اتعرف فاتحة الكتاب - قال نعم - قال اقرأ فقرأ [الحمد لله رب العالمين الى اياك نعبد واياك نستعين] قال قف على ما استعنته على امر بيده لا يستطيعه او على امر بيدك اذهبوا فاقطعوا بيديه و رجليه و اضربوا عنقه و اصلبوه - قال الايمة هذا الحديث اسناده صحيح - و قد روي العلماء عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اثبات القدر والايمان به وتضليل منكريه والتغليظ على القدرية ما يطول ذكره من ذلك ما روي الامام البيهقي بسنده عنه ان اصحاب القدر يستابون فان تابوا والانفوا من ديار المسلمين ومن التابعين ايضا الحسن البصري رضي الله عنه - روي البيهقي بسنده الصحيح الى حميد قال قدم الحسن مكة فكلمني فقهاء مكة ان اكلمه فيجلس لهم يوما فكلمته فقال نعم فاجتمعوا و هو على سرير - فقال له رجل بابا سعيد من خلق الشيطان قال سبحان الله [و هل من خالق غير الله] خلق الشيطان و خلق الخير

و خلق الشر - و روي ايضا بسنده الصحيح الى حماد بن زيد عن خالد قال قلت للحسن يابا سعيد آدم خلق للارض ام للسماء - فقال خلق للارض فقلت اريت لو انه استعصم فلم ياكل من الشجرة - قال لم يكن له بدمن ان ياكل منها لانه خلق للارض - و روي ايضا بسنده الصحيح الى حميد قال قرات القرآن كله على الحسن ففسره على الاثبات فسالته عن قوله تعالى [كذلك سلكناه في قلوب المجرمين] قال الشرك بالله سلكه في قلوبهم - وسالته عن قوله تعالى [ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون] قال اعمال سيعملونها - وسالته عن قوله تعالى [ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم] و روي ايضا بسنده الصحيح الى خالد عنه في قوله تعالى [ولذلك خلقهم] قال خلق هولاء للجنة وهولاء للنار - وبسنده الصحيح الى الاشهب عنه في قوله تعالى [وحيل بينهم و بين ما يشتهون قال بينهم وبين الايمان - وبسنده الصحيح ابي مروان مولى هند بنت المهلب قال دعا معبد الى القدر علانية فما كان احد اشد عليه في التفسير والرواية والكلام من الحسين فغبت ثم قدمت فالقي معبدا فقال لي اما شعرت ان الشيخ وافقني يعني الحسن فاصنعوا بعد ما شئتم فاتيته فقلت يابا سعيد قول الله تعالى [تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ما له وما كسب سيصلى نارا ذات لهب] كان في ام الكتاب - قبل ان يخلق الله عز و جل ابا لهب فقال سبحان الله ما شانك نعم والله وقبل ان يخلق ابا ابيه - فقلت فهل كان ابو لهب يستطيع ان يومن حتى لا يصلي هذ النار - قال لا والله ما كان يستطيع فقلت احمد الله هذا الذي كنت عهدتك عليه ان الذي دعاني الى ما سالتك ان معبد الجهني اخبرني انك قد وافقته قال كذب لكع كذب لكع - قلت وهكذا بلغني عن بعض المبتدعة انهم يدعون بطريق البهت والافترا

ان الحسن البصـــري على عقيدتهم حتى ادعوا ذلك ايضا في الامـــام
ابي حامد الغزالي بل بلغني ان بعضهم ادعى ذلك في الامام الشافعي
وغيرة من العلماء الاجـــلاء ومن كبار الاولياء من ائمة اهل السنة وصلحـــايهم
يدلسون بذلك على الجهال ليستميلوا العوام تغزيتهم بالمـــلاح اهل العلم
والصـــلاح من اجلاء اهل السنة وائمتهم بمجرد التمويه والنهب الصـــريح
والاختلاف والافتراء القبيـــح الذي يكذبهم به ضرورة حس السمع والبصـــر
كما يكذب منكـــر وجود الشمس والقمر وما مثالهم فيما ادعوة من ذلك الا
كمثال قوم لا يزال بعض الملوك يدهمهم بعساكرة ويقابلهم ويهزمهم طول دهرة
ويجلب عليهم بخيله ورجله ويفتك فيهم باسرة وقيله لسوء سيـــرتهم وقبح
طريقهم حتى افنـــاهم ومن بلادهم نفاهم - فلما مات ادعوا انه لهم موافق -
وبحسن سيرتهم وابق - ولطريقهم سالك وشاكر ومكذبين في ذلك جميـــع
العساكر الذي لطـــريقته يتبعون وبطعنه في طريقهم دائما يسمعون وبطعانه
فيهم طول الدهر يجتمعـــون فان كل من ادعوا من اهل السنة انه منهـــم
ليتكثروا به ويزينوا مذهبهم بكونه بزعمهم داخـــلا فيه معهم تكذبهم تصانيفه
وسيرته وقوله وفعله وعلمه وعمله وظاهرة وباطنه وانكارة عليهم وطعنه فيهم لنفيرة
عنهم ومخالفته لهم ومخاصمته معهم ومحاربته اياهم وغير ذلك مما امتلا به
الوجود من كثرة الشهود - وامتنع فيه الجحود كما امتنـــع جحود المعاين
المشهود - وهكذا ادعوا ان اهل البيت رضوان الله عليهم يعتقدون معتقدهم
وقد قدمت عن علي وذريته وابن عباس رضي الله عنهم من الاحاديث
الصحيحة في البخاري ومسلم وغيرهما ما يكذبهم - وقد روي الطبـــري
بسندة ان رجـــلا من الشيعة سال جعفر بن محمد الصادق رضوان الله عليه
عن القدر - فقال له اكتب ان الله تعالى لا يطـــاع قهرا وان الله لا يعصي
قهرا فاذا اراد الطاعة كانت واذا اراد المعصية كانت فان عذب فبحق وان

عفي فيا لفضـــل او قال فيفضـــل رجعنا الى حديث الحسن البصري الذي ادعوا انه منهم - روي ايمتنا عنه بسند صحيـــح انه قال من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن - و روي الحـــاكم بسنده الى ابن ابي يحيى قال سمعت الحسن واتاه رجل فقال يزعم ان من قتل مظلوما فقد قتـــل في غير اجله فقال من اكل بقية رزقه بل قتل في اجله قلت جميع هذا الكلام من قوله يزعـم الى قوله كـــلام الحسن وهو ظاهـــر وانما نبهت عليه ليـــلا يتوهم من ليس له معـــرفة بمذهب اهل السنة واهل البـدعة غير ذلك - وتقدير الكـــلام اياه رجـل فقال له الحسن يزعم وانما اعاد قوله فقـــال تاكيدا والزاما كانه قال فان كان كمـا يقـول فمن اكل بقية رزقه - وقال الامـــام احمد بن حنبـــل رضي الله عنه حدثنـا اسماعيـــل عن منصور بن عبد الرحمن قال قلت للحسن قوله عز و جـل [ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكـم الا في كتاب من قبـل ان نبرأها] قال سبحان الله ومن يشك في هذا كل مصيبة بين السماء والارض في كتاب الله قبل ان يبرأ النسمة - و روى الطبـري بسنده عنه انه قال من كذب بالقدر فقد كذب بالاســلام * و منهـم سعيد بن المسيب رضي اللـه عنه - روى البيهقي عن عمـرو بن شعيب قال كنت عند سعيـد بن المسيب رضي الله عنه اذا جاءه رجـل فقـال يا ابا محمد ان ناسا يقولون قدر الله كل شيء ما خلا الاعمال - فغضب سعيد غضبا لم اره غضب مثله قط حتى هم بالقيـام - ثم قال فعلوها فعلوها ويحهم ويحهم لو يعلمون اما اني سمعت فيهم حديثا كفـاهم به شرا - فقلت وما ذاك يا ابا محمد يرحمك الله - فقـال حدثني رافع بن خديج عن النبي صلى اللـه عليه وسلـم انه قال سيكـــون في امتي اقوام يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعـــرون - فقلت يا رسول الله كيف يقولون - قال يقرون ببعض القدر ويكفرون ببعض يقولون

الخيـر من الله والشر من الشيطـان الحديث * ومنهم سالم بن عبد الله رضي الله عنه - روى البيهقي بسنده الى سفين عن عمر بن محمد قال جاء رجل الى سالم بن عبد الله - فقال أرأيت رجلا زني قال يستغفر الله - قال كتبه الله عليه - قال نعم - قال فيعذبه وقدكتبه عليه فاخذ كفا من حصا فحصبه * ومنهـم عطا بن ابي رباح رضي الله عنه - روى الحاكـم بسنده الى عبد الواحد بن سليم - قال سألت عطآ فقلت ان ناسا من اهل البصرة يقولون في القدر - قال تقرأ القرآن - قلت نعم - قال اقرأ الزخرف - فقرأت [حم والكتاب المبين] الى قوله تعالى [وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم] قال أتدري ما ام الكتاب - قلت الله ورسوله اعلم - قال هو الكتاب الذي كتبه قبـل ان يخلـق السموات والارض فيه ان فرعون من اهل النار و [تبت يدا ابي لهب] * ومنهم طاؤس رضي الله عنه - روى الطبري بسنده الصحيح الى عمرو بن دينار قال قال طاؤس احذروا معبد الجهني فانه قدري * ومنهـم مجاهد رضي الله عنه - روى سعيد بن منصـور عن سفيان عن ابن ابي نجيـح عنه انه قال في قوله تعالى [لا تجعلنـا فتنة للقوم الظالمين] قال لا تسلطهم علينا فيفتنونا فيفتنوبنا - وبسند البيهقي للصحيح الى ابن ابي نجيح انه قال في قوله تعالى [يحول بين المرأ وقلبه] قال يحول بين الكافر وقلبه حتى يتركه لا يعقل - وبسنده الى منصور عنه في قوله تعالى [ما انتـم عليه بفاتنين الا من هو صـال الجحيـم] في علم الله - وبسند سعيد عن سفيان عن ابن ابي نجيح عنه في قوله تعالى [اني اعلم ما لا تعلمون] قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها - وروى الطبري بسنده الى الحاكم عنه في قوله تعالى [وكل انسان الزمناه طائره في عنقه] قال مكتـوب في ورقة في عنقه شقي او سعيد * ومنهـم ابن سيرين رضي الله عنه - روى الامـام احمد بسنده عنه قال ان لم يكـن

اهل القدر من الذين يخوضون في آيات الله فلا ادري من هم * ومنهم سعيد بن جبير رضي الله عنه - روي سعيد بن منصور بسنده عنه في قوله تعالى [وهديناه النجدين] نجد الخير ونجد الشر - وبسند الطبري اليه [لو لا كتاب من الله سبق] قال ما سبق لاهل بدر من السعادة - وفي قوله تعالى [اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب] قال ما سبق لهم من الشقاوة * ومنهم اياس بن معاويه بن قرة رضي الله عنه - روى الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه بسنده عنه انه قال ما كلمت احدا من اهل الاهواء بعقلي كله الا القدرية - قلت لهم ما الظلم فيكم - قالوا أن يأخذ الانسان ما ليس له - فقلت لهم ان لله كل شيء - قلت وقد قدمت عن الامام مالك انه بلغه عنه انه قيل له ما رأيك في القدر - فقال لا يعلم سره الا الله - قال مالك وكان يضرب به المثل في الفهم * ومنهم الشعبي - روى الطبري بسنده عنه انه قال لا تجالسوا القدرية - و روى بسنده ايضا غير ذلك من اغلاظ القول فيهم والتكفير لهم * ومنهم زيد بن اسلم رضي الله عنه - روى الطبري بسنده الحسن الى الربيع بن حيثم عن زيد بن اسلم قال والله ما قالت القدرية كما قال الله عز وجل ولا كما قالت الملائكة ولا كما قالت الانبياء ولا كما قال اهل الجنة ولا كما قال اهل النار ولا كما قال اخوهم ابليس - قال الله تعالى [وما تشاؤن الا ان يشاء الله] وقالت الملائكة عليهم السلام [لا علم لنا الا ما علمتنا] وقال شعيب صلى الله عليه وسلم [وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا] وقال اهل الجنة [الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله] وقال اهل النار [ربنا غلبت علينا شقوتنا] وقال اخوهم ابليس [رب بما اغويتني] *

قلت وهذا ما اقتصرت عليه ايضا من كلام هؤلاء العلماء المذكورين الذين اقتصرت عليهم من اجلاء التابعين رضي الله عنهم اجمعين * ومن

الفقهاء الاجــلاء الائمة المشهورين قدوة الامة المتبعين للسنة احسن المتابعة المتبوعين اهل المذاهب الاربعة مالك والشافعي واحمد وابوحنيفة رضي الله عنهم وارضاهم وجعل في علا الجنان ماواهم * وها انا اذكر شيأ من كلامهم وكلام اصحابهم في القدر بتقدم من تقدم منهم في الزمان وتاخير من تاخر* فالامــام ابو حنيفة واصحابه رضي الله عنهم - فروى الامــام البيهقي بسنده الى ابي عصمة نوح بن ابي مريم قال سألت ابا حنيفة من اهل الجماعة قال من فضل ابا بكر وعمر واحب عليا وعثمان وآمن بالقدر خيره وشره من الله ومسح على الخفين ولم يكفر مؤمنـــا بذنب ولم يتكلـم في الله بشي * و روى الطبري بسنده الى محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة قال حدثنا ابو حنيفة وذكر سنده الى ابن مسعود رضي الله عنه قال يكون النطفة في الرحم اربعين يوماً الحديث وفيه فيقول رب ذكر او أنثى شقي او سعيد وما رزقه - قال محمد وبهذا ناخذ وبه كان ياخذ ابو حنيفة - الشقي من شقي في بطن امه - والسعيد من وعظ بغيره - وبسنده الى ابي يوسف صـــاحب ابي حنيفة قال لا تصــــل خلف جهمي ولا رافضي ولا قدري واما الامــام مالك واصحابه رضي اللـه عنه فروى البيهقي عنه انه قال القدرية شر الناس وأرذلهم وقرأ [يضلـوا عبادك] الآية * قلت يعني قول نوح عليه السلام [انك ان تذرهم يضلـوا عبادك] * و قال ابوبكر الابهري في شــرح ابن عبد الحكـــم عن مالك انه قال في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلـوا قال فقلت لـه من القدرية عند مالك - فقــال روى ابن وهب عن مالك انه قال هم الذين يقـولون ان الله لا يعلـــم الشي قبــــل كونه * و روى البيهقي بسنـده انه سئــــل مالك عن تزويـج القدرية - فقــال [ولعبد مؤمن خيــر من مشرك] وبسنده الى يونس بن عبد الاعلى قال سمعت اشهب يقـــول قال مالك القدرية لا تنــاكحوهم

ولا تصلوا خلفهم ولا تحملــوا عنهم الحديث * وان رأيتمــوهم في ثغـــر فاخرجـوهم منه * وقال مالك ما اضــل من كذب بالقدر لو لم يكـن عليهم الا قوله تعالى [خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن] لكفى بها حجة - و روى الطبــري بسنده الى اشهب قال سألت مالكا عن قوله تعالى [ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم] قال ليكون [فريق فى الجنة وفريق فى السعيــر] * و روى البيهقي بسنده الى الامــام الحافظ محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري قال السنة عندنا ان الايمــان قول وعمــل يزيد وينقص وهو قول ائمتنا مالك والاوزاعي وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة - وان القدر خيره وشره من الله عز وجل قد جف القلم بما هو كائن الى يوم يقوم الساعة علم الله من العباد ما هم عاملون والى ما هم صائرون - وامرهم - ونهاهم - فمن لزم امر الله عز وجل وآثر طاعته فبتوفيق الله - ومن ترك امر الله وركب معاصيه فبخذ لان الله اياه - ومن زعــم ان الاستطاعة قبل العمل بالجوارح اليه ان شاء عمل وان شاء لم يعمل كذب بالقدر ورد كتاب الله عز وجل وزعم انه مستطيـــع لما لم يرده الله ونحن نبرأ الى الله من هذا القول - ولكن نقول الاستطاعة فى العبد مع الفعــل فاذا عمل عملا بالجوارح من بر او فجور علمنا انه كان مستطيعا للفعل الذي فعل - فاما قبل ان يفعله فانا لا ندري لعله يريد امرا فيحال بينه وبينه والله تعالى مريد لتكوين اعمـــال الخلق - ومن ادعى خلاف ما ذكرنا فقد وصف الله تعالى بالعجز وهلك فى الداهرين * واما الامام الشافعي واصحابه رضي الله عنهم فقد روى الربيــع بن سليمان من اصحابه عنه انه قال لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من ان يلقاه بشيء من هذه الاهواء * وذلك انه رأى قوما يتجادلون فى القدر بين يديه - قال الشافعي اخبــر الله تعالى في كتابه ان المشية له دون خلقه والمشية ارادة الله - قال تعالى

[وما تشاؤن الا ان يشاء الله] فاعلم خلقه ان المشية له - قال وكان الشافعي يثبت القدر * قلت وقد قدمت ما رواه الامامان المزني والربيع من اصحابه مما انشد قوله * * شعر *

ما شئت كان وان لم اشا * وما شئت ان لم تشا لم يكن

الى آخر الابيات الخمسة * وقال الربيع عن الشافعي لو حلف رجل فقال والله لا افعل كذا الا ان يشاء الله او الا ان يقدر الله - واراد به القدر فلا شيء او قال فلا شيء عليه * قلت يعني لا يحنث * وقد قدمت تقرير المسئلة عن امام الحرمين - وقال عاصم سمعت المزني يقول سألت الشافعي عن قول النبي صلى الله عليه سلم لعنهم الله المكذب بقدر الله - فقلت من القدرية - فقال هم الذين يزعمون ان الله لا يعلم المعاصي حتى تكون - قال المزني هذا عندي كفر - وقال عاصم قال المزني الله الخالق وافعال العباد مخلوقة لا يقدر احد ان شاء شيأ الا ان يشاء الله - قال الله تعالى [وما تشاؤن الا ان يشاء الله] قال وسمعت المزني يقول اذا قال والله لا اضرب اليوم احدا فضرب نفسه لا يحنث لانه انما اراد غيره من الناس - وهذا يدخل في اللغة على القدرية * وقول الله تعالى [خالق كل شيء] فان الله تعالى خالق الاشياء كلها - ومنها اعمال العباد - ولم يعن نفسه انما اراد سواه - قلت وقد قدمت هذه القاعدة ايضا اعني كون المتكلم لا يدخل في حكم الخطاب * واما الامام احمد واصحابه رضي الله عنهم فقال حنبل سمعت ابا عبد الله يقول علم الله في العباد قبل ان يخلقهم سابق وقدرته ومشيته في العباد او قال نافذة في العباد وخلق آدم وعلم منه المعصية قبل ان يخلقه - وكذا علمه سابق محيط بافاعيل العباد وكلما هم عاملون * قلت ومما نقل عن الامام احمد وحكاه بعض اهل العلم عنه انه قال اذا سأل انسان عن افعال العباد أهي من الله عز وجل دون العباد أم

من العباد دون الله عز وجل أم من الله عز وجـل ومن العبـاد فالجواب عن ذلك انها على غير ذلك لان افعال العباد لو كانت من الله عز وجل دون العباد لكان العباد لا ثواب لهم ولا عقاب عليهم - ولو كانت من العبـاد دون الله عز وجل لكان العباد يعملون عملا بغير علـم الله ومشيئته وارادته - ولو كانت من الله عزوجل ومن العباد على معنى واحد تشابهت العبودية بالربوبية - ولا يجوز ان يقال بواحد من هذه الاقاويل بل يقال افعـال العباد هي من الله تعالى تقديرا وخلقا ومن العباد عملا واكتسابا * ومعانيها من قبل الله عز وجل سبعة والتي من قبل العباد سبعة فالتي من قبل الله عز وجل علم سابق لا يخطي بل يقع الامر على وفق ما علم سبحانه - ومشيئة نافذة وقدر مكتوب وتسليط من الشيطان وتطبيع الشهوة وتركيب الهوى واحداث الطاقة * قلت يعني بالطاقة قدرة العبد على العمل * قال والتي من قبل العباد النظـر والفكـر واهتيـاج الشهوة واتبـاع الهوى والغفلة عن العواقب ورجاء المغفرة بلا ندم - انتهى كلامه في الاسباب * ثم قال والثواب والعقاب على الاكتساب والعمـل لا على التقدير والله اعلم * قلت وهذه المذكورات من قبل العبـاد ست لا غير - والسابعة ساقطة من الاصل ولعلها الاكتساب والله اعلم بالصواب * ومن الفقهاء اولى المقامات الرفيعة شيخ الامام مالك ربيعة رضي الله عنه - روى الامام الطبري بسنده الى الامام ذي الفضـل والمجد الليث بن سعـد قال قال غيـلان لربيعة يا ابا عثمـان أيرضى الله ان يعصي فقال له ربيعة افتعصى الله قهرا * ومن جملة الفقهاء الائمة الاجلاء سفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك والاوزاعي رضي الله عنهم *

فاما الامام سفيان الثوري رضي الله عنه فروى الامام البيهقي بسنده عنه انه قال له انسان ان لنا اماما قدريا - فقال لا تقدموه - قال ليس لنا

امام غيره - قال لا تقدموه * وبسنده عنه ايضا انه قال سمعت اعرابيا بعرفة يقول اللـهم من اولى بالزلل والتقصيـر مني وقد خلقتني ضعيفا - ومن اولى بالعفـو عني منك وعلمك فيّ سابق وامـرك فيّ نافذ اطعتك باذنك والمنـة لك عليّ وعصيتك بعلمك والحجـة لك فاسألك بوجوب رحمتك - او قال بثبوت حجتك وانقطاع حجتي وبفقري اليك وغناك عني ان تغفر لي - اللهم لم احسن حتى اعطيتني ولم اسئ حتى قضيت عليّ - اللهـم انا اطعنـاك بنعمتـك في احب الاشيـاء اليك شهادة ان لا اله الا الله - ولم نعصك في ابغض الاشيـــاء اليك الشرك فاغفر ما بينهما - اللهم انك آنس المونسين لاوليائك واقربهم بالكفـــاية للمتوكلين عليك نشاهدهم في ضمائرهم وتطلع على سرائرهم وسري اللهـــم لك مكشوف وانا بك ملهوف واذا اوحشتني الكربة آنسني ذكرك واذا عمت عليّ الهموم لجأت اليك استجارة بك علما بان ازمة الامور بيدك وان مصدرها عن قضايك *

واما الامام سفيان بن عيينه رضي الله عنه فروى الامام البيهقي عنه انه سئل عن القدرية - فقال قالت القدرية ما لم يقل الله عز وجل ولا الملائكة ولا النبيـون ولا اهل الجنة ولا اهل النار ولا ما قال اخـوهم ابليس * قال الله عز وجل [وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين] * ثم ذكر من قول البـاقيـن مثـل ما قدمتـه عن زيد بن اسلـم الا انه قال - وقال النبيـون [وما يكون لنا ان نعود فيها] ولم يقل وقال شعيب كما قال زيد بن اسلـم - وبسند البيهقي ايضـا عنه انه قال له انسان يا ابا محمـد انا وجدنا خمسة اصناف كفروا بمن آمنوا به - قال من هم - قال الجهمية والقدرية والمرجية والرافضة والنصـارى - قال كيف - قال قال اللـه تعالى [وكلـم الله موسى تكليما] فقال الجهمية لا ليس كما قلت بل خلقت كلاما فكفروا وردوا على

اللـه - وقال الله عز وجـل [ذوقوا مس سقـر انا كل شيء خلقنـاه بقدر] فقالت القدرية لا ليس كما قلت الشر من البشر - وليس ممن خلقته وكفروا و ردوا على الله - وقال اللـه تعالى [ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات] الاية - فقالت المرجية لا ليس كما قلت بل هو سواء - فكفروا و ردوا على الله عز وجـل * وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان خيـر هذه الامـة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابوبكـر - ثم عمر - فقالت الرافضة لا ليس كما قلت بل انت خيـر منهما - فكفـروا به و ردوا عليه * وقال عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلـم اني عبد الله ورسـوله - فقالت النصارى لا ليس كما قلت بل انت هو - فكفروا و ردوا عليه * قال سفيان النبـوة الفبوة قلت في قوله الفبوة الفبوة احتمالان - احدهما الاغراء اى الزموا ما جائت به النبوة - والثاني استعظام لما ادعوا فيه وتكذيب لهم وان ليس عنده سوى الفبوة - والله اعلم * وبسنده ايضا عنه انه قيل له ههنا رجل يكـذب بالقدر - فقال كذب عدو الله - لقد سمعت اعرابيا بالموقف وهو افقه منه - يقول اللهم خرجت وانت اخرجتني - وعليك قدمت وانت اقدمتني اطيعك بامرك ولك المنة عليّ واعصيك بعلمك ولك الحجة عليّ فانا أسألك بواجب حجتك وانقطاع حجتي الا رددتني بذنب مغفور *

واما الامام ابن المبارك رضي الله عنه - فروى الامام البيهقي بسنده عنه انه قال ان النصارى لا يؤمنـون من اربع خصـال ذنب قد مضى لا يدري ما الرب يصنع فيه - وعمر قد بقي فيه لا يدري ما فيه من الهلاكات - وفضل قد اعطي لعله مكر واستدراج - وضلالة قد زينت له فراها هدى - ثم ذكر كلاما معناه كـم من زاغ قلبه ساعة اسرع من طرفة قد سلب دينه وهو لا يشعر - نسأل الله الكريم العافية * و روى الطبـري بسنده عنه انه قال

ومن قال ان الله لا يعلم الشر حتى يكون فهو كافر ومن قال انا مستغن عن الله فهو كافر - ومن قال ان الله ظالم العباد فهو كافر * قلت يعني من زعم انه تعالى اذا قدر على العبد المعصية ثم عاقبه عليها يكون ظالما - وقد قدمنا اقامة البرهان على انه لا يكون تعالى ظالما بذلك لانه المتصرف في خلقه المالك * واما الامــام الاوزاعي رضي الله عنه - فروى الامــام البيهقي بسنده الصحيح عنه في حديث يهودانه وينصرانه - قال على ما سبق له في العلم لا مخرجا به من علــم الله والى علم الله يصيرون - وبسنده ايضا انه سئل عن القدرية - فقال للسائل لا تجالسهم - وبسند الطبــري الى بقيّته قال سألت الاوزاعي والزبيدي عن الجبر - فقال الزبيدي امر الله وقدرته اعظـم من ان يجبر ويقهر ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبــل عبده على ما شاء * وقال الاوزاعي ما اعرف الجبــر اصلا في الكتاب والسنة ولكــن القضــاء والقدر والخلق والجبــل * ومن الفقهاء السادة المشهورين قتــادة - روى الامــام البيهقي بسنده الى سعيــد بن ابي عروبة قال سألت قتــادة عن القدر - فقال تسئلني عن رأي العــرب ان العرب في جاهليتها واسلامها كانت تثبت القدر * وبسنده الصحيح اليه عنه في قوله تعالى [انا ارسلنا الشيــاطين على الكافرين تؤزهم ازا] قال تزعجهــم الى المعاصي ازعاجا * قلت وهذا ما اقتصرت ايضا عليه من كلام الائمة المذكورين الذين اقتصرت عليهم في الفقهاء الاجلة المشهورين *

واما المشائخ العارفون الاوليــاء المقــربون - فسياتي ذكر اثبــاتهم للقدر وانهم عليه مجمعون * وامــا ائمة الحديث المتقنــون الحفــاظ المسندون - فقد اندرج ذكر بعضهم في الائمة المذكورين مثل الامامين مالك واحمد - والامــامين سفيان وسفيان وغيرهم من الفقهــاء المذكورين وممن ذكرت من العلماء التابعين - وبعضهم تقدم ذكــرهم في الاحاديث التي استدللت بها

على اثبات القدر - فهم الذين رووها وذكرهم أشهر من أن يشهر - اعني الائمة الحفاظ العباد الاعلام الذين على كتبهم مدار الاسلام - وهم الامام ابو عبد الله البخاري - والامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج النيشابوري - والامام ابو داؤد السجستاني - والامام ابو عيسى الترمذي - والامام ابو عبد الرحمن النسائي رضي الله عنهم * واما ائمة الاصول المحققون النظار المدققون فعقائدهم في ذلك معروفة وتصانيفهم مشهورة موصوفة مشحونة بالبراهين المفحمة القاطعة فى الرد على المبتدعين الخارجين عن المتابعة * وقد ذكرت جماعة منهم في اول هذا المعتقد - وفي مواضع منه استدل باقوال بعضهم عليها المعتمد * وكذلك ائمة علم الادب كابي عمرو والخليل والاصمعي وثعلب وغيرهم من علماء العربية موافقون على العقيدة السنية * وقد روى الامامان ابن عبد البر والطبري بسنديهما عن الامام الاصمعي - قال سأل اعرابي عن القدر - فقال ذلك علم اختصمت فيه الظنون وغلا فيه المختصمون - والواجب علينا أن نرد ما اشكل علينا من حكمه الى ما سبق من علمه * وقال الاصمعي سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول اشهد ان الله يضل من يشاء - وله الحجة البالغة على عباده وغير ذلك مما رواه رب امام باسناده وهو اعتقاد كافة العرب - كما رواه الامام ثعلب قال لا اعلم عربيا قدريا - قيل له يقع في قلوب العرب القول بالقدر - قال معاذ الله ما فى العرب الا مثبت للقدر خيره وشره اهل الجاهلية والاسلام - وذلك في اشعارهم وكلامهم كثير * وكذا حكاه عمر بن عبد العزيز وقتادة كما تقدم * وحكاه ايضا ثعلب عن سائر العجم - والله اعلم * وقلت قد اقتصرت على نقل هذه النبذة اليسيرة عن يسير من العلماء القائلين بذلك من الاصناف المذكورة ممن طبق وجه الارض ذات الطول والعرض - وعلى الجملة فقد انعقد الاجماع من الصحابة فمن بعدهم قبل ظهور الابتداع *

بيان اجماع الصحابة على اثبات القدر بما صح من الدليـــل و اشتهر

روى الامام الطبري بسنده الى سعيد بن ابي مريم - وهو عنه احتج به البخاري ومسلم - قال اخبرنا مالك وابن ابى الزناد عن عمرو عن طاؤس قال ادركت ثماني مائة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر - قلت هكذا هو فى الاصل المنقول منه ثمان مائة بحذف الياء التي بعد النـون * و روى ايضـا بسنده الى ابى الاسود الديلي انه قال ما رأيت احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مثبت القدر * و روى الامـام مالك فى الموطا عن طاؤس انه قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر حتى العجز والكيس * او الكيس والعجز - هكذا رواه يحيى بن يحيى وابن مصعب وغيرهما من مالك * وهكذا رواه مسلم - قال الامام بن عبد البر ورواه ابن وهب والقعنبي ادركت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر * و روى الامام البيهقي بسنده الصحيح الى حماد بن زيد - قال ادركت الناس وما كلامهم الا ان قضي وقدر * وقد ثبت فى الصحاح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال نفر من قدر الله الى قدر الله بمحضر جمهور المهاجرين والانصار - فاقروه على ذلك من غير انكار * وكذلك صح عنه ما قدمت بعضه - وهو ما روى الامام البيهقي بسنده الصحيح الى حماد عن خالد الحذا عن عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر بن عبد الله بن الحارث بن نوفل - قال خطبنا عمر بن الخطاب بالجابية فحمد الله واثني عليه - فلما اتى على [من يهده الله فلا مضل له ومن يضلـل فلا هادي له] قال له الجاثليق ان الله لا يهدي ولا يضل -

فقال عمر كذبت يا عدو الله بل الله خلقك وهو اضلك وهو يدخلك النار ان شاء الله - والله لولا لوث عهدك لضربت عنقك * وكذلك رواه الامام الطبري بسنده الصحيح الى الامام سفيان الثوري وغيره عن خالد الحذاء بسنده المذكور - وقال فيه بل الله خلقك والله أضلك ثم يميتك فيدخلك النار ان شاء الله - وذكر ما تقدم - ثم قال ان الله تعالى خلق الخلق وكتب - او قال حين خلق الخلق - او قال حين خلق آدم - كتب اهل الجنة وماهم عاملون - وكتب اهل النار وماهم عاملون - ثم قال هولاء لهذه وهولاء لهذه - فيفرق الناس - وما تخلف في القدر اثنان * وكذلك ما قدمت عنه بسند الامام البيهقي انه كان كثيرا ما يقول على المنبر وخفض عليك فان الامور - بكف الاله مقاديرها - مع البيت الثاني * وكذلك ما قدمت بسند الامام مالك في الموطا عن ابن الزبير انه كان يقول في خطبته ان الله هو الهادي والفاتن - وكل هذا المذكور واقع في مجامع المهاجرين والانصار - ومستفيض بينهم من غير انكار - وكذلك اجماع السلف والخلف مطلقا على قول ما شاء الله كان - وما لم يشأ لم يكن - وكل هذا على وجه الاجمال والتعميم * وقد قدمت انه روى احاديث اثبات القدر فوق ثلاثين صحابيا مع التسمية لهم والتابعين - وذكرت كلام جماعة منهم في اثباته على وجه التفصيل والتبيين - من أجلائهم وكبارهم من اهل البيت وغيرهم * قلت واذا علم ما روينا وتقرر علم ان مذهب الحق الانور - ومنهج السنة الازهر - ان كل خير وشر - ونفع وضر - بقضاء وقدر * ومن ذلك ان كل طاعة وعصيان واساءة واحسان وسائر افعال العباد واقوالهم وعلمهم واعمالهم ونياتهم وعقيداتهم وسائر حركاتهم وسكناتهم - وكلما قدر الله تعالى و رتب على مقدوره من اجر وثواب وحساب وعقاب فهو الحكم الحق اللائق بحكمته - والسابق في علمه الجاري في طريق الفضل والعدل الى

جميع خلقه - ولا ظلم ولا جور الا فيما وقع مخالفا لامره ونهيه * وقد قدمت الكلام في بيان ذلك وتقريره وتحريره وتحقيقه - وكل افعال الله تعالى متساوية بالنسبة الى الحكم الالهية - وانما يختلف مراتبها بالاضافة الى البرية * قال نقاد الانظار واستاد النظار فحل المتكلمين امام الحرمين رضي الله عنه ولولا انه شاع في الفاظ عصبة الحق انه تعالى خالق الخير والشر لكان سر التوحيد يوجب ان يقال ليس في افعال الله خير وشر بالاضافة الى العبد - قال وقد نبه على هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم - حيث قال خلق الله آدم ثم اخذ الخلق من ظهره - فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولاأبالي - قلت وهذا الحديث رويناه في صحيح ابي حاتم بن حبان كما قدمت *

بيان الاستدلال و الاستشهاد على خلق الله تعالى افعال العباد

الدليل على ذلك مع ما قدمنا من المعقول والمنقول من الايات واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم - وبلغه في امته نهاية السوال قوله عز وجل [فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى] [أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون] [أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون] سلب عنهم القتل والرمي والزرع مع مباشرتهم لذلك - وأثبت فعل المذكورات لنفسه - وأخبر أنه خلق الذي تمنون - ودخل في ذلك ما يمنى في الطاعة والمعصية معا * فما تقول أيها المعتزلي في مني الزاني وشهوته للزنا وقدرته عليه خلق ذلك كله أم لا - وكذلك ولد الزنا - وهل كان الاصلح له ان يكون ولد زنا أو ولد حلال - وكذلك قوله تعالى [أنه هو أضحك وأبكى] من أضحك الكافر عند

سروره بقتله للمسلم وحصول غرضه في جميع فجوره - ومن ابكى المسلم حزنا عند قتل الكافر أباه وأخاه - وهل المضحك والمبكي الا من صدر عنه الاضحاك والابكاء * واذا كان الامر كذلك ولا سبيل الى ان تقول غير ذلك ألزمتك ما لا تجد عنه محيصا - ولا ترى لك منه خلاصا - وهو ان اقول في تقدير ذلك - القتل سبب لضحك القاتل والسبب متوقف على مسبب يوجده ومتـوقف عليه مسبب بالفتح يصدر عنه ينسب ذلك المسبب تارة الى المسبب وتارة الى السبب تقول أحيـا الله الارض وأحياها المطر وأضحك الله سنك وأضحكتك نعمة الله - فالمسبب بالفتح هو الضحك والسبب هو النعمة والمسبب هو خالقها - ثم المسبب بالفتح متوقف على السبب المتوقف على المسبب من حيث الجملة - والمتوقف على المتوقف على شيء متوقف على ذلك الشيء - فالمسبب متوقف على المسبب - والمتوقف على شيء لا يوجد الا بذلك الشيء - ومسبب الاسباب هو رب الارباب * فجميع الاسباب والمسببات لا توجد الا به - والقتل في الصورة المذكورة سبب والضحك مسبب فلا يوجد الا به - هو المطلوب والحمد لله * واقول ايضا مسبب الاسباب موجدها والموجد هو الخالق - ومسبب الاسباب هو الله - فخالق الاسباب هو الله - والقتل المذكور سبب للضحك فخالقه هو الله - وهو فعل العبد - ففعل العبد خالقه الله - فثبت ما ذكرنا من كون افعال العباد خلق الله وهو المطلوب والحمد لله * واقول ايضا أفعال العباد مُوجِدُها هو المولى - لقوله جل وعلا [وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى] فنص الله تعالى على انه هو الرامي - والرامي موجد الرمي - والرمي فعل العبد - فصح وثبت ما ذكرنا من خلقه تعالى أفعال العباد - وذلك هو المطلوب والمراد - والحمد لله الذي من يهده فلا مضل له ومن يضلل فما له من هاد * ثم أفعال العباد

مشتملة على طاعات ومعاص كما قررت لك في القتل - وكذلك الضحك المرتب عليه وهو المضحك تعالى بالدليل القاطع من العقل والنقل - فخالق الكل هو الله الحكم العدل القاضي بذلك - والخالق له بالقدرة المقارنة للفعل التي بها قدر العبد عليه والناهي عنه حكمه - وابتلاؤ المعاقب للمخالف ان شاء على كسبه يوم رجوعه اليه - ولغير الموحد فلابد لقوله الصدق في القرآن المجيد [الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد] حيث قال سبحانه وتعالى [إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفــــر ما دون ذلك لمن يشاء] * فان قلت قوله تعالى [اضحك وابكى] محمول على غيــــر ما ذكرت ففي تفسيــــره اقوال مشهورات * منها ما قيل ابكى السماء بالمطر - واضحك الارض بالنبات - والى ذلك اشار القائل بقوله *

أما ترى الارض قد اعطتك زهرتها * مخضرة واكتسي بالنور عاريها
وللسمـــــاء بـــــكاء في جـــوانبهـــا * وللربيع ابتسام في نواحيهـــا

قلت الضحك والبـــكاء حقيقة في المعـــروفين - بين الناس المشهورين - والحقيقة هي الاصل الذي عليه التعويل - ولا يعدل عنه الا بدليل - وذلك ايضا هو الظاهر - واليه الفهم مبادر * فان سلمت ذلك وادعيت التخصيص فيه * قلت خلاف الاصل - فان قلت لا نسلـــم ان الضحك يكون معصية - قلت من زعم ان الضحك للسرور - بحصول الغرض من الشرور - كالقتل وسائر الفجور - ليس هو من المحضور - فهو في جحـد القطعيـات يسعى فان الســـرور بالمعصيـــة معصية قطعـا وكـذلك قوله تعالى [وجعلناهم ائمة يدعون الى النار] * وقوله سبحانه [هو الذي يسيركم في البر والبحر] * والسير قد يكون في المعصية * وقوله تعالى [وخلق كل شيء فقدره تقديرا] * وقوله سبحانه [من يضلل الله فلا هادي

له] سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون] [وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس] * [وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة] قلت والكتاب العزيز مشحون بالايات الكريمات المصرحات بخلقه تعالى لافعال العباد وارادته لها - وتعداد ذلك يطول - وآية واحدة تكفي اولى العقول * وقد استدل اصحابنا بقوله تعالى [والله خلقكم وما تعملون] قالوا وما مصدرية اى خلقكم واعمالكم * وقول المعتزلة انها موصولة ومعناها والذي تعملون مخالف للظاهر ومحتاج الى اضمار اى والذي تعملون فيه البحث من الحجارة * والاضمار خلاف للاصل * ولو فتحنا باب حمل الادلة على خلاف ظواهرها او على زيادة الاضمار فيها - لازيلت الظواهر كلها وبطل الاستدلال بها * وقول المعتزلة ان ابراهيم عليه السلام احتج على الكفار بان العابد والمعبود جميعا خلق الله ومعبودهم هو الحجارة ممنوع * قلت وتقرير المنع انهم كانوا يحدثون فيها تصويرا وتمثالا لاجله اتخذوا الاصنام آلهة وعبدوها * والدليل عليه قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم [ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون] فاخبر ان عكوفهم انما هو على التماثيل - والتماثيل تصاوير فى الحجارة لا صورة الحجارة التي خلقت عليها - والتماثيل عملهم فمعبودهم الذي عكفوا عليه عملهم - ومعبودهم خلق الله اجماعا - فعملهم خلق الله وهو المطلوب والحمد لله * فان قيل يمتنع ان يكون التمثيل آلهة لان التمثيل عمل والعمل عرض والعرض لا يتصور اتخاذه آلهة - قلت الجواب من وجهين - احدهما منع امتناع اتخاذ الاعراض آلهة بدليل قوله تعالى [أفرايت من اتخذ الهه هواه] والهواء عرض بالاتفاق * والثاني ان التماثيل والتصويرية صارت الحجارة على صورة غير صورتها المخلوقة عليها لولا تلك الصورة ما عبدوها فمعبودهم هو الصورة التي مثلوها وهو عملهم

فمعبـودهم عملهم ومعبـودهم خلق الله كما تقـدم فعملهم خلـق الله وهو المطلوب والله اعلـم * ويؤيد ما ذكرنا من ان الاعمال خلق الله عز وجل ما روى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يصنع كل صانع وصنعته - وتلا بعض الرواة عند ذلك [والله خلقكم وما تعملون] قال البخاري فاخبر ان الصناعات واهلها مخلوقة - قال وسمعت عبد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد - يقول ما زلت اسمع اصحابنا يقولون افعال العباد مخلـوقة * و رواها البيهقي في كتاب القدر ولفظه ان الله خلـق كل صانع وصنعته - وقال هذا اسناد صحيح * و روى في كتاب الاعتقاد بسند صحيح الى قتـادة في قوله تعالى [والله خلقكم وما تعملـون] قال خلقكم وخلق ما تعملون بايديكم - قلت وعلى الجملة فقد قال ائمتنا من الاولياء والعلماء اثبت الله تعالى الخلق لنفسه ونفاه عن غيره بقوله عز وجل [الا له الخلق والامر] ولما قرئت هذه الاية بين يدي الشيخ الكبيـر العارف بالله عمر النهارى الشهير قال تعالوا نقتسم ما بقي قلت يعني انه لم يغيـر الله تعالى شيء من الخلـق والامـر * والاحاديث الدالة على ما ذكرنا من خلق الافعال والهداية والاضلال وسبق المقـادير في ازل الآزال خارجـة عن الحصـر والتعداد مشهـورة صحيحة الاسناد * وقد قدمت منها ما فيه الكفاية لمن وفق للهداية * وقد روينا في صحيح مسلـم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلـم قال الحمد لله نحمده ونستعينه . من يهده الله فلا مضـل له ومن يضلـل فلا هادي له الحديث * و روينا في سنن ابي داؤد والتـرمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه - قال علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة - الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له - قال الترمذي حديث

حسن * و روينا في صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء * و روينا في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر - اللهم انك ان تشأ لا يعبد في الارض - قال العلماء فيه التسليم لقدر الله تعالى - والرد على غلاة القدرية الزاعمين ان الشر غير مراد ولا مقدور لله تعالى عن قولهم * قال ائمتنا - وقد اتفق سلف الامة وخلفها من الصحابة والتابعين - ومن بعدهم من العلماء السلف الصالحين رضي الله عنهم اجمعين على ان الخالق المبدع هو الله لا خالق سواه ولا مبدع الا اياه - خلق الخلق وصنعهم واوجد قدرتهم وحركتهم فلا يكون شيء الا بخلقه وابداعه وارادته وقضائه *

بيان معنى الاستطاعة القائمة بالعباد التي يصدر عنها افعالهم على وجه الصلاح او الفساد وبيان التوفيق والخذلان والهدى والضلال

قال ائمتنا سلامة الجوارح وانتفاء الموانع الظاهرة لا يُوجِدُ الفعْلَ من الفاعل بمجردها بل لابد من قوة خاصة متجددة من عند الله تعالى يخلقها في العبد - وهي على حسب ما يخلق الله تعالى فيه - فان فعل بها خيرا سمي توفيقا وعصمة وتائيدا - وان فعل بها شرا سمي خذلانا - وان فعل مباحا سمي عونا - وهذه الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل ويسبقها خلق العزم عليه - فلابد في الافعال الاختيارية من خلق الله تعالى لاعضاء ولحركة فيها ولقوة وهمة يصدر بها الافعال - والله خالق للشخص وللنواة

ولعـزمه وافعاله * والدليـل على خلق القوة والهمة اجمـاع المسلمين على
سوال الله التـوفيق - والاستعـاذة من الخـذلان - وما سألوه الا ما هو بيده
وقادر عليـه * قال شعيب عليـه السـلام وما توفيقي الا باللـه فهو تعالى
خالق العضو المتحرك والقـوة فيه والحـركة الناشية منه - وخالق العبـد
واختيـاره ولا يخرج شي عن خلقه وقدرته فله الخلـق والامر وبه الحـول
والقوة * والتوفيق هو خلق قدرة الطاعة * والخـذلان خلق قدرة المعصية -
فالموفق لا يعصي اذ لا قدرة له على المعصية - وكذلك القول في نقيضه *
قلت والمراد بقوله والموفق لا يعصي ان الموفق بشي او في وقت لا يقدر
يعصي فيهما لا مطلقـا الا ان يكـون موفقـا مطلقا كالملائكة والانبيـاء عليهم
السـلام - وذلك هو العصمـة مختصـة بهم وكذلك النقيض المذكـور -
فالمخذول والعياذ بالله في شي او في وقت لا يقدر يطيع فيهما - والمخذول
مطلقا يمتنـع عليه الطاعة مطلقا كالشيـاطين نعوذ بالله منهـم * وصرفت
المعتزلة التوفيق الى خلق لطف يعلـم الرب تعالى ان العبـد يؤمن عنده
وحملوا الخذلان على امتنـاع اللطف ولا يقع عندهم في علوم الله اللطف
في حق كل احد بل منهم من علـم تعالى انه يؤمن اذا لطف به - ومنهم
من علـم انه لا يزيده الا تماديا في الطغيـان واصرارا على العـدوان * قال
امام الحرمين ويلزمهم من مجموع اصلهم ان يقولوا ان لا يتصف الرب تعالى
بالاقتدار على ان يوفق جميع الخلائق - وهذا خلاف الدين - ونصوص
الكتـاب المبين * وقد قال سبحانه [ولو شئنـا لاتينا كل نفس هداهـا]
وقال تعالى [ولو شـاء ربك لجعـل الناس امة واحدة] الى غيـر ذلك
انتهى * قال اصحابنـا واذا صحت الجـوارح وارتفعت المـوانع الحسية
سميت استطـاعة - يتوجه بسببها التكليف - وهذه الاسنطـاعة تكون قبـل
الفعل ومعه مستصحبة الى تمامه ليتمكن منه - وهذه الاستطاعة هي محل

نظر الفقيه لتعلقها بفروع الدين - واما ما يتعلق باصوله - فنظر الاصولي في استطاعة اخرى وزائدة لا حيلة للعبد فيها وهي ما تقدم ذكره اعنى القوة الواردة من الله تعالى للتوفيق والخذلان او العون على ما تقدم من البيان وذلك هو خلق الله للفعل فيمن ظهر منه وبسبب ظهوره من الفاعل ينسب اليه وسمى كسبا ويرتب عليه الثواب في امتثال المامورات والعقاب في ارتكاب المخطورات * قلت ولو قيل وبسبب ظهوره من الفاعل واختياره لكان اولى ليخرج عنه غير المختار فاذا الاستطاعة استطاعتان احداهما استطاعة التكليف وهي ما ذكرنا من سلامة الجوارح وارتفاع الموانع الحسية - وقد يعبر عن ذلك باجتماع شروط معروفة في المكلف - والثانيه إستطاعة الفعل وهي القوة المذكورة وخالفت المعتزلة في ذلك فزعموا ان الاستطاعة إنما هي قبل الفعل وهي سلامه الجوارح وارتفاع الموانع فقط وان القدره المتقدمة على الفعل باقية فيه - وهذا القول باطل من جهتَيْ العقل والنقل أما العقل فلان القدرة الجاذبة أعني قدر العبد عرض من الأَعراض - وجملة الأَعراض عندنا غير باقية أعني لا يبقى العرض زمانين * والدليل على أستحالة بقاء الاعراض أنها لو بقيت لاستحال عدمها - وتقرير ذلك قد تقدم ويلزم صدور المقدور في حال عدم القدرة وهو محال * وأما النقل فقال الله عز وجل [وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم و الله يعلم أنهم لكاذبون] الى قوله تعالى [فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . قلت و وجه الاستدلال بذلك ان الله تعالى كذبهم في نفي الاستطاعة الاولى التي هي صحة الجوارح وارتفاع الموانع وهي مناط التكليف فانها موجودة فيهم - ولكنهم عدموا الاستطاعة التانية التي هي خلق قدرة الطاعة المقارنة للفعل المسماة بالتوفيق التي نقيضها الخذلان الذي منعهم من الخروج على التحقيق

بدليـل قول اصدق القائلين [فثبّطهم وقيل اقعـدوا مع القاعدين] * قلت والشواهد الدالة على ما ذكرنا من الاستطاعة الثانية التي اثبتها اهل الحق يطـول ذكرها بل يتعذر حصـرها * ومنها قوله تعالى [ما كانوا يستطيعـون السمع وما كانوا يبصرون] وقوله صلى الله عليه وسلـم للذي اراد قتله لم تكن لتستطيـع الذي اردت - وذلك مـا روى الحـاكم في المستـدرك على الصحيحين انه جـاء رجـل الى رسـول الله صلى الله عليه وسلـم فقـال من انت - قال انا نبي - قال وما نبي - قال رسول الله - قال متى تقـوم الساعة - فقال غيب [ولا يعلـم الغيـب الا الله] قال ارني سيفك فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلـم سيفه - فهز الرجـل ثم رده عليه - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلـم اما انك لم تكن تستطيـع الذي اردت * قال الحاكم ابو عبد الله على شرط مسلـم * قلت وهذا في بعض الغزوات - وقضيته مشهورة في وقت القيلـولة تحت الاشجار عند ما حمى النهـار - ولا حاجة الى كثـرة الاستشهـاد - وتتبـع ما هو خارج عن الحصـر فالمراد حاصل من ذلك بهذا القدر * قلت ومن الفوائد الغريبة المطرية العجيبة ما ذكر الشيخ الكبيـر العارف بالله الشهيـر ابوطالب المكي رضي الله عنه قال كنت مرة خاطبت بعض اصحابنا في مسئلة الاستطاعة انها مع الفعل لا قبلـه ولا بعـده فتكلمت بذلك في المشيـة على مذهب اهل الكلام المختلفين فيها قبـل ان ينكشف لي مشاهدة علـم اليقين - فرأيت في النوم قائلا يقـول القدر من القدرة والقدرة صفة القـادر - والقدر يقـع على الحركة ويظهر الافعال من الجوارح ولا يتبين فكيف تتكلم في شيء لا يتبين فجعلت على نفسي ان لا اناظـر احـدا في هذا البـاب * قال وحدثت عن بعض المشائخ قال كان في نفسي شيء من هذا القدر فكنت استكشفه فلاينكشف حتى لقيت بعض الابدال فاستكشفته اياه - فقـال لي ويحك

ما تصنع بالاحتجاج نحن ينكشف لنا عن سر الملكوت فننظر الى الطاعات تنـزل صورا من السماء حتى تقـع على جوارح قوم فيتحرك الجوارح بها وننظـر الى المعاصي تنزل صورا من السماء على جوارح قوم فيتحرك الجوارح بها فكشف الله عن قلبي القدر - او قال الجهل بالقدر - واخلف لي العلم بمشاهدة القدرة * وقال الخلـق اهون من ان يفعلوا شيئا لا يريده الله تعالى من المعاصي او الطاعات ، وقد ظهر صحة قولنا وبطلان قولهم من طريقي العقل والنقل صحة وبطلانا واضحين للناظر المعتبر وناهيك بذلك وضوحا للمستيقظ المستبصر انهم زعموا ان مقدورات العبـاد ليست مقدورات للـرب تعالى * قال ائمتنا وسبيلنا ان نسـألهم هل كان الرب سبحانه قبـل ان يقدر عبده على ذلك موصوفا بالاقتـدار على ما كان في معلـومه انه سيقدره عليه ام لا [1] - فان قالوا لا فقد ظهـر بطـلان ما قالوا * وقال بعضهـم فقد كفـروا لتعجيزهم ربهم سبحانه فيما هو من جملة الممكنات ولم يتعلق به قدرة العبـد بعد - وان قالوا نعم - قلنا كيف يكون باقتداره العبد عليه خارجا عن مقدوره بعد ان كان عليه قادرا - وصفـاته تعالى تستحيـــل ان تتبـدل او تنقص وتتغير - وليس لهم شبهة تبدونها لدفع ما لزمهم في هذا من الباطل الشنيع والضلال الفضيع سوى ما زعموا من استحالة مقدور بين قادرين - وهذا الام جاهل لم يحـط بالمسئلة تحقيقـا او مكابر لكونه لم يجد الى الخـلاص مما لزمه طريقـــا ، فان اهل الحق يعتقدون تفرد البـــاري سبحانه بالخلـق

---

[1] In the margin is added in the same hand :—

ولكن الله غضب على قوم في القدم - فلما اظهرهم استعملهم باعمال اهل الغضب ليحلهم دار الغضب - ورضي عن قوم في القدم - فلما اظهرهم استعملهم باعمال اهل الرضا * قلت قوله غضب على قوم في القدم - ورضي عن قوم في القدم يعني حكم عليهم وقضي* بالغضب والرضى - نسأل الله الكريم التوفيق والموت على مذهب اهل الحق والتحقيق *

والاختــراع - فلا خالق سواه تعالى - وهـم يعتقدون تفرد العبد بخلق اعماله فلا خالق سواه لها * واذا كان المذهبـان فى المسلكيـن المذكورين سالكيـن وعن المفهلين المذكورين صادرين - فاين ما زعموه من مقدور بين قادرين * قال امـام الحرمين ولو تناقض في معتقـد المخالف بقاؤه مقدورا لله مع تجدد تعلق قدرة العبد به فاستبقى كونه مقدورا للرب * وانتفاء كونه مقدورا للعبد اولى من انقطاع تعلق كون الرب تعالى قادرا عليه لتجدد كونه مقدورا للعبـد * واذا ثبت وجوب كون مقدور العبد مقدورا للـه فكلما هو مقـدوره تعالى فانه محدثه و خالقه اذ من المحـال ان يتفرد العبد باختراع ما هو مقدور اللـه تعالى *

بيان كسب العبد لافعاله ونسبتها اليه مع خلق الله لها وتقديرها عليه

اعلـم ان جميع ما قدرنا من انفراد الباري تعالى بخلق افعال العباد واختراعها وايجادها وابداعها خيـرها وشرها نفعها وضرها لا يخرجها عن كونها مقدورة للعبـد يخلق الله له قدرة يقوى بهـا على الاكتسـاب * فهو تعالى خالق المسببات والاسبـاب خلق القادر والقدرة والمقدور معا وخلق الاختيـار والمختار جميعا خلقنا وخلق الفعل فينا [والله خلقكم وما تعملون] - وخلق فينا اختيارنا [وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين] واظهر فينا الاكتساب ومكننا منه بخلق الداعية اليه والقدرة عليه - فالداعية مخلوقة قبله والقدرة مقارنة له خلافا للمعتزلة - وقد قدمنا في ذلك الادلّة ونسب الفعل الينا لظهوره فينا واختيارنا له واكتسابنا - وقد تقدم بيان الاستطاعة وان الباري تعالى خالق كل شيء - ومن ذلك المعصية والطاعة - وقد نطق القرآن الكريم بما ذكرنا - من خلق الله افعالنا بواسطة اكتسابنا قال الله العظيم

[قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم] فهو المعذب الموجد للعذاب - بما اجري على ايدي السادات الصحاب - ونالوا به المجد والثواب - بالهمم العوالي والاكتساب - وكذلک قوله عز وجل لنبيه الكريم المبجل صلى الله عليه وسلم [قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا] اى بعذاب ينزله من السماء او يظهره فى الارض بغير واسطة سبب بصاعقة او خسف او غير ذلک مما به العطب او بواسطة ايدينا رميا وضربا وطعنا بالقناء ويكون هو المعذب - كما قال جل و علا [وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى] وقد صرح بما ذكرنا من الخلق والكسب قول الباري قال [فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري] - فيا ليت شعري ما جواب المعتزلة عن هذا وامثاله - و ما ذا عسى ان يجيبوا فيا ليتهم فهموا قوله تعالى [ثم تاب عليهم ليتوبوا] فيرجعوا عن اعتقادهم الباطل والى الحق ينيبوا ويتحققوا الحق في قول الحق حاكيا عن الكليم الذي مضله [فتنا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء] وعلى الجملة فليس يؤثر في جميع الوجود الا قدرة الموجد لكل موجود ولا يقع من جميع الاشياء في ملكه ما لا يشاء فلو لم يرد من احد عصيانا لما خلق لكل انسان شيطانا - بل ما كان يخلق للعقاب نارا ولا يسمى نفسه غفارا ه

بيان كون قدرة الجاذبة مقارنة للفعل لا قبله كما زعمت المعتزلة

انّا اذا قدرنا حالتين فى الاولى قدرة جاذبة وفى الثانيه حدوث مقدور - فالمقدور لم يوجد فى الحالة الاولى - وفى الثانية يمتنع تعلق القدرة به لان القدرة من الصفات المتعلقة بمقدورها - فمن احال تعلقها بالمقدور حال حدوثه قد نفي تعلقها به * وحاصل مذهبهم ان قبل الحدوث القدرة حاصلة ولا مقدور - وحال الحدوث المقدور حاصل ولا قدرة * قلت ومن قال ان الفعل حاصل من غير قدرة يقتدر بها عليه الفاعل حال حدوثه * فقوله باطل لان القدرة المتقدمة عليه كالمتاخرة عنه اذ كل واحدة منهما حال حدوثه معدومة فكما لا تقع بالمتاخرة لا تقع بالمتقدمة * وايضا فقد قدمنا ان الاعراض لا تبقى واذا لم تبق القدرة حال الفعل فهو عاجز حقا ووقوع الفعل من العاجز في ذلك الحال محال - وعلى الجملة فانه يلزم على قولهم وجود مؤثر بلا اثر ووجود اثر بلا مؤثر وكلاهما باطل اذ وجود اثر متخلف عن وقت التاثير ممتنع غير حاصل ووجود مؤثر قبل تاثيره ممتنع ايضا عند كل عاقل كما يمتنع وجود فاعل قبل الفعل ومفعول بعد موت الفاعل *

حكم تكليف ما لا يطاق

قال امام الحرمين رضي الله عنه الصحيح عندنا ان ذلك جائز عقلا غير مستحيل واحتج على ذلك بكلام طويل وقال الامام ابو حامد الغزالي يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة

و لو لم يجز ذلك لاستحال سوال دفعه - وقد سألوا ذلك - فقالوا [ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به] ولان الله تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم - بان ابا جهل لا يصدقه - ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده * وكذلك الامام فخر الدين الرازي - احتج على جواز تكليف ما لا يطاق باربعة اوجه - والزمه المعتزلة في مسئلة العلم - كما الزمناه في مسئلة خلق الافعال - وسيأتي شيء من كلامه في ذلك ان شاء الله تعالى * وقال الامام ناصر الدين البيضاوي رضي الله عنه التكليف بالمحال جائز لان حكمه تعالى لا يستدعي غرضا * وقال الامام ابو بكر بن فورك رضى الله عنه - ليس في الشرع تكليف ما لا يطاق ولو ورد في الشرع تكليف ما لا يطاق جاز بحق ملك المالك * ثم لم يكن المراد به ان يفعلوا ما امروا به ولكن يكون علامة لشقاوتهم كما اخبر الله تعالى [ويدعون الى السجود فلا يستطيعون] - قلت وكما جاء في الحديث انه يقال للمصورين يوم القيامة احيوا ما خلقتم وانه يكلف المصور ان ينفخ فيه الروح - وليس بنافخ * وقال بعض ائمة اهل الحق - والحق جوازه من حيث مقتضي الالهية والعبودية - ويفعل الله ما يشاء ويعذب من يشاء ويرحم من يشاء - انتهى * قلت وعلى الجملة فالمشهور عن الشيخ ابي الحسن واصحابه المذكورين وغيرهم من ائمة اهل الحق جوازه - والمراد الابتلاء والتعجيز كما تقدم والله اعلم * اذا علم هذا فاعلم ايها المعتزلي المانع من جواز تكليف ما لا يطاق انه يلزم من مذهبكم جواز ذلك بل وقوعه باجماع منكم واتفاق لانكم تقولون يستحيل حصول الفعل في حال حدوث القدرة - وفي حال حصول الفعل لا يكون قادرا كما قدمت تقريره *

بيان توسط مذهب العصابة السنية بين مذهبى الفرقتين المبتدعتين المعتزلة والجبرية

اعلم انه يحتاج هنا الى بيان الفرق بين الخالق والمكتسب والمجبر- فاما حقيقة الخالق فهو الذي يصح منه الانفراد بالفعل - واما حقيقة المكتسب فهو الذي لا يصح منه الفعل مفردا - وبيانه ان الصبي يعجز عن حمل الشيء الثقيل فاذا اعانه الكبير حمل كل واحد منهما بطرف من المحمول * ولو انفرد به الكبير لاستقل بحمله فكذلك لو اراد العبد ان ينفرد بالفعل عن الله لم يقدر - ولو انفرد الرب سبحانه به وجد بقدرته - فاذا اعان العبد كان وجود المقدور بشيئين منهما - يسمي احدهما خلقا والاخر كسبا * واما حقيقة المجبر فهو الذي يفعل الشيء بغير اختيار عنه * قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه انفراد الله تعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعبد بل على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا - وخلق الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له - واما الحركة فخلق للرب و وصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه فكانت الحركة نسبة الى صفة اخرى تسمي قدرة فسمي باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل آخر الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد - وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى في الازل

كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهو عند الاختراع متعلق به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها - قال وفعل العبد وان كان كسبا فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدره وبارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضايه ولا معقب لحكمه [يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون] قال ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن - وقوله تعالى [ولوشاء الله لهدى الناس جميعا] وقوله تعالى [ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها] ثم استدل على ذلك ايضا من جهة العقل بما يطول ذكره وقال في آخر ذلك فان قيل كيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان على ذلك فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان متمهداً ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا هلاك نفسه وهو محال - انتهى مختصرا * وقال الامام فخر الدين مذهب المعتزلة - ان الارادة توافق الامر - فكل ما امر الله تعالى به فقد اراده - وكل ما نهى عنه فقد كرهه * ومذهبنا الارادة توافق العلم - فكل ما علم الله وقوعه فهو مراد الوقوع وكل ما علم عدمه فهو مراد العدم - دليلنا ان الله تعالى علم من ابي جهل انه لا يؤمن والعلم بعدم الايمان مضاد لوجود الايمان - وعند قيام احد الضدين يمتنع حصول الثاني فايمان ابي جهل ممتنع الحصول -

وايضا لو وجد ايمان من علم الله انه يموت كافرا - لانقلب علم الله جهلا . وهو محال - فلا يكون مرادا - وايضا فقد اقمنا البرهان على خلق الله تعالى لافعال العباد * وكل من خلق شيئا لا على سبيل الاكراه والالجاء فهو مريد لذلك الشيء - فوجب القطع بانه تعالى مريد لجميع افعال العباد * قلت والى مذهب اهل الحق المذكور في كون الارادة توافق العلم اشار الشيخ العارف بالله المحقق السيد الجليل بحر الحقائق ابو الشموس ابو الغيث بن جميل قدس الله روحه ونور ضريحه بقوله ان علم الله بكل شيء ه هادي ذلك الشيء قطعا - نحو ما يريده الله قديما - ويريده العبد حديثا * قلت والظاهر والله اعلم انه يعني ان علم الله تعالى لا يجوز ان يقع معلومه غير مطابق له فلابد ان ياتي كل شيء الى معلوم علم الله فيه وهو مراده القديم والى ارادة الاثبات المذكور حادثة من الاتي - فكان العلم السابق المتحتّم نفوذه هاد وقائد وجاذب لكل شيء الى ارادة اتيان ما يريده الله منه - فاستعار لما لابد من تحقيقه في شيء اسم الهادي الى ذلك الشيء مع ان من المعلوم ان التاثير للارادة القديمة دون العلم غير ان كل واحد منهم مطابق للاخر لا اختلاف بينهما بوجه من الوجوه اصلا بالبراهين القاطعة نقلا وعقلا * قلت ومما احتج به ائمتنا ايضا على بطلان مذهب المعتزلة في قولهم ان فعل العبد واقع بخلقه واختياره لا بخلق الله واختراعه وجوه مع ما تقدم من الادلة * الاول ان الشرك ان امتنع عليه حال الفعل كان مجبرا لا مختارا - وان لم يمتنع احتاج فعله الى مرجح موجب لا يكون من العبد دفعا للتسلسل ويلزم الجبر * الثاني انه لو وجد فعله باختياره كان عالما بتفاصيله فيحيط بالسكنات المتخللة للحركة البطية وتفرّق أحيازها * الثالث لو اختار العبد وناقض مراده مراد الله لزم جمعهما او رفعهما او الترجيح بلا مرجح فان قدرته وان كانت اعم لكنها بالنسبة الى هذا على سواء *

الرابع ان فعل العبد لو كان معلوم الوقوع وجب وقوعه وان كان معلوم عدم الوقوع امتنع والا نقلب العلم جهلا * الخامس ان السعادة والشقاوة سابقة بدلالة النصوص القاطعة والاعمال امارات عليهما ومعرفات بهما وترتب الثواب والعقاب عليها من حيث كسب العبد واختياره لها ومع هذا فالمالك تعالى عما يصفون [لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون *] قلت والامام فخر الدين ذكر هذه الحجج الخمس بعبارة مبسوطة في نحو ورقتين - ثم قال امام المعتزلة فكلامهم في هذا الباب في غاية الكثرة والبسط الا انه يرجع الكل الى حرف واحد - وهو انه لو لا استقلال العبد بالفعل لكان الامر والنهي والمدح والذم والثواب والعقاب باطلا * ثم قال والجواب ان هذا لازم عليكم ايضا من ستة اوجه - ثم ذكرها - ومنها ان الله تعالى كان عالما من الازل الى الابد بان ابا لهب لا يؤمن ثم انه كان يامره بالايمان فكان هذا امرا بالجمع بين النقيضين وهو محال فالقول بتكليف ما لا يطاق لازم عليكم في مسئلة العلم كما انه لازم علينا في مسئلة خلق الافعال - ولو ان جملة العقلاء اجتمعوا وارادوا ان يوردوا على هذا الكلام حرفا لما قدروا عليه الا ان يلتزموا مذهب هسام بن الحكم * وهو انه تعالى لا يعلم الاشياء قبل وقوعها لا بالوجود ولا بالعدم الا ان اكثر المعتزلة يكفرون من يقول بهذا القول * قلت يعني انهم موافقون لنا في التكفير بهذا الاعتقاد * ومنها انه تعالى قال [ان الذين كفروا سواء عليهم آ انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون] فلو آمن الذين اخبر الله تعالى انهم لا يؤمنون لانقلب ذلك الخبر كذبا والكذب محال على الله تعالى - والمفضي الى المحال محال فكان صدور الايمان عنهم محالا مع ان الله تعالى امرهم بالايمان * ومنها انه تعالى كلّف ابا لهب ان يؤمن ومن جملة الايمان تصديق الله تعالى بما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يؤمن فقد صار ابو لهب مكلفا ان يؤمن بانه لا يؤمن وهذا التكليف

بالجمع بين الضدين * ثم قال بعد ان ذكر الوجوه الستة - فثبت بهذا الوجوه ان تكليف ما لا يطاق لازم على الكل - فان قيل هب ان هذا الامكان لازم على الكل فما الحيلة في دفعه - قلنا الحيلة ترك الحيلة والاعتراف بانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وانه [لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون] * قلت قد قدمت الاشارة الى ان مذهبنا اهل السنة متوسط بين مذهب المعتزلة ومذهب الجبرية وان مذهب المعتزلة ان العبد موجد فعله باختياره وهو خالقه ولا قدرة لخالقه تعالى على ايجاده - ومذهب الجبرية ان العبد مجبور على الفعل ليس له فيه اختيار - ومذهبنا ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد والى ذلك اشرت بقولي في بعض قصائد العقائد *

واعمال الورى مقدور رب * اتوها باختيار واكتساب
تعالى الله عن جبر وعن ان * يجاد ما لم يرده باغتصاب
وعن ظلم سوى فضل وعدل * منيلا في ثواب او عقاب
مليك حاكم في ملكه ما * عليه حاكم او ذو احتساب

والى المنهج المقتصد بين المنهجين المائلين الى التفريط والافراط المذمومين اشار حيث قال الامام المحقق امام الحرمين ناصر الملة الاسلامية رضي الله عنه في العقيدة النظامية - لا يخفي عند كل عاقل - ان الرب تعالى مطالب عباده باعمالهم ومجازيهم عليها في مآلهم - وانه اقدرهم على الوفا بما طالبهم به * ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحباب على المكرمات والزواجر عن الفواحش والموبقات وما نيط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم يلفت الى الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء عن القيمة واحوالها وجزاء المحسنين والمسيئين واقامة الحجة عليهم بارسال الرسل والفسح في المهل حرم

ببطلان الجبر و علم ان فيه توصلا الى قطع ظنيات الشرائع وردا على ما جاء به المرسلون * قال والفرق هنا ثلثة - الجبرية ويلزمهم استحالة تكاليف الشرع * والمعتزلة الزاعمون بان العبد مستبد بخلق افعاله المخالفون لاجماع السلف لا خالق الا الله المقتحمون لورطات الضلال الرادون لما تمدح الرب تعالى به في اي من كتابه الكريم في انه خالق بكل شئ * واهل الحق القائلون بان قدرة العبد مخلوقة لله تعالى والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا ولكن مضاف الى الله تعالى تقديرا وخلقا - فانه واقع بالقدرة التي هي خلق الله - وقد ملك سبحانه العبد اختيارا يصرف به القدرة لكنه تعالى احدث القدرة فى العبد على اقدار احاط به ما علمه - وهي اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل - واراد من العبد ان يفعل - فاحدث فيها دواعي مستحثة وخيرة وارادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم - فوقعت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم واراد فالقدرة خلق الله تعالى ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشية وخلقا وعلما وفعلا من حيث انه سبحانه متفرد بخلقه وهي القدرة - ولو لم يرد وقوع مقدور لما اقدره ولما هيأ اسباب وقوعه - فالعبد فاعل مختار مامور منهي وفعله مقدور له مراد له خلق مقضي * قال اما الفرقة الضالة المعتقدون انفراد العبد بالخلق الصائرون الى انه اذا عصى قد انفرد بخلق ما الرب كاره له فذلك منهم خبط فى الاحكام الالهيّة ومزاحمة فى الربوبيّة ومراغمة في القدرة - ولو لم يرد الرب من الفجار ما علم منهم في ازله لما فطرهم مع علمه به كيف وقد اكمل قواهم - وامدهم بالعدد والعتاد - وسهل لهم طريق الحيد عن السداد * قال فاذا قد زاغت الفرقتان فاعترضت احداهما على القواعد الشرعية وزاحمت الاخرى الاحكام الربوبية * واقتصد الموفقون - وقالوا مراد الله من عباده ما علم انهم اليه يصيرون * ومن سبق

له منه سوء القضاء فهو صائر الى حكم الله الجزم وقضائه الفصل محجوج بحجة الله * ومن سبق له منه الحسنى فاولئك عنها مبعدون - انتهى * قلت لقد اجاد فيما جمع في هذا الكلام من حسن اللفظ المشتمل على المعنى الدقيق - والجمع بين الايضاح والتحقيق * فان قلت هل اخصر من هذا مع التحقيق - قلت نعم فاسمع وبالله التوفيق * قال ائمتنا رضي الله عنهم البرهان اوجب اسناد الفعل الى قدرة الله تعالى والبديهة تفرق بين فعلنا وفعل الجماد والمكره - فلزم الجمع بينهما * فقلنا الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد على معنى ان العبد اذا صمم العزم يخلق الله الفعل فيه * ومعنى قولهم البرهان اوجب اسناد الفعل الى قدرة الله معلوم مما تقدم من الحجج العقلية والنقلية ومما يأتي بعد ان شاء الله تعالى * قلت ومما يقوى ايماننا بذلك ان جميع الشيوخ العارفين من الاولياء المقربين - والابدال والصديقين - والاوتاد والاقطاب المصطفين المحبوبين كلهم مجمعون على ان افعال العباد وجميع الكائنات خلق الله وحده باختراع واستبداد صرحوا بذلك على مشاهدة وعيان - كما صرح به ائمة الاصول من علماء السنة عن دليل وبرهان - وائمة الحديث عن اسناد مثبت واتقان - موصول الى المصطفى من ولد عدنان - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وبارك وشرف وكرم * فقد اجتمعت لنا بحمد الله الثلث كلها - النقل بالاسناد والايقان - والعقل بالنظر الصحيح القاطع البرهان - والكشف بالمشاهدة والعيان * وثلث اخرى بحمد الله تعالى كمال الايمان بذلك والعرفان والاتقان * وثلث اخرى بحمد الله تعالى لا يوجد الا فينا المقامات والاحوال والكرامات * ولهذا انكروا كرامات الاولياء التي ملات الوجود - وابت شهرتها ان تقبل الجحود - لانهم لا يعرفونها لكونهم ليس فيهم من هو من اهلها * اللهم الا بعض عوامهم ممن خالطوا الصالحين

من اهل السنة وشاهدوا البركات منهم والكـرامات في بعض الجهات فانهم يعتقـدونهم ويقولون بكـراماتهم * قلت ومع التسع المذكورات عاشـر وهو التوحيـد * فانا نقول الكائنـات مريدها كلها واحد لا شريك له ولا وزير - ولا عون ولا ظهيـر - ولا ند ولا مشير - ولا نضيف الخلق وارادة الخيـر والشر الى اثنين كغيرنا * وقد ورد فى القدرية من الذم ما قد علم واشتهر * ولما لزم المعتزلة هذا اللقب قلبوه علينا وبه نبزونا بطريق البهت والتـواقح وزعموا انا نحن القدرية - والظاهر يكذبهم فان القدرية مشبهة فى الحديث بالمجوس والمجوس ينسبون الشر والخير الى اثنين - يزدان - واهرمن - فالاول عندهم خالق للخير - والثاني خالق للشـر - وقد علـم من منا - ومنهم قسم الخير والشر في حكم الارادة والاجسام والاعمال في حكم الخلق الى اثنين الرب تعالى والعبد *

بيان القدرية من هم وكيف عند اهل الحق حكمهم وذكر شيء من الاخبار والآثار التي فيهـا لعنهـم وذمهـم

قال بعض ائمتنا رضي الله عنهم ان المجـوس زعموا ان الرب تعالى يقدر على خلق بعض الاجناس ولا يقدر على بعضها * قال والمعتزلة وافقوهم في هذا حيث زعموا انه تعالى لا يقدر على مقدورات العباد - والمجوس ايضا زعموا ان الحشرات والسباع الضواري ليست من خلق الله - فلزمهم خروج جملة الاجسام من حيث تماثلت عن مقدورات الاله ويلـزم المعتزلة مثله حيث اخرجوا اكثر الحوادث من اعمـال العباد عن مقدورات الاله * وحقيقة الحـدوث لا يختلف وقد زادوا على المجـوس حيث زعمـوا

ان الله تعالى لم يخلـق من افعال العبـاد لا خيـرا ولا شرا * وقال الامـام ابو سليمان الخطابي انما جعلهم مجوسا لمضاهات مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعـل الظلمة فصاروا ثنوية * وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله تعالى خالق الخير والشر لا يكون شيء منهما الا بمشيئته وخلقه فهما مضافان اليه خلقا وايجادا والى عباده فعلا واكتسابا * وقال غيره ليس خلق الشر شرا في الحكمة بل فيه سر كما ان في الخير سرا * وقال امـام الحرمين اتفقوا اهل الملـل على ذم القدرية ولعنهم * قال - وقد قال صلى الله عليه وسلـم لعنت القدرية على لسان سبعين نبيـا * قال ولا ينكـر لعن القدرية منكر ولكنهم يحاولون درأ هذ النبز عن انفسهم بما لا يغنيهم - ويقولون انتـم القدرية اذا اعتقدتم اضافة القدر الى الله تعالى * قال وهـذا بهت وتواقح - وقد قال صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وشبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الارادة والمشية حسب تقسيم المجوس - وصرفهم الخيـر الى يزدان والشر الى اهرمن * قال وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قامت القيامة نادى مناد في اهل الجمـع اين خصماء الله - فيقـوم القدرية * قال ولا خفاء باختصاص ذلك بهم * فان اهـل الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ولا يعترضون بشيء من افعاله ثم من يضيف القدرة الى نفسه ويعتقده صفته بان يتصف بالقدري اولى ممن يضيفه الى ربه - انتهى كلامه * قلت وقال الشيخ الامام ابو اسحق الشيرازي رضي الله عنه في كتابه الموسوم بالاشـارة بعد ان ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة * فان قيـل انتم القدرية لانكم تقولون الرب سبحانه يقدر علينا خلق المعاصي يقال لهم هذا لا يصح لان من وصف غيره بالحياكة لا يصير حائكا بل الحائك من فعـل الحياكة - فيقـولون ان الله

يقدر لا يسمي قدرية - بل القدرية الذين يصفون انفسهم بالقدرة - ولانه صلى الله عليه وسلـــم شبههم بالمجوس لان المجوس يقولون بالٓهين النار والنور - والقدرية ايضا يقولون بخالقين لان العبد عندهم يخلق والرب تعالى يخلق * قال وقد حكي ان بعض اهل التوحيــد تناظر هو وقدري وكانا بقرب شجرة فاخذ القدري ورقة من الشجرة وقال انا فعلت هذا وخلقته فقال له الموحد ان كان الامر كما ذكـــرت فردها كما كانت فان من قدر على خلق شيء قدر على ضده او قال على اعادته بعد عدمه - فانقطع القدري * قال ولو لم يكن تعالى مريدا للمعصية مع وجودها من العاصي لكان عاجزا لان من يجري في ملكه ما لا يريد لا يكون الا عاجزا مغلوبا * قال ولهذا قال بعض اصحابنا المعتزلة ارادت ان تعدل الباري فعجزته - والمشبهة ارادت ان تثبت الباري فشبهته قال وهذا خلاف النص والاجماع * وذكر من ذلك ما يطول ذكره - ومنه قوله تعالى حكاية عن ابليس نعوذ بالله منه [قال رب بما اغويتني] ثم حكي عن بعض اصحابنا انه قال ان قوما ابليس افقه منهم - السكوت عنهم اولى من الكـلام معهم * وتكلم في اعتقادهم خلق افعــالهم * ثم قال وهذا القول من القدرية اعظم من قول اليهود عزير بن الله - وقول النصارى المسيح بن الله لان كلا منهما اثبت مع الله واحدا - والقدرية اثبتت مع الله عز وجــل خالقين لا يحصى عددهم * قلت وقد علــم ذلك ايضا من نصوص الكتاب والسنة تصريحا لا تلويحا كقوله تعالى [انا كل شيء خلقناه بقدر] فهذه الآية مصرحة بانه تعالى خالق كل شيء ومقدر كل شيء جامعة بين معتقدي اهل السنة كليهما لان تقديرها على مقتضى العربية انا خلقنا كل شيء خلقنــاه بقدر * وذلك معــروف اعني كون اللام من كل منصوبة معمولة للفعل المقدر قبلها - وهو خلقنا على وزان قولك زيدا ضربته اى ضربت زيدا ضربته المعبر عنه في العربية باشتغال الفعــل عن المفعــول

بضميره - وقد تقدم في الحديث الصحيح بيان سبب نزول هذه الآية وغير ذلك من الآيات وكذلك الاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وتؤمن بالقدر خيره وشره وتفسير الراوي وهو ابن عمر رضي الله عنهما ذلك وتبرءه منهم لما قيل له يزعمون ان لا قدر وان الامر آنف بل تفسيره صلى الله عليه وسلم لهم بقوله لكل أمة مجوس ومجوس هذه الامة القدرية الذين يقولون لا قدر في الحديث الذي رويناه في سنن ابي داؤد عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحاديث وفيما قدمته من الآيات الثلثين والاحاديث الثلثين وما سيأتي ما يعرفك اذا تأملته بالقدرية من هم نحن او هم * واما بيان من قطع بتكفيره منهم ومن اختلف فيه فقد قال ائمة اهل الحق رضي الله عنهم - اما القدرية الاول الذين ينفون القدر والعلم فهم كفار بلا خلاف - ولهذا تبرأ منهم ابن عمر لمخالفتهم نصوص الكتاب الصريحة التي يبعد فيها الحصر والسنن الصحيحة المتواترة معنى في كل من العلم والقدر * ولاجماع السلف الصالحين رضي الله عنهم اجمعين - قالوا وهم اخوان الفلاسفة الملحدين في الاعتقادات الذين ينكرون علم الله بالجزئيات وبناء مذهبهم على المنازعة في الآلهيات والمعاندة للرسل الكرام - عليهم افضل الصلواة والسلام * واما المعتزلة فان بعضهم يعترف بسبق العلم وبعضهم ينكره هكذا حكي عنهم بعض الائمة * وحكي بعضهم عنهم انكاره مطلقا * وقد احتج الامام مالك والامام ابو عبد الله البخاري وغيرهما من الائمة عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم الله اعلم بما كانوا عاملين * واما تقدير الله تعالى للافعال بالكتب لها فهم لا يعترفون به - ولا يؤمنون بشيء منه * وقد روى الامام الطبري ان شيخ الضلال والكفر عمرو بن عبيد احد شيوخهم قال ان كانت [تبت يدا ابي لهب] في اللوح المحفوظ

مما علي ابي لهب من لوم - وذكر الامام الطرطوشي المالكي في كتابه في الخلاف عنه انه لما ذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه المتفق على صحته الذي رواه البخاري ومسلم وابوداؤد والترمذي وابن حبان المشتمل على قوله صلى الله عليه وسلم - ويومر باربع كلمات يكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد * قال لو سمعته من الاعمش لكذبته - ولو سمعته من ابن مسعود لما صدقته - ولما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقلت ما بهذا بعثت الرسل ولو سمعته من الله لقلت ما على هذا اخذت مواثيقنا * قال ائمة اهل الحق وليس يزيد على كفره هذا كفر * قلت ومن هذه الزندقة ما بلغني عن بعض المبتدعين وسمعته ممن سمع منه او رواه عنه - انه قال لما ذكر له رؤية الله عز وجل في الآخرة هو بري من رب يرى او قال لا نفعه الله برب يرى - وسياتي الكلام في الرؤية وما يدل عليها من الادلة القاطعة الباهرة - بالآيات الصريحة الظاهرة - والاحاديث الصحيحة المتواترة * قال بعض ائمتنا وقد زاد بعض الرافضة على الكفر بعدم العلم بالاشياء حتى تكون * وقال لو كان عالما بتكذيب الامم الرسل لكان عابثا بارسال الرسل * قال وهذه مادة البراهمة المنكرين للنبوات * قلت وقد قدمت شيأ من الاحاديث واقوال العلماء في ذم القدرية وتكفيرهم وانهم مجوس هذه الامة * روى هذا ابوداؤد والبيهقي بسنديهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت تسميتهم بهذا الاسم برواية جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وحذيفة وغيرهم - ومن ذلك ايضا ما روى الحاكم ابو عبد الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون في امتي اقوام يكذبون بالقدر - اسناده صحيح * قال الحاكم على شرط مسلم وروى الحاكم ايضا عن عائشة رضي الله عنها - قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة لعنتهم لعنة الله

وكل نبي مجاب - او قال مجاب الدعوة - المكذب بقدر الله - والزائد في كتاب الله والمتسلـــط بالجبروت - يذل من اعز الله ويعـــز من اذل الله - والمستحل لحرام الله والمستحل من عترتي ما حرم الله - والتارك لسنتي وقال صحيح * وروى ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلـــم انه ذكر القدرية وقال اشـــرار هذه الامة وقال على شرط البخاري وروى البيهقي من طرق عن ابى الدرداء وابي أمامة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا يقبل منهم صرف ولا عدل - عاق ومنـــان ومكذب بالقدر * وروي ايضـــا بسنده الى ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة ليقم خصماء الله وهم القدرية * قال الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه انما جعلهم خصماء الله تعالى لانهم حكموا على ربهم احكاما - وجعلوا منها حلالا وحراما - وقسموها ايجابا واستحبابا ثم الزموا ربهم وما التزموا منه بل قالوا لا يلزمنا بامر الله شيء بل العقل يبين لوازم على الله ولوازم علينا وامر الله وتفاصيل الشرع غير مستقل بايجاب * ثم قسموا الحق واستاثروا باحسنه على زعمهم فهم المعنيـــون صدقا بقـــوله تعالى [ام جعلـــوا لله شركاء خلقوا كخلقه] الاية واهل الحق تبرؤا من حولهم وقولهم * وفوضوا امرهم اليه وتادبوا بآداب الله ولزموا العبودية - ولم يتشوقوا الى الربوبية - ولا تعرضوا تحقيقا ولا تعريضا ولا عارضوا الله تدبيرا وتقديرا فهم تحت قهره مذعنون - وبسلطانه مقرون معترفون - بانه [لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون] وقال الامـــام القاضي ابوبكر الباقلاني رضي الله عنه انما صاروا خصمآء الله لاعتـــراضهم ونسبتهم بعض ما يقـــع من افعـــاله الى الجور ومنعهم جواز الغفران واخراج مذنبي هذه الامة من النار - وانه لا يجوز ان يبتدئ بالثواب ولا ان يتفضـــل بابتدائهم بالجنة ولا يستحق ان يعبد ويشكـــر

ان لم يتب على طاعته وانه لا لطف عنده في خزائنه يستصلح به عبيده - الى غير ذلك من وجوه اعتراضاتهم وتعقبهم لاحكامه تعالى - وطعنهم في توحيده - ووصفه بغير صفاته * قال امـــام الحرمين رضي الله عنه لو انصفت المعتــزلة لارتدعوا عن فضائحهم بالماثور على لسان سلف الامة وخلفها من ذم القدرية * وقال بعض ائمتنا وقد تواقحوا وزعموا ان القدرية خصومهم لاثبــاتهم القدر راموا بذلك درأ هذا النبــذ عن انفسهــم بما لا يعفيهم - وراموا بذلك قذف البذر * او صاروا كالذي قال رمتني بدائها وانسلت * وقد قدمت نحوه عن امـــام الحرمين مع زيادة * وروى الطبري عن ابن عمر رضي الله عنهما تفسير القدرية من زعم ان مع الله تعالى قاضيا او قادرا او رازقا او مالكا لنفسه نفعا او ضرا او موتا او حيوة او نشورا * وبسنده الى ابي بكـــر الابهري انه قال القدرية عند مالك هم الذين يقــولون ان الله لا يقدر المعـــاصي وروى عبـد الرزاق عنه انهم الذين يقولون ان الله لا يعلـــم الشر قبل كونه وقال المزني قال الشافعي القدري الذي يقول ان الله تعالى لم يعلم الشر حتى عمل به * وقال احمد بن يحيى ثعلب القدري من زعم انه يقدر ونحن نقول لا نقدر الا بالله ومعونته وتوفيقه - وان لم يفعـــل ذلك بنا لم نقدر - فكيف يكون القدري من زعم انه لا يقدر * قلت والاخبار والآثار في ذم القدرية وتكفيرهم منتشرة مشتهرة * وعلى الجملة فالقدرية قسمان - احدهما من ينكر علم الله تعالى بالشيء حتى يكون ويلـــزم من ذلك انه لم يقدره * وهولاء كفار بلا خلاف كما تقدم * والثاني من يسلم العلـــم ولكنه يزعم ان الله تعالى لم يقدّر افعال العباد * فهذا مما اختلفت في تكفيره مذاهب ائمة اهل السنة واقوال علمائهم * فذهب بعضهم الى التكفير بذلك واختار بعضهم عدم التكفير - وتوقف بعضهم - وفصل بعضهم * فقال من زعم ان الله تعالى

لم يقدر افعال العباد ولا يقدر عليها فهو كافر - وان نفى التقدير فقط ففيه نظر * وقد روي باسانيد صحيحة حسنة تكفير القدرية مطلقا عن جماعة من الصحابة وجماعة من علماء التابعين وجماعة ممن بعضهم من ائمة اهل السنة وعلمائهم المشهورين * فمن الصحابة علي وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم * ومن التابعين ومن بعدهم من العلماء المشهورين عمر بن عبد العزيز - وسعيد بن جبير - والشعبي - ورجاء بن حيوة - ونافع مولى ابن عمر - وكذلك نافع بن مالك المدني عمّ الامام مالك - وابراهيم بن طهمان - ومالك - والاوزاعي - واحمد - وابو ثور - وعبد الله بن الحسن العنبري * وسياتى الكلام عن الامام الشافعي واصحابه * وقد روى التكفير المذكور عن هؤلاء الائمة المذكورين جماعة من الائمة باسانيدهم * منهم الامامان الحافظان الطبري والبيهقي وغيرهما * وقد قدمت ذكر شئ من ذلك * ومنه ايضا ما روى الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كلام القدرية كفر * وكلام الحرورية ضلال * وكلام الشيعة هلكة * قلت يعني بالحرورية (بالحاء المهملة والراء المكررة وياء النسبة) الخوارج الذين نزلوا في حروراء - وقاتلهم علي رضي الله عنه - وسياتي ذكرهم ان شاء الله في خاتمة الكتاب * وروى ايضا بسنده الصحيح الى طاوس ان ابن عباس رضي الله عنهما سمع رجلا يقول الشر ليس بقدر * فقال ابن عباس بيننا وبين اهل القدر - [سيقول الذين اشركوا] وتلى حتى بلغ [ولو شاء لهداكم اجمعين] وبسنده ايضا الى عطاء عنه في قوله تعالى [وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون] قال على ما خلقهم عليه من طاعتي ومعصيتي وشقوتي وسعادتي * وبسنده ايضا الى عكرمة عنه انه قال القدرية الذين يقولون ان الله لم يقدر المعاصي على خلقه اولئك مجوس هذه الامة ملعونون على لسان الانبياء اجمعين * ان المجوس

زعمت ان الله لم يخلق شيأ من الهوام ولا شيئًا يضر والشر كله خلق ابليس * وقالت القدرية ان الله تعالى لم يخلق الشر ولم يبتل به - وابليس راس الشركاء - وهم مقرّون ان الله خالقه * وقالوا انّ الله اراد من العباد امرا لم يكن - واخرجوه عن ملكه وقدرته * واراد ابليس من العباد امرا كان * فكان ابليس عندهم اقوى واعز - كذب اعداء الله * ان الله يبتلي ويعذب على ما يبتلي وهو غير ظالم * [لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون] وبسند البيهقي الى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر * ثم قال وهذا اسناد صحيح * وروى ابوداوُد بسند ابي حازم الى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القدرية مجوس هذه الامة * ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم * قال الامام الحافظ ابوعبد الله الحاكم على شرطهما ان صح لابي حازم سماع من ابن عمر * ورواه الامام البيهقي بسنده عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم * وفي رواية عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي وهو ممن احتج به البخاري - وزكريا - وقال الامام احمد وهو شيخ وضعفه غيرهم * قال الحاكم وشاهده ما رواه ابوداوُد عن الامام احمد بسنده الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال لا تجالسوا اهل القدر ولا تفاتحوهم - قال بعض العلماء النهي عن مجالستهم انما هو لمن كان قليل العلم يخاف عليه منهم * فاما قوي الايمان قوي العلم فلا ينهى عن مجالستهم لادحاض حجتهم * وروى البيهقي بسنده الى ابي قلابة - قال لا تجالسوا اهل الاهواء فاني اخاف عليكم ان يغمسوكم في ضلالتهم او تلبسوا عليكم بعض ما تعرفون * وروى الامام الحافظ ابن عساكر ان الشيخ الامام ابا الحسن الاشعري رضي الله عنه كان يقتصد المعتزلة بنفسه ويناظرهم - فقيل له كيف يقصد اهل البدع وقد امرت

بهجرهم * فذكر كلاما معناه اذا هم لم ياتوني ولم آتهم كيف يظهر الحق - ويعلمون ان لاهل السنة ناصرا بالحجة * وقال بعض العلماء معنى النهي عن مخالطتهم لمن لا نفع فيه وحينئذ يكون فتح باب شر لا يعقبه فائدة * وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يارب شرك او قال شر قبيح على اهل الضلالة التكذيب في القدر فلا تحاولوهم فيجري شركهم على ايديكم * قلت وقد قدمت عن علي رضي الله عنه قوله الذي يتكلم في المشية والله لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف - ثم تلا رضي الله عنه [وما تشاؤن الا ان يشاء الله] [هو اهل التقوى واهل المغفرة] وروى الطبري بسنده الى ابن عمر رضي الله عنهما قال لو برزت لي القدرية في صعيد ولم ترجعوا لضربت اعناقهم * وروى القعنبي في الموطاء فيما قرأ على الامام مالك رضي الله عنه عن عمه الى سهيل قال كنت امس مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فاستشارني في القدرية - فقلت اني ارى ان تستتيبهم فان تابوا والا عرضتهم على السيف فقال عمر ذلك رايي - قال مالك وذلك رايي * وكذلك رواه يحيى بن يحيى عن الامام مالك * وروى الطبري بسنده الى الامام احمد رضي الله عنه انه سئل عن القدري يستتاب وقيل له ان عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس يريان ان يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه - فقال ارى ان يستتاب اذا جحد العلم قيل وكيف يجحد العلم قال اذا قال لم يكن هذا في علم الله استتيب - فان تاب والا ضربت عنقه * قلت قول الامام احمد هذا هو الذي عليه الاتفاق - اعني القول بتكفير من نفي العلم * فانه يستلزم نفي التقدير ايضا كما تقدم بخلاف نفي التقدير السابق دون العلم فان فيه الخلاف المتقدم فقيد الامام احمد في جوابه ما اطلقه الامامان المذكوران في جوابيهما رضي

الله عن الجميع * وقد قدمت قصة غيلان مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وما عاهده عليه من ترك العود الي مقالته في القدر وعوده اليها وقتله مصلوبا في ولاية هشام بن عبد الملك * وروى البيهقي بسنده الى الامام مالك رضي الله عنه انه قال كان عدة من اهل الفضل والصلاح ضللهم غيلان وبسند الامامين البيهقي والطبري الى الامام ابراهيم بن طهمان قال الجهمية والقدرية كفار * وقال الامام ابو ثور القدرية من قال ان الله لم يخلق افاعيل العباد وان المعاصي لم يقدرها عليهم ولم يخلقها فهؤلاء قدرية - ولا يصلي خلفهم ولا يعاد مرضاهم ولا يشهد جنائزهم - ويستتابون من هذه المقالة - فان تابوا والا ضربت اعناقهم * وذلك ان الله تعالى خالق كل شيء وقال تعالى [انا كل شيء خلقناه بقدر] فمن زعم ان شيئا ليس بمخلوق من افاعيل العباد كان ضالا - وذلك انه يزعم انه يخلق فعله - والاشياء قسمان اما عرض او جسم فمن زعم انه خلق جسماً او عرضاً فقد كفر * قلت واما القسم الثالث الذي هو الجوهر الفرد ففي امكان وجوده اختلاف فلعله لم يذكره لاجل ذلك * وقال عبد الله بن سالم ادركت اهل حمص وقد اخرجوا ثور بن يزيد واحرقوا داره لكلامه في القدر* وذكر الشيخ ابو العباس بن مسروق ان الشيخ العارف بالله الامام ابا عبد الله المحاسبي رضي الله عنه مات وهو محتاج الى درهم وترك أبوه مالا واحوالا كثيرة نفيسة فلم يقبل منها شيئا من اجل ان اباه كان يقول بالقدر * وذكر عنه الاستاذ ابو القسم القشيري انه ورث من ابيه سبعين الف درهم - وروي عنه ايضا انه خلف ضياعا وعقارا فلم ياخذ منها شيئا ومات وهو محتاج الى درهم * و روى الطبري بسنده الى الامام احمد رضي الله عنه انه قال لايصلي خلف القدرية * وبسنده الى القاضي ابي يوسف صاحب الامام ابي حنيفة رضي الله عنهما انه قال لا يصلي

خلف جهمي ولا قدري ولا رافضي * وعنه انه سئل عن الحكـــم في القدرية - فقال الحكم ان من تعدى الحكم استتبته * فان تاب والا قتلته * وقال شعيب بن حرب قلت لسفيـان يعني الامام سفيـان الثوري رضي الله عنــه ينسب لي قدري ازوجه قال لا - ولا كرامة * قلت فهذا ما اقتصرت عليه من ذكر الاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم واقوال علماء اهل الحق والسنة والجماعة من السلف والخلف رضي الله عنهم في وصف القدرية - وذمهم وتكفيرهم * وقد روى عن الامام الشافعي رضي الله عنه تكفير من يقول بخلق القرآن ونافي القدر والرؤية - ولكن الصحيح المختار عند المحققين من اصحابه من الفقهاء والاصوليين بل عند الجمهور من الشافعيين تاويل ما روى عنه من ذلك كما سياتي ذكره انشاء الله تعالى في آخر هذا المعتقد عند شرح قولي وقبلتنا من امهـــا لايكفــــر سوى فرق ياتي ذكرها فانه ظاهر كفرها * وهذا المذهب ينبغي ان يعتمد فهو الاحوط الاوسط من مذاهب اهل السنة التي هي اوسط مذاهب الامة * وساذكر ادلتنا على ما ذكرت من عدم التكفيــــر عندنا واذكر نصوص اصحابنـــا في ذلك والفرق بين مذهب الاعتقـاد ومذهب العناد - وليس هناك دليل قاطع على تكفيـــر احد من اهل القبلة والاخراج من الملة بالكلية * ولهذا قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه لترك قتل الف نفس استحقوا القتل اهون او قال اسلم من سفك محجمة دم مسلم لغير حق * قلت نعم هناك بعض فرق كل منهم عن دين الاسلام مرق * وسأذكرهم انشاء الله تعالى فانهم خرجوا من بين الانام بواضح الكفر عن ملة الاسـلام كالباطنية واهل الاباحة والقائلين بسقوط التـكاليف عنهم - والقائلين بالحلــول والاتحاد والمنجمين المعتقدين ان النجوم مدبرة او مؤثرة بذاتها والفلاسفة المعتقدين ان الطبائع

متاثرة بذاتها وسائر القائلين منهم ومن غيرهم بقدم العالم او حدوث الصانع سبحانه او انه غير مختار او غير قادر او غير عالم او عالم بالكليات - دون الجزويات - او عالم بالموجودات - دون المعدومات لايعلمها حتى يوجد ومن قال ان عليا رضي الله عنه هو النبي ولكن اخطا جبريل عليه السلام بعدوله بالوحي الى محمد صلى الله عليه وسلم - وكذلك صرح جماعة من الائمة من اصحابنا الشافعية وغيرهم ان من قذف عائشة رضي الله عنهما فهو كافر لتكذيبه بكلام الله عز وجل في برأتها * قلت واختلف العلماء في من جهل صفة من صفات الله تعالى هل يكفر قال بعضهم يكفر وقال بعضهم لا يكفر بجهل الصفة بخلاف جحدها * وممن قال بالتكفير الامام الكبير محمد بن جرير الطبري - وشيخ السنة الامام ابو الحسن الاشعري اولا وقال آخرا لا يكفر راجعا عن قوله الاول وعلى ذلك استقر مذهبه قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا * وانما يكفر من اعتقد ان مقالته حق و وافقه على هذا آخرون * وقالوا لو سئل الناس عن الصفات لوجد العالم بها قليلا * قلت وهذه المسئلة نقلها الامام محيي الدين عن الامام ابى الفضل عياض مع اقوال كثيرة في اختلاف الشراح في تاويل قول الرجل الذي قال لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابا ما عذبه احدا الحديث الصحيح - فقالت طائفة لايجوز حمله على نفي القدرة فالشاك في قدرة الله كافر والرجل القائل هذا ليس بكافر ولكن لقوله معنيان احدهما معناه لئن قدر علي العذاب اى قضاه يقال منه قدر بالتخفيف وقدر بالتشديد بمعني واحد * والثاني ان قدر هنا بمعنى ضيق علي كقوله تعالى [فقدر عليه رزقه] * وقالت طائفة قاله غير ضابط لكلامه في حال غلبة وعدم تيقظ و وصف لا يواخذ به * وقالت طائفة هذا من مجاز كلام العرب وبديع خطابها يسمونه مزج اليقين بالشك كقوله تعالى

[وانا او اياكم لعلي هدى] صورته صورة الشك والمراد به اليقين * وقالت طائفة جهل صفة من صفات الله ثم اختلفــوا في ذلک على ما تقدم انتهى مختصرا * رجعنا الى ذكر القدر وقد تقدم قول الامام ابو المظفر السمعاني رضي الله عنه ان القدر سر من اسرار الله ضربت دونه الاستار واختص الله تعالى به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة وطوى علمه عن العالم فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقــرب الى آخر كلامه * وقال بعض العارفين الآيات والاحاديث التي فيهــا جزاء الاعمال ابدت حكمة التكليف والآيات والاحاديث التي فيهــا اثبات القدر ابدت مقتضى الالٓهية والتوحيــد * قلت وهذا كلام حسن فان الارادة الالٓهيــة قد سبقت بتخصيص اهل السعادة بالجنة واهل الشقاوة بالنار قبل الاعمال بمقتضى الحكمة الالهية في ازل الازال * وقد تاملت احكام الشرع فرايتها متعلقة بالظاهر الا الايمان بالقدر فان الحكم فيه متعلق بالباطن مع كون ما يتعلــق به من الاعمال وما يترتب عليه من الثواب والعقــاب منوطا بالظاهر * وبيــان ذلک ان في الظــاهر ان من تاب تاب الله عليه وفي الباطن من تاب الله عليه تاب * وفي الظاهر ان من عمــل صالحا دخــل الجنة وفي الباطن من سبقت له بالجنة السعادة بمقتضي الارادة عمل صالحا وكلفنا بالامرين معا اعني بالتوبة من الذنوب وبالايمان باننا لانقدر على التوبة حتى يهدينا الله وعلينا ان نتوب وباقامة الحدود على مرتكب موجبها وبالايمان بان الله قدرها عليه وبالسخــط على النفس اذا عصت واللوم لها والمعاقبة وبالرضا بالقضاء في ذلک والايمان بكونه كان في السابقة التي يتبعها العافية * و من الآيات الناطقة ان اللاحقة راجعة الى السابقة قول من لايدرك وصفه الواصفون [ان الذين سبقت لهــم منا الحسنى اولئک عنها مبعدون] ومن الاحاديث في ذلك ايضا قول سيد الانام -

عليه افضل الصلوة والسلام - الذي رواه الائمة الاعلام - حاملوا رايات السنة - ما منكم من احد الا وكتب مقعده من النار او من الجنة الحديث الصحيح المتقدم الذي رواه امام المحدثين البخاري ومسلم ورواه ايضا الامامان ابوداؤد والترمذي كلهم اخرجوه رضي الله عنهم من رواية الامام امير المومنين على رضوان الله عليه بسندهم الصحيح اليه - قال الامام ابو سليمن الخطابي رضي الله عنه هذا الحديث اذا تاملته اصبت منه الشفاء فيما يتخالجك من امر القدر وذلك ان السائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقائل له افلا نتكل على كتابنا وندع العمل لم يترك شيئا مما في ابواب المطالبات والاسولة الواقعة في باب التجويز والتعديل الا وقد طالب به - وسال عنه فاعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ان القياس في هذا الباب متروك والمطالبة عليه ساقطة وانه لا يشبه الامور المعلولة التي عقلت معانيها وجرت معاملات البشر فيما بينهم عليها واخبر انه انما امرهم بالعمل ليكون امارة فى الحال العاجلة لما يصيرون اليه فى الحال الاجلة فمن يسر له العمل الصالح كان مامولا له الفوز ومن يسر له العمل الخبيث كان مخوفا عليه الهلاك وهذه الامارات من جهة العلم الظاهر وليست بموجبات فان الله تعالى طوى علم الغيب عن خلقه وحجبهم عن دركه كما اخفي امر الساعة قال ويشبه ان يكونوا والله اعلم انما عوملوا بهذه المعاملة وتعبدوا بهذا النوع من التعبد ليتعلق خوفهم بالباطن المغيب عنهم ورجاءهم بالظاهر البادى لهم - والخوف والرجاء مدرجتا العبودية فيستكملوا بذلك صفة الايمان وبين لهم ان كلا ميسر لما خلق له وان عمله فى العاجل دليل مصيره فى الاجل ولذلك تمثل بقوله تعالى [فاما من اعطى واتقى] الآية وهذه الامور انما هي في حكم الظاهر من احوال العباد ومن وراء ذلك علم الله عزوجل فيهم وهو الحكيم الخبير [لا يسئل عما يفعل

وهم يسئلـون] قال وافا طلبت لهذا الشان نظيـرا من العلـم يجمع لك هذين المعنيين فاطلبه في باب امر الرزق المقسـوم مع الامـر بالكسب * وامر الاجل المضروب في العمر مع التعالج بالطبّ * فانك تجد المغيب منهما علي موجبه - والظاهر البادي سببا مخيلا * وقد اصطلح الناس عوامهم وخواصهم علي ان الظـاهر منهما لا يترك * وقال ايضـا اعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم ان العلم السابق في امرهم واقع علي معنى الربوبية وذلك لا يبطل تكليفهم العمـل بحق العبودية الا انه اخبر ان كلا من الخلق ميسر لما خلـق له في الغيب فيسوقه الى العمـل التي ما كتب من سعادة او شقاوة فيثاب ويعاقب علي سبيل المجازاة * فمعنى العمل التعريض - او قال التعرض للثواب او العقاب وبه وقعت الحجة وعليه دارت المعاملة * فلهذا قال عمر رضي الله عنه فنعمل اذن ولم نراجع وهذا من لطيف العلم الذي لا يدركـه الا من لطف فهمه ودقت نطفنتـه وحضـره من التوفيق - ما حضـر لعمر وابصـر وجه الحكمة فيه واقصر عن التمـادي في البحث والمسائلة عنه انتهي كلامـه * قلت وقد جمـع فيه من الحسن والتحقيق - ما يشهد له بالفضل والتوفيق * وقال الامام ابو الفضل القاضي العياض رضي الله عنه لا يبعد في العقل ان يجعـل الله هذه الاعمـال امارة علي دخول الجنة والنـار ويشهـد لكل عبد ما قضي له وعليه في ذلك * ولم يقصـد السائل بهذا السوال الاعتراض علي قول النبي صلى الله عليه وسلم بالرد والتشكيك كما يقصد المعتزلة باعتراضها القدح في الحق من غير مبالات وترد الاحاديث وما يشبهها وتعتـرض عليهـا بانه تعالي اذا خلـق معصية العـاصي فلم يعذبه علي ما خلق فيه وما سمعـوا قوله تعـالي [لا يسئـل عما يفعـل] وقال الامـام ابوبكر الباقلاني رضي الله عنه اعلم ان كل الحاد وبرهمة وثنية وقول بالتنـاسخ وانكار ايلام البهايم والاطفـال وكلما بنت عليه

المعتزلة كلامهم ووافقت به اهل الكفر والالحاد انما الجأهم اليه القول بالتعديل والتجويز وقياس افعال الله تعالى على افعالنا واخذ عدله وصفاته من صفاتنا وحكمتنا وافعالنا * قلت وقد تقدم الكلام معهم والرد عليهم فيما بنوا عليه مذهبهم من التحسين والتقبيح العقليين والاحتجاج على بطلان ذلك ومما يحتج به عليهم ايضا وجوه * الاول قوله عز وجل [وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله] ونحو ذلك من الآيات المصرحة بامر الله واعلامه برد الحكم اليه دون غيره * الثاني الآثار المصرحة باعلام الانبياء عليهم السلام الخلق بكون الحكم لله تعالى واقوالهم الدالة على ذلك كقول يوسف وابنه عليهما السلام [ان الحكم الا لله] ونحو ذلك من اقوالهم * الثالث قوله تعالى [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما] والقائلون بتحسين العقل وتقبيحه حكموه ولم يحكموا كتاب الله ولا سنة رسوله بل خالفوهما وردوهما ولم يقبلوهما فيما يطول ذكره من الامور الاخروية وغيرهما مما دلت عليه قواطع السمع ولا يتطرق العقل اليه بمنع * الرابع ما قاله الامام المحقق ابن الحاجب المالكي رضي الله عنه لو حسن العقل او قبح لذاته او لصفته لم يكن الباري تعالى مختارا في الحكم لان الحكم بالمرجوح على خلاف المعقول فيلزم الاخر فلا اختيار * قلت وتمام الاستدلال لكن الاختيار ثابت لقوله عز وجل [وربك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون] فلا يكون العقل محسنا ومقبحا * الخامس قوله سبحانه [ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ] قلت ووجه الاستدلال ان بيان حكم شئ مودع في الكتاب لتتلقى الاحكام منه للاية المذكورة فان لم يفهم منه رجع فيها الى السنة لقوله تعالى [لتبين للناس ما نزل اليهم] فالحكم كما ذكرنا منوط بالشرع المعبر عنه بالسمع *

فان قيل القياس احد الادلة وهو عقلي فامت ليس هو بعقلي راجع الى التحسين والتقبيح الذى القول به غير صحيح بل هو راجع الى السمع ويوجب العمل به الشرع على المذهب الصحيح الجدير بالقطع لانه حمل مجهول الحكم من الفرع على اصل معلومله بعلة الجمع وكذلك الاجماع لا يكون الا عن دليل سمعي قد شاع * السادس انه تعالى خلق ابليس وعلم منه انه لا يفعل الا الشر من الاغواء والاضلال [وانظره الى يوم يبعثون] وكذلك خلق الدجال وسلطهما بما جعل فيهما من القوة على الاضلال والفتنة فهل كان ذلك منه الا عدلا وحكمة وهل كان ذلك جاريا على حكم تحسين العقل وتقبيحه كما زعموا فلا فرق بين خلق الشر وبين التقوية عليه والتمكين منه فاين حكم العقل الذي حكموا وهل كان اصلح الذي زعموا انه واجب على الملك الديان خلق الشيطان وكل فتان للمفتونين ام لو ان ذلك ما كان وهل اراد بخلق ذلك ان لايعصي ام يعصي ويحكم ما يشاء ويضل ويهدي ويسعد ويشقى وهل كان للشيطان الذي اضل جبلا كثيرا من البشر بشيطان آخر اضله ام سابق القدر * و ما معني قوله تعالى [وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا] فسواء كان معناه عظمنا او كبرنا او راسنا او سلطنا فليس للعقل الذي زعموا من التحسين الي موافقة ذلك سبيل * السابع لو كان العقل قاضيا حاكما لما حسن تخلية العبيد يفجرون بالاماء - فانه مستقبح عند العقلاء فما جوابك ايها المعتزلي عن ذلك اتقول انه جاهل بذلك ام على المنع منه غير قادر * فكلو احد منهما قائله كافر * فبالله ايما اهون عليك سلك منهج يودي الى الكفر الصريح ام ترك القول بالتحسين والتقبيح * الثامن ما قدمت من الاستدلال بقوله تعالى [وما كنا

معذبين حتى نبعث رسولا اذ في ذلك نفي لزوم حكم قبل الشرع لنفي لازمه الذي هو العذاب كما صرح به الكتاب * التاسع ما تقدم ايضا من ان شكر المنعم لو وجب عقلا لم يخل اما ان يكون لغير فائدة و هو عبث او لفائدة للمشكور وهو مقدس عن ذلك او للشاكر في الدنيا وهو مشقة بلا حظ او في الآخرة ولا اهتداء للعقل اليها ولانه تصرف بغير اذن المالك وتنويه بذكر نذر حقير بالنسبة الى كبريائه وعظم جلاله ويصير كمن يمدح ملكا في جميع الاقطار - ويثني عليه بالليل والنهار - ويقول انعم علي برغيف او درهم او دينار - فان جميع ما اعطاه من النعم بالنسبة الى عظمته وما اتصف به من الكرم اقل واحقر من الدينار والرغيف والدرهم بالنسبة الى ملك اكبر ملك واعظم فيصير بجميع ذلك متعرضا للعقوبة والمهالك واذا كان الامر كذلك فالعقل يقول له مالك ولذلك يصير ذاهبا له فضلا ان يكون له امرا كمازعموا انه يجب عليه ان يكون شاكرا * العاشر ما قاله الامام المشهور بافحام الخصوم وايضاح المعاني - القاضي الاجل ابوبكر الباقلاني رضي الله عنه مخاطبا لهم طريق ما ذكرتم لوكان العقل لم يخل اما ان يكون معلوما بضرورته او بدليله والاول محال لان ما علم بضرورة العقل العقلاء فيه مشتركون ولا يجوز اختلافهم في امر ضروري * و اكثر العقلاء بل كلهم الذين يقوم بهم الحجة - وينقطع بهم العذر - ويقطع بصدقهم ضرورة فيما يخبرون يجحدون ما ادعيتم * وعندهم ما علم ذلك الا بالسمع * والثاني قد وافقتمونا على بطلانه اذ لو كان بالنظر لصح ان يجهله بعض النظار * الحادي عشر ما قاله الفحل المناظر - والبحر الزاخر - المقدم في الفقه والاصلين - النجيب بن النجيب امام الحرمين - رضي الله عنه لسنا ننكر ان العقول تقتضي من اهلها اجتناب المهالك وابتدار المنافع الممكنة - ولكن هذا في حق الادميين * وكلامنا فيما يحسن ويقبح

في حكم الله تعالى الذي لاينالہ نفع ولا ضر بفعلنا ولا بتركه * وانما الحظ لنا فيه بالثواب والعقاب * والعقـــول لا تصرف لها في ذلك فانه غيب والرب تعالى يفعل ما يشاء * الثاني عشر ما قاله الامام المشهور في الآفاق - الشيخ الجليل ابو اسحق - اعني الشيـ-رازي المعروف بالفيروز آبادي * ولو وجب بشيء من جهة العقل قبل مجي الرسل فكان العقل حجـة مجردة في ذلك لما قال الله تعالى [لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل] بل كان يقول لئلا يكون للناس على الله حجة بعد العقل * الثالث عشر لو كان الى تحسين العقل وتقبيحه مرجع الاحكام لما احلت لنا بهيمة الانعام وتعذيبها بالذبح وغيره من الآلام من غيـر اقتـراف معاص منها واجترام كما سياتي ان شاء الله تقرير ذلك واضحا للافهام . فاضحا لمن قال لايكون من الله بغير ذنب ايلام * الرابع عشر اقول ايها المعتزلي الدافع بالنكاح بنته واخته لرجل اجنبي ينكشف عورتها وينظـر الى ما يجب ستره - حتى عن ابيها وامها * ويلعب ذلك كيف ماشاء بها * هل يحسن العقـل ذلك من الاجنبي ويقبحه من اقرب الناس اليها اللازم له صونها واللاحق له عارها والغيرة عليها كيف و في الغيرة من الرؤية وحدها او الذكر بالفم قد طال ما انشد الشعر فيما تقدم * ومن الشواهد على ذلك والدلائل قول القائل * * شعر *

اغار عليها ان ترى الشمس وجهها   بغيـر خمـار والمحـب غيـور

وقول الاخر * * شعر *

ولا نذكر الى العامرية انني   اغار عليهـــا من فم المتكلـم

قلت وقد اقتصرت على هذه الادلة المذكورة على بطلان القول بالتحسين والتقبيح العقلي وقد فرعوا على هذا الاصل الفاسد فروعا كثيرة باطلة وكل دليل افمناه على بطلان اصلهم فانه يهدم جميع ما بنوا عليه من الفروع من

حيث الجملة * اذ من المستحيل في العقل بقاء الفرع مع انهدام الاصل مع انه لابد ان يستدل على بطلان كل فرع في موضعه ان شاء الله تعالى بدليل مختص به فيما بنوا من تفريع العقائد على الاصل الفاسد ان الله تعالى ما خلق شيئا من اعمال العباد ولا اضل احدا ولا اراد اضلاله بل اراد اصلاحهم وهدايتهم - فلم يقع في ملكه ما اراد بل وقع مراد خلقه دون مراده فكان ما لم يشا وما شاءه لم يكن والخلق ما شاؤه كان وما لم يشاؤه لم يكن فجعلوا مراد العبد نافذا في كل مقصود - وحكموا برد مراد الآله القادر المعبود - وقالوا ما نفذت ارادته في خلقه ولا مشيئته في ملكه وصمموا في الاعتقاد على انه تعالى لا يقدر على افعال العباد * وزعموا بناء على قاعدتهم ان صفة القبيح في كل قبيح غير مختلفة ولا متزايدة بل كلها على وتيرة واحدة * قال الامام القاضي ابو بكر الباقلاني رضى الله عنه اتفقوا على هذا فحينئذ الكفر بالله تعالى وجحد رسله وقتلهم كغيره من صغائر المعاصي * وذلك منهم مخالف لما علم بالضرورة من الشرائع ومن الكتاب والسنة - ومن مقتضي العقول - ولما اجمع عليه المسلمون ولمذهبهم في الفرق بين الكبائر والصغائر * ومنها انكارهم كرامات الاولياء ، لما لم تتسع عقولهم للفرق بينها وبين المعجزات فكانهم ما سمعوا قط قوله تعالى في مريم [كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا] ولا سمعوا شيئا من سير الصحابة والتابعين - وسائر السلف الصالحين ، ومنها انكارهم الدجال واحواله كذلك فردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تواتر عنه من الاخبار عنه والاستعاذة منه * وان عيسى عليه السلام ينزل فيقتله * فكل ذلك من السمعيات القطعية * بل ردوا على جميع الرسل لانهم انذروا قومهم ولم يبالوا بشيء من ذلك * ومنها انكار ابي الحسين منهم بعث الاجساد فشارك الفلاسفة والباطنية وسائر الكفار المنكرين

ذلك * ومنها انكار بعضهم بقاء نعيم الجنة و عذاب النار ابداً بل ينقضي ذلك كانهم ماتلوا ولا سمعوا قوله تعالى [ان هذا لرزقنا ما له من نفاد عطاء غير مجذوذ اكلها دائم وظلها وماهم منها بمخرجين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها] * ومنها نفيهم لصفات الله تعالى كما سياتي ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى * ومنها قولهم بوجوب شكر المنعم عقلا * ومنها انه يجب على الله تعالى اللطف وهو عبارة عما يقرب العبد من الطاعة ويبعد من المعصية * وقد اكذبهم القرآن في غير ما اية كقوله تعالى [سنستدرجهم من حيث لايعلمون - واملي لهم ليزدادوا اثما ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين] * ومنها قولهم انه يجب عليه تعالى تمكين العبد من الطاعات وقد اكذبهم القرآن في ذلك قال الله تعالى [ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية] وغير ذلك من الآيات * ومنها قولهم انه يجب عليه تعالى رعاية مصالح عباده بل رعاية الاصلح وزاد البغداديون منهم فقالوا لاشئ اصلح مما فعل بكل مكلف ولا يقدر على غيره * قال اصحابنا وهذا كفر شنيع - وتعجيز لله تعالى قبيح * واستدلوا عليه بما هو اشنع بانه لو كان يقدر - ومنع كان بخيلا ظالما وتعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قالوا ولو كان عنده ما يؤمن به الكافر ومنعه اياه لكان ظالما [كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا] نطقوا بما يوجب تناهي مقدوراته وتعجيزه وحدوثه * اذ التناهي في القدرة صفة المخلوق ويلزمهم جميعا ان لا يجوز ان يبتلي سبحانه احدا ابتلاء - ولا يكلفه شيئا من التكاليف الشاقة بل يدخل الخلق الجنة بلا نصب بل يخلقهم فيها ابتداء اذ ذلك هو الاصلح لهم والقرآن يكذبهم وكذا تسليط الظلمة على الانبياء والاولياء وغير ذلك من انواع البلاء - وقد قال الله تعالى [ولوشاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولكن يضل من يشاء - ولو شاء الله لجمعهم على

الهدى - ولوشاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا] الى غير ذلك مما تقدم وغيره ولا حاجة الى التطويل - بل نذكره وقد اخبر الله عن اعتراف الكفار عند دخول النار بما يكذب المعتزلة - ومن تبعهم فى الانكار المخالف لنص الكتاب فى الحكاية عمن حقت عليه كلمة العذاب - وفيما ادعوه من رعاية الاصلح من الايجاب - واى مصلحة فى الكفر للكفار وفى العذاب بالنار - نسأل الله الكريم العافية من جميع ذلك ومن اعتقاد اولئك * وقصة مناظرة شيخ السنة وماضي الاسنة ناصر الحق بالبراهين القاطعة ومفحم الفرق الزائغة المبدعة الجامع بين الدليلين السمعي والنظرى الشيخ الامام ابى الحسن الاشعري رضي الله عنه مع الجبائي - احد رؤس المعتزلة وائمتهم الضالة المضلة - مشهورة شائعة ولرايه عليا اماما رائعة * ومختصرها انه سأل الجبائي عن ثلثة اخوة احدهم تقي - والثاني كافر والثالث صغير ماتوا كذلك كيف حالهم فى الاخرى - فقال الجبائي التقى فى الدرجات العلا والكافر فى الدركات والصغير من اهل السلامة - فقال ابوالحسن ان اراد الصغير ان يذهب الى درجات التقى هل يوذن له فقال الجبائي لا - لانه يقال له ان اخاك انما وصل الى تلك الدرجات بطاعته * وليس لك مثلها * فقال ابوالحسن فان قال التقصير ليس مني لانك ما ابقيتني وما اقدرتني على الطاعة فقال الجبائي يقول الله علمت انك لو بقيت لشقيت وصرت مستحقا للعقاب * فقال ابوالحسن فان قال الكافر يا اله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي فلم راعيت مصلحته دون مصلحتي فانقطع الجبائي * قلت وفى الاشارة الى عدم ظلمه سبحانه في كل ما يعباده فعل - والى عدم وجوب الاصلح لهم عليه عز وجل والرجوع فى التحسين والتقبيح الى الشرع وحكمه المقبول الممتثل وحسن جميع الوجود في عين القلب دون عين الوجه جامعا

للجمال المكمل اشرت فيما يطول ذكره من القصيدات - ومختصر في هذه الابيات * الابيات *

ارى الكون في عين الفواد جميعه
مليح المعاني ما به ما يقبح
واما بعين الوجه يحكم ناظر
بقبح وحكم القلب اوفى وارجح
واحكامه حسنا وقبحا مردها
الى الشرع ما عقل لذلك يصلح
و اصلح للمخلوق ليس بواجب
والا عذاب النار للعبد اصلح
ولا ظلم في ايلامه لعباده
والا فما بال البهائم تذبح
فخير من الكفار كل بهيمة
ومن رد حكم الشرع ما قط يفلح
الهي امتنا تابعين لسنة
بها تابع للفوز بالسعد يربح
وصل على من جاءنا - شارعا لها
حريصا على الارشاد يهدي وينصح

وذكر الامام الحافظ ابو القاسم بن عساكر رضي الله عنه في كتابه المسمى بتبيين كذب المفتري فيما نسبه الى الاشعري * وهو كتاب جليل حصل في مناقب الشيخ ابى الحسن واصحابه * ان الشيخ ابا الحسن المذكور الّف في القرآن كتابه الملقب بالمختزن - وكان قد بلغ فيه سورة الكهف قد انتهى مائة كتاب * ولم يترك آية تعلق بها بدعي الا ابطل تعلقه بها

وجعلها حجة لاهل الحق * وذكر الفقيه الامام ابن العربي المالكي رضي الله عنه في كتابه العواصم ان كتاب ابى الحسن المذكور كان في خزانة دار الخلافة * وان الصاحب ابن عباد بذل لخازنها عشرة آلاف دينار ليحرقها حتى تحترق فنعل * وقال بعض ائمتنا المتاخرين - وقد وقف على جزء من تفسير الشيخ ابى الحسن * سماه بالرد على من خالف البيان من اهل الافك والبهتان - ينقص فيه ما حرفه الجبائي والبلخي في تاليفهما * قال في خطبته * اما بعد فان اهل الزيغ والتضليل تاولوا القرآن على آرايهم- وفسروه على اهوائهم- تفسيرا لم ينزل الله به سلطانا - ولا اوضح به برهانا - ولا رووه عن رسول رب العالمين- ولا عن اهل بيته الطيبين - ولا عن الصحابة والتابعين - ولا عن السلف المتقدمين - او قال الصالحين افتراء منهم على الله قد ضلوا - وما كانوا مهتدين ثم قال رايت الجبائي الّف في تفسير القرآن كتابا اوّله على خلاف ما انزل الله عز وجل وعلى لغة اهل قريته المعروفة بجبا - وليس هو من اهل اللسان الذي نزل به القرآن - وما روى في كتابه حرفا واحدا عن المفسرين * وانما اعتمد على ما وسوس به شيطانه - وقد اخطاء في مواضع كثيرة - واشار الى خطائه في كثير منها * ثم قال والّف البلخي كتابا ما اضرب فيه عن تحقيق التفسير * وسأذكر خطائه وفساده - وغرضي في هذا التفسير الرد على من طعن فى القرآن من الملحدين - وعلى من حرف التاويل من المنتحلين - لدين المسلمين - والى الله ارغب في سلامة الدين * ثم ذكر ديباجة نقتضي ان الكتاب المذكور ان نسج على منوالها لم يصنّف فى الاسلام مثله انتهى * قلت وسأذكر بعد ان شاء الله رؤيا الشيخ ابى الحسن للنبي صلى الله عليه وسلم فى المنام وامره له بتامل الادلة على جواز رؤية الله عز وجل من المعقول - مع الادلة الدالة على وقوعها فى الآخرة من المنقول *

وقوله صلى الله عليه وسلم يا ابا الحسن اما كتبت يعني في الحديث ان الله تعالى يرى في الآخرة - وانه راه ليلة اخرى - فامره صلى الله عليه وسلم بتامل جميع المسائل ففعل * وان ذلك كان سبب رجوعه الى مذهب اهل السنة على ما رواه عنه الامام بن عساكر المذكور اولا * رجعنا الى ما كنا بصدده مما اوجبوا على الله جل وعلا * ومنها قولهم الثواب على الطاعات واجب عليه تعالى بمقتضى العقل لانه يقبح تكليف المشاق بلا اجر فكانهم ما رضوا ان يكونوا لله عبيدا يكلفهم ما يريد كما يتصرفون هم ويكلفون من لهم من العبيد هذا * وعندهم شكر المنعم واجب عقلا فكانهم قد قاموا بشكر نعم لا تحصى - وزادوا عليها اعمالا يستحقون عليها الجزاء فقبح الله عبيدا اوجبوا عليه اشياء - وحجروا عليه ان يتصرف في ملكه بما شاء - اما سمعوا قول المولى سبحانه وتعالى [قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما] واما اهل الحق فقالوا الثواب من الله تعالى فضل - وقد وعد به وهو الكريم الجواد - الصادق الذي لا يخلف الميعاد * ومنها ما اوجبوا عليه تعالى من العقاب على الكبائر قبل التوبة وزعموا ان العفو عنها يقبح منه تعالى لان فيه اغراء فلزمهم مثله في الصغائر وان يكون خلقه اكرم منه تعالى الله عن قولهم فكانهم ما سمعوا قوله تعالى [ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء - قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم - يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء - يرجون رحمته ويخافون عذابه] الى غير ذلك من الآيات الصريحات فقبحهم الله أليس هو من حقه فلم لا يعفو عنه فهلا جعلوه كخلقه اذ لهم ان يعفوا عن حقوقهم تعالى الله عن قولهم * واما اهل الحق فقالوا عقابه عدل كما ان

ثوابه فضل لا يجب عليه شيء من الاشيـــاء - لانه مالك الملك يفعل ما يشاء * وبسبب ما اوجبوا عليه من العقاب على الذنوب الكبائر انكروا الشفاعة في اخراج الموحدين من النار * وما جاء في ذلك من صحيح الاخبار المتواترة من حيث المعني * فكانهم ما سمعوا بالمقـــام المحمود الاسنى الذي خص به نبينا صلى الله عليه وسلم - وزاده من فضله الاعظم * ومنها قبول التوبة وقد اكذبهم الله تعالى بقوله [ويتوب الله على من يشاء] ولا يجب عليه ان يتوب على احد ولا ان يقبلها من احد بل ذلك راجع الى مشيته مع وفائه تعالى بوعده الصدق وقوله الحق [يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم] الاية ومنها ما ذهبوا اليه من ان الله تعالى ليس متفضـــلا على خلقه بايجـــادهم واختـــراعهم ولا متطولا عليهم بتكليفهم بل الحق والتكليف واجب عليه لمصلحتهم بزعمهم * فكانهم ما قرؤا قط ولا سمعوا ما ذكره الله في كتابه من امتنانه بذلك عليهم * وقد اعترف بدخول اطفـــال المسلمين والمشركين الجنة دون تكليف وعذاب وتعنيف * ومنها ايجابهم على الله نصب امام يحث على الطاعات ويزجر عن المعاصي * وحكي عنهم انهم قالوا للعبد ان يعترض على الله اذا لم ينصب اماما ويقول ما اردت حصول الطاعات مني لانك لم ينصب لي اماما وكما تحكموا على الله تعالى وحكموا وتحكموا على رسوله صلى الله عليه وسلم فقالوا يجب عليه ان ينص على تعيين امام وكذبوا بذلك وسياتى الادلة القطعية في موضعها على عدم نصبه صلى الله عليه وسلم على احد * ومنها انهم اوجبوا فى الانبياء عليهم السلام شروطا وسياتي عليها الكلام وعلى الجملة فجميع ما اوجبوه على الله تعالى قد اكذبهم فيه بقوله عز وجل [لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون] وغير ذلك مما ذكره تقدم وما ياتي في موضعه ان شاء الله تعالى والله اعلم *

تحقيق كون الحق في المذاهب المتوسط الانور

وبيان كون التوحيد لا يتم الا بالايمان بالقدر- قال الله عز وجل [وآلهكم آله واحد لا آله الا هو الرحمن الرحيم] فكما لا آله الا هو تبارك وتعالى لا خالق الا هو جل وعلا وقال تعالى [هو الله الخالق الباري المصور] فيمدح سبحانه بذلك - والتمدح لا يكون الا بما ليس فيه مشارك * فانظر ايها المعتزلي الى مذهب الاعتزال - كيف اكد سبحانه ذلك بالجمع بين هذه الاسماء التي هي من صفات الافعال - وهل ذلك الا خلاف ما قلتموه - كيف وقد صرح سبحانه باضافة الخلق الى كل شئ على اوضح الوجوه * فقال عز من قائل [ذلكم الله ربكم لا آله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه] وما اكتفي ايضا بهذه الاضافة العامة الجلية حتى قرن ذلك بالصفتين العامتين الربوبية والآلهية * ثم زاد انبع بيان خلقه لكل شئ تاكيدا وتقريرا فقال سبحانه [وخلق كل شئ فقدره تقديرا] مع ان التمدح باسم الخالق وحده كاف فى الدلالة على الاختصاص فان لم تسلم ذلك اتيتك بشاهد مالك عن الزامه خلاص * فما يقول هل اشعر باختصاص الممدوح حتى فاز من العليا بمجدها قول الشاعر في مدحه - الواهب المائة الهجان وعبدها - ام لم يشعر باختصاصه فيما يمنح فلا فخر حينئذ تميز به فيميز ويمدح لكنه ميّز ونوّه بمدحه فى الورى فلزم ان يكون ذلك بالاختصاص مشعرا - وذا شعر بذلك في مخلوق حقير - فما ظنك بالخالق العلي الكبير - وقال تعالى في كتب المقادير [ولا رطبٌ ولا يابس الا في كتاب مبين - ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها - وكل شئ فعلوه فى الزبر - وكل صغير وكبير مستطر - وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا - وكل شئ احصيناه في امام مبين] وغير ذلك

مما هو معروف وكذلك الاحاديث - وقد قدمت ما فيه كفـــاية لمن استبصر وتدبر بنظــرة وفكرة ووفق للتصديق بالحديث الصحيح الصريح ويؤمن بالقدر خيرة وشره وغير ذلك مما تقدم - وغيرة مما لا نطول بذكره بل لانجد الى استطاعة حصرة مما يتوقف على التصديق بمضمونه تمام الايمان والتوحيد - ويتصف صاحبه بالاعتقاد الصحيح السديد * قال الحبر الامام حجة الاسلام - المشهور له بالصديقية وعلو المقام - ابو حامد قدس الله روحه وزادة في جلالة قدرة تمام التوحيد و التصديق بالقدر خيرة وشره - قال والاعتراض عليه محظور واضافة الفعــــل للاسباب والوسائط باطل فلا خالق الا الله كما انه لا آله الا الله - والقول بالجبر فاسد وكلا طرفي قصد الامور ذميم كما روي حماد بن عيسى بسندة الى السيد الكبير سلالة النبوة - معدن الشرف والفضل والفتوة - بحر العالم الزاخر - محمد بن علي بن الحسين الباقر - رضوان الله عليه وعلى آبائه انه قيل له هل اجبر الله العباد فقال الله اعدل من ذلك فقل هل فوّض اليهم قال الله اعز من ذلك لو اجبرهم لما عذبهم ولو فوّض اليهم ما كان للامر والنهي معنا قال السائل فكيف اقول اذن قال منزلة بين المنزلتين هي مابين السماء والارض ولله في ذلك سرّ لا تعلمونه - قال الامام ابو حامد لكن الذي يجب على المكلف اعتقادة والذي يخلص به ايمانه ويفارق به اهل الاهواء او البدع ان كل ما يحدث في العالم من خير وشر وحركة وسكون وصفة وموصوف وعمل ومعمول فبقضاء الله وقدرة وانه تعالى خالق الكل ومخترعه ومنشيه ومبرمه - ولا يكون في العالم الا ما قدرة ولا يوجد منه الا ما يريد - فلو وجد في سلطانه ما لم يقدرة ولم يردة لجاز عليه ان يريد في سلطانه وان يقضي فيه ويقدر ما لا يكـــون وهذان يخـرجان من اتصف بهما او باحدهمـا من الالوهية - نعوذ بالله ذي الجلال - من التورّط في الضلال * وقال الامام البيهقي رضي الله عنه

ليس لقائل ان يقول اذا خلق كسبه ويسره لعمل اهل النار ثم عاقبه عليه كان ذلك منه ظلما كما ليس له ان يقول اذا مكنه منه وعلم انه لا يأتي منه غيره ثم عاقبه كان ذلك منه ظلما لان الظلم في كلام العرب مجاوزة الحد والله تعالى خالقنا وخالق اكتسابنا لا امر فوقه ولا حكم دونه وكل من سواه خلقه وملكه وهو يفعل في ملكه مايشاء [لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون] وقال ايضا الظلم عند العرب هو فعل ما ليس للفاعل فعله وليس شيء فعله الله الا وله فعل الا ترى انه فعل بالاطفال والمجانين والبهائم ما شاء من سائر انواع البلاء وقال [اغرقوا فادخلوا نارا] فاغرقهم صغيرهم وكبيرهم - وفي عاد [اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم] وغير ذلك من الآيات الواردة في تعذيب الصغير والكبير والمجنون وغير هؤلاء بانواع البلاء * وقال الامام ابو سليمن الخطابي رضي الله عنه اعلم ان لهم في هذا الباب وفي التعديل والتجويز اسولة كثيرة وامثلة يغالطون بها والانفصال عنها سهل ولكن قد يطول الامر على من شرع مشرع الكلام فلايزال يورد ويصدر والخواطر لا تكاد تتناهي والانفاس لا تنقضي وتاليف الكلام كتاليف العدد والحساب لا ينتهي الى مبلغ معلوم ولا يتجاوز فيحتاج في هذا الى المقدمتين يعتمدهما اهل البصائر في الدين وعليهما كان معمول علماء السلف الذين اوتوا الكلام في هذا الباب وتركوا الجدال فيه - احداهما ان يعلم ههنا امورا يلزمنا الايمان بجملها ولا يصح وصولنا الى تفصيل حقائقها وسبيلنا ان ننتهي الى ما حد لنا فيها وان نرد الامر الى ما ورد من التوفيق في احكامها على ما منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قيل له اعملوا فكل ميسر لما خلق له قال نعمل وسكت وفوق كل ذي علم عليم وقال تعالى [وان الى ربك المنتهى] * قال بعض العلماء اذا انتهى الكلام الى الله والى ما تفرد به

من العلم فليس الا الانتهاء والتوقيف والتأنية ان نعلم ان ما لا يدركه العقل هو المستحيل فى العقل وقد غلط الناس في هذا غلطا عظيما - فجعلوا الشيء الذي لا يدركه العقل لعجزه عن الاحاطة به مستحيلا فى العقل وليسا سواء لان الذي لايدركه حظه التوقف فيه - والذي ينكره هو الذي قضي باستحالته ولم يتوقف - وسبيل هذين ان يضبطا ولا يغفل عن مراعاتهما انتهى * وروينا في صحيح مسلم عن ابى الاسود الدولي قال قال لي عمر بن حصين رضي الله عنه أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشئ قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم - فقلت بل شئ قد قضى عليهم ومضى فيهم فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك وقلت كل شئ خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون - فقال لي يرحمك الله اني لم ارد بما سألتك الا لاحزعقلك - ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم * قلت وقد قدمت ايضا ما روى الامام الطبري بسنده الى عطاء بن ابي رباح قال كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فجاءه رجل فقال يا ابن عباس أرايت من صدني عن الهدى - واوردني دار الضلالة والردى - أتراه قد ظلمني قال ان كان الهدى كان لك شيئا عنده فقد ظلمك - وان كان الهدى هو له يوتيه من يشأ فلم يظلمك - قم ولا تجالسني * وروى الامام البيهقي بسنده انها جاءت جارية برقعة مختومة الى الامام سفيان الثوري رضي الله عنه ففضها وقرأ فاذا فيها - بسم الله الرحمن الرحيم من داؤد بن يزيد الازدي الى سفيان بن سعيد الثوري

ما تقــول في رب قد تقدر عليّ وقدر على ارشادي واصــلاحي وعصمتي وتوفيقي فمنعني عن ذلك بقدرته وقد عزم عليّ ان يعذبني بالنار جار ام عدل * فكتب اليه سفيان - بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى واقرّ بان محمدا رســـول رب العلا ان يكن الايمان والارشاد والاصلاح والعصمة والتـــوفيق حقا لك على الله لازما ودينا واجبا فمنعك بقدرته وحجبك بقوته ما هو لك عليه وقد عزم على ان يعذبك بالنار قلنا انه جار عليك ولم يعـــدل ومن المحـــال ان يجور الله على احد من خلقه ولا يعـــدل وان يكن ذلك كله فضل من الله فالله يوتي فضله من يشاء والله ذوالفضل العظيم - فكتب اليه داوٌد انه تائب الى الله تعالى مما كان مقيما عليه وانه فوض الامور كلها الى رب العالمين * وقال الشيخ الامام محي الدين النووي رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجـــل يا عبادي اني حرمت الظلـــم على نفسي وجعلته بينكم محرما * قال العلماء الظلـم منه سبحانه مستحيـــل لاذ التصرف في غير الملك او مجاوزة الحد وكلاهما مستحيل في حقه تعالى كيف يجاوز حدا وليس فوقه غير من يطيعه بل هو القـــاهر فوق عباده وكيف يتصرف في غير ملك والعالم كله ملكه وسلطانه ومعني حرمت الظلـــم على نفسي تقدست عنه وتعاليت انتهى * قلت والى كم في ميدان الاحتجاج والبيان - تركض جياد العقل والنقـل في اقامة البرهان - ونُرخِي لها في ميدان الاخبـــار عن الغيب العيان - وقد جال في ميدان المشاهدة فرسان المجاهدة وغلب الخبر العيان - واجمع المقربون العارفون - بصفات السلطـــان السالكون - في منهـــج التوحيد الى الحضرة القدسية المختصة بخواص اهل الحق المضروبة فيها خيـــام الصوفية المقدسة في سلوك طرقها فضلا عن طروقها عن المبتدعة من جميع البرية على ان جميع

الحركات والسكنات مشاهدات ومعاينات بعين الكشف الحقيقي صادرات عن الصفات الكريمات مقدرات في العدم حقا - وموجودات من العدم خلقا ، قال الشيخ الكبير - الولي الشهير - العارف بالله الخبير - تاج العارفين - قطب علوم الاولياء العالمين - سيد الطائفة المشغولة بالله العارفة ذو الوصف الحميد - الاستاذ ابو القاسم الجنيد - قدس الله روحه ونور ضريحه - سئل بعض العلماء عن التوحيد فقال السائل بيّن لي ما هو فقال معرفتك ان حركات الخلق وسكونهم فعل الله وحده لا شريك له فاذا عرفت ذلك فقد وحّدته * وقال الشيخ الكبير العارف - معدن الاسرار وبحر المعارف - نور الدياجي والخنادس - العالم الرباني فارس - رضي الله عنه التوحيد اسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع اليها عند الاحكام - وان الحسنات لا تغير الاقسام - من الشقاوة والسعادة * وقال بعض العارفين منهم من الناس من يكون في توحيده مكاشفا بالافعال يرى الحادثات بالله * وقال الشيخ الكبير العالم الرباني العارف بالله ابوبكر الواسطي رضي الله عنه ادعى فرعون الربوبية على الكشف وادعت المعتزلة على الستر تقول ما شئت فعلت - وقال بعضهم التوحيد اسقاط الياآت لا تقول لي وبي ومني مشيرا الى ان جميع الاشياء لله وبالله ومن الله وفي اسقاط الياآت قال بعضهم * * شعر *

ومن انا حتى ان اقول قضيتني * وعندي ولي او ليس عندي او انا
وقد حاز توحيدي المحاسن كلها * لانني ارى في كل شئ له حسنا
وقوم باسقاط الوسائط وحّدوا * وما ثبت عندي فاسقطها ذهنا

وفي هذا المعنى قال الشيخ الكبير العارف بالله الولي - امام الطريقة ولسان الحقيقة ذو المقام العلي - بحر العلوم والاسرار - ومعدن العارف والانوار - الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا لا نرى مع الحق احدا من الخلق ان كان ولابد فكالهباء في الهواء ان فتشته لم تجده شيئا * قلت واقوال المشائخ في هذا

المعني كثيرة منتشرة ومعروفة مشهورة ولا حاجة بنا الى ان نتبع كل نص وقد وضح الحق والتوفيق باتباعه يحصحص وفيما ذكرناه كفاية من اقوال علماء الظاهر والباطن مع نصوص الكتاب والسنة - لمن وفق لسلوك طريق الحق بمحض الفضل والمنة * وبعد هذه الاقوال والاجوبة والمسائل فما تقول ايها السائل الراضع من لبان المعتزلة نهلا وعلا - والرضاع تغير الطبـاع فلا يكاد يتصلح اصلا - القائل بالتحسين والتقبيح عقلا - وان الله جل وعلا - يقبح منه ما يقبح منا وانه لا يحسن من الرب ان يؤلم من غير ذنب في الامراض والاسقام والبلايا والآلام التي بها زوال العقل ونزول الاعتلال - النازلان بالمجانين والاطفال - هل يتالمون بها ام لا فان قلت لا فقد كذبت الحس وافتريت بهتـانا اذ تالمهم محسوس ومشهود عيانا وان قلت بذنب فقد خرقت الاجماع وكذبت بالحديث الصحيح الذي في الوجود شاع اذ هما من الثلثة الذين اخبر صلى الله عليه وسلم بانه مرفوع عنهم القلـم * وانعقاد الاجماع مشهور على هذا المذكور وان قلت انما ابتلوا ليعوضوا ويثابوا عليها وترفع لهم درجـات يجدونها اذا صاروا غدا اليها فقد هدمت مذهبک المبنى على قاعدة التحسين والتقبيح وأقررت على نفسک بالخطاء الصريح اذ يقبح في العقل من الحكيم أن لا ينعم احدا بنعيم حتى يذيقه من عذاب اليم * وذلک كانسان يعذب ضعيفا - ليعطيه رغيفا - فان ثواب الله تعالى للمبتلا في الجنان- بالنسبة الى سعة فضله وعظيم الامتنان - أقلّ من ذلک الرغيف بالنسبة الى ذلک الانسان- ولئن سلمنا صحة مذهبكم الظاهر الفساد - تنزلا في البحث لا في الاعتقاد * فما تقول في البهائم التي شرع لنا حلّ ذبحها - ومُنَّ علينا بلذاذة أكل لحمها - وفي السمک والجراد اللذين احلا لنا ميتتين - وحل لنا شمهما بالنار حيين - أيتألم المذكورات بما ذكرنا أم لا فان قلت لا فقد تهت وجحدت ما بالضرورة يعلم وان اعترفت

فهل ذلك لتعويض أم لا فان قلت نعم فقد اتيت بما لم يات به شريعة و نقضت أصلك ايضا كما تقدم وان قلت ليس ذلك لتعويض ومجازاة لها بل عقوبة ذنوب صدرت منها قلت لك وهل كلّفت حتى تصورت منها المخالفة فعوقبت بسبب الذنوب السالفة فان قلت نعم فقد أفريت على الله تعالى تكليف البهائم - وافتريت عليها المخالفة والعصيان واكتساب الجرائم - وعند ذلك اقول لك هل هذا التكليف وارد على هذه الصور ام على صور اخرى تسحب الى هذه فان قلت بل على صور أخرى فقد ذهبت الى مذهب التناسخ الذي هو في وحل المحال الباطل راسخ ولا تجد له أصلاً أصلاً لا شرعًا ولا عقلاً وان قلت ورد على هذه الصور * قلت التكليف بالاحكام تشريع والتشريع منوط باصحاب الشرائع وهم الرسل صلوات الله عليهم والرسل تكون من جنس المرسل اليهم قال الله تعالى [وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه] فلزم من ذلك ان يكون لكل جنس من البهائم والحشرات وسائر الحيوانات نبيّ منها وقد التزم ذلك اهل هذا المذهب ولزمهم طرد ذلك في كل حيوان حتى في الهوام والخنافس والديدان ورأوا في ذلك بفضائح وقبائح لم يسمع بمثلها كل غاد و رائح والى ذلك اشرت فيما تقدم بقولي * * شعر *

بمــــذهب كل منهم رب ضحكـــــة	مضحكـــة الباكي الحــزين المثكل
ففى الباطني كل الدواب مكلف	لها أنبيـــاء يوحى الى كل مرسل
و من عجـــــب ثور نبي بقـــرنه	وتيس خصوه مع حمــار محمــل
ولا تعب والتكليـــف نار وجنـــة	لنفس زكت عودا الى الفلك العلى
و فىْ الرافضي جبريل اخطأ بوحيه	الى احمــد لم يرسل الا الى على
فيا عجبـــا من مارق في ثلاثـــة	وعشـــرين عاما للاله مجـــهـــل
وفى الحشوي مدّ ونحـــة قاري	وحرف كلام الله والعرش معتلـــى

تعـــالى آلة عن حلـول حوادث   به وعلا لم بالحـــوادث يحـلـــل
وللكـــل كم سجيـــة وفضيحـــة   وأعجوبة تحكـــي بهـــا لم اطول
واشرت بقولي في ثلثة وعشرين عاما الي مدة الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم [1] ....

[ان الذين سبقت لهم منا الحسنى] وغير ذلک من آيات الكتاب المصرحة بما حق من كلمة العذاب و تقدير الذنوب عليهم علامة للشقاء - وصدورها منهم حجة مع حججهم الباطلة على رب الارض والسماء - لو عذبهم بغير ذنب بل بمجرد القضاء - وتقرير هذا المذكور على وجه التنبيه - أقول الحجة فى الظاهر لا تثبت الا بالذنب والذنب لا يثبت الا بالمخالفة والمخالفة لا تعلم الا بالشرع والشـرع لا يثبت الا بالرسل المتشـــرعين المبشرين المنذرين فالحجة لا تثبت فى الظاهر الا ببعثة الرسل ومخالفة شرائعهم * قال الله عز وجل [رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل] والى ذلک الاشارة بقوله تعالى [ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لو لا ارسلت الينا رســـولا فنتبع آياتک من قبل ان نذلّ ونخزي] فان قلت كيف يسبق القضاء بالشقاء من غير ذنب مضى - قلت اقتضت كلمة الحق السابقة وحكمته البالغة ان يكون فى المملكة سعيد وشقي - وفاجر وتقي - وغني وفقير وشريف ودني - وعالم وجاهل - وظالم وعـادل - وعزيز وذليل - وسخي وبخيل - وشجاع وجبان - ومكرم ومهان - ومعافي وسقيم - وعذاب ونعيـم - وخير وشر - ونفع وضر - وبدعة وسنة - ونار وجنة - الى غير ذلک من الاقسـام - الخارجة عن حصر الانام * واقول ايضا ذلک مقتضي اسمائه الحسنى وصفاته العلا ان من اسمائه تعالى الجبار والقهار والضار والنافع والخافض والرافع والمعز والمذل والمنتقم والعفو * ومن

[1] One page is here missing in the original MS.

صفاته العظمة والكبرياء والجلال والعلا والعزة والقدرة والقهر والسطوة * وعلى الجملة اقتضت الحكمة البالغة والعلم الكامل القديم - ان يكون - الوجود جميعه على ما هو عليه من الاوصاف ومن العذاب والنعيم * وان يقع المقدورات من جميع الكائنات على وفق ما سبق قضاء القدير الحكيم - العزيز العليم - من غير زيادة ولا نقص ولا تاخير ولا تقديم * وقد قدمت شيئا من الكلام في ذلك فى الجواب عن كلام الامام حجة الاسلام واشرت الى ما اقتضته الحكمة من كثرة التنوع والاصناف والاتفاق والاختلاف * وقد قال الله العظيم في كتابه الكريم [ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك] ولذلك خلقهم وفى المشار اليه بذلك قولان - احدهما خلقهم للاختلاف * والثاني للرحمة * قلت قد وقع لي في وقت تسويد هذا الجواب تعجب ممن يرى تعذيب الجبار القهار - عصاة المومنين بالنار - بذنوب قدّرها عليهم فى القدم - قبيحا لا يليق بالحكيم ذي الجود والكرم * ولا يرى ما يلزم من القبح على مذهبه السقيم - في تعذيب الحكيم العليم - الجواد الكريم - الرؤف الرحيم - الغفور الحليم - خير الغافرين - وارحم الراحمين - واكرم الاكرمين - عصاة المسلمين - المؤمنين الموحدين - بنار عظيمة ذات عذاب اليم * ويحرمهم دار العز والنعيم - ويخلدهم في دار الهوان والجحيم ابدا - على مذهبهم الخالي عن الهدي * فهلا قبح عندهم فى العقل الذي جعله حاكما وجعل حكم التقبيح والتحسين عنه صادرا تعذيب حكيم موصوف بهذه الصفات الكريمة مؤمنا موحدا بفرد جريمة سرمد الدهر بنار عظيمة * ومما يكذبه من حكم فى العقل الصحيح - يكذبه ايضا محكم النقل الصريح * قال الله العظيم اصدق القائلين [ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] فهل القائل بوجوب ذلك الا حاكم على الحاكم الحكيم - وحاجز من الغفران على الغفور الرحيم - ومكذب بقوله المذكور الحكيم الكريم * قلت

ولو لا ان صفاته تعالى اقتضت تخليد الكفار فى النار لما منع العقل اخراجهم منها - بل ما اوجب ادخالهم فيها كيف والمخلوق الحقير ذو الاوصاف الذميمة والطبع الدني الذي هو الى التشفي بالانتقام مائل قد يسمح بالعفو عن كل مذنب عامد وناس وعالم وجاهل كما قال واحسن في ذلك القائل * * شعر *

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب * وإن كثرت منه عليَّ الجرائم

وقال الآخر ولله دَرُّه مِنْ قائل * * شعر *

واني و إن أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

فكيف بالخالق الحليم ذى الصفات الكاملة الكريمة - والرحمة الواسعة العظيمة * لولا ما ذكرت من سبق كلمة الحق - ونفوذ حكم القضاء والمشية السابقة ومقتضي الاسماء الحسنى والصفات العلا والقول الصدق والحكمة البالغة اذ جميع ذلك لا يتبدل ولا يتغير ولا حكمه عن اجله المعلوم يتقدم ولا يتاخر * ولو لا النيران - ما عرف قدر الجنان - ولو لا العذاب وما فيه من الانتقام - ما عرف النعيم وما فيه من الانعام - ولو لا الذل والهوان ما عرف قدر العزّ والاكرام و لولا الاعراض والهجر ما عرف قدر الاقبال والوصل - ولقد أحسن القائل فيما قال * * شعر *

كذا قضت الايام ما بين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

قلت هذا ما اردت من التنبيه على ان القبح لا ينسب الى الله تعالى اصلا - ولا يتصور منه شرعا ولا عقلا - لانه متصرف وحاكم في ملكه وخلقه - لا حاكم عليه فلا ينسب قبح ولا ظلم اليه - واما في حق الخلق فينسب القبح والحسن اليهم شرعا لا عقلا كما تقدم فكلما حسنه الشرع فهو حسن وكلما قبحه فهو قبيح ولا حكم للعقل في ذلك لما قدمناه من الدليل - وبيان ذلك ان كل ما نهى عنه شرعا فقبيح والا فحسن - كالواجب والمندوب

والمباح وفعل غير المكلف - هذا مذهبنا الذي قال به اصحابنا - واحتج له ائمتنا بما يطول ذكره - وقد قدمنا شيئا من الادلة وان الثواب منه تعالى فضل والعقاب عدل والعمل دليل وكل ميسر لما خلق له يخلد الموفق للطاعات في جنانه - وفآءً بوعده ويعذب الكافر المعاند في نيرانه - بمقتضي وعيده وينقطع وعيد المؤمن العاصي بقوله تعالى [فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره] ولا يرى ذلك الا بعد الخلاص من العذاب وغير ذلك من الآيات الكريمات وبقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا الّه الا الله دخل الجنة الحديث وغير ذلك من الاحاديث الصحيحات - وكذلك مذهب أصحابنا من ائمة الاصول - الذين اقامو عليه قواطع المعقول - انه لا غرض لفعله تعالى - ولا علة لحكمه جل وعلا - خلافا للمعتزلة وانثر الفقهاء المتاخرين في كونه معللا برعاية مصالح العباد * لانه لو صدر منه شئ من ذلك لغرض لكان ناقصا لذاته مستكملا بغيره * ولا يقال غرضه تحصيل مصلحة العبد لان تحصيل مصلحة العبد وعدم مصلحتها ان استويا بالنسبة اليه لم يصلح ان يكون غرضا داعيا الى الفعل والا لزم الاستكمال الذي هو عليه محال * وعلى الجملة فقد قال ائمتنا الحق الذي لا شك فيه أن الله تعالى يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون كما قال تعالى في الذرّ هولاء للجنة ولا ابالي وهولاء للنار ولا ابالي الحديث المتقدم * قلت واذ قد ذكرنا اعتقاد ائمتنا وبراهينهم القاطعة - في كونه تعالى خالق كل شيء - وذكرنا اعتقاد المعتزلة - فلنذكر سائر المخالفين ايضا من الفرق المتفق على كفرهم - واما الفرق المنتمية الى الاسلام فقد علم ان جميعهم موافقون للمعتزلة في الاعتقاد في هذه المسئلة * ولم يخالف الجميع - في ذلك سوي اهل السنة اما المخالفون من الكفار في كونه تعالى خالق كل شيء فستّ طوائف على ما نقله بعض ائمتنا * الطائفة الاولى

الفلاسفة قالوا المعلول الاول لذات الله تعالى من غير واسطة شيء واحد و هو العقل الاول - وأما سائر الاشياء فهي معلولات معلولاته فجعلوا الصانع المختار جل وعلى عن قولهم وقول سائر الجاحدين والملحدين علوا كبيرا علة وقصروا تلك العلة على شيء واحد - وهو العقل الاول بزعمهم ثم العقل الاول صدر عنه العقل الثاني والفلك الاعلى ونفسه - وعن العقل الثاني صدر العقل الثالث والفلك الثاني ونفسه - وهكذا الى العقل العاشر - وعنه صدر عالم العناصر وايضاح ذلك في موضع آخر من هذه الكتاب * والطائفة الثانية الباطنية قالوا بآلهين سموهما السابق والتالي - لا اول لوجودهما من حيث الزمن - الا ان السابق علة لوجود التالي - وخالق العالم السابق بواسطة التالي لا بنفسه * وايضاح مذهبهم في خاتمة الكتاب * والطائفة الثالثة الطبائعيون القائلون بأن حوادث هذا العالم من المعادن والنبات والحيوانات معللة بامزاج الاربعة العناصر بعضها من بعض * الطائفة الرابعة المنجمون القائلون بان المدبر لهذا العالم السفلي هو الافلاك والكواكب - محتجين بقولهم انّا نشاهد تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغير احوال الكواكب والليل والنهار والفصول الاربعة * قلت فهؤلاء جعلوا الدوران المختلف في كونه علة لثبوت احكام الفروع الثابتة بالظن علة لثبوت الاحكام الآلهيات المفتقرة في ثبوتها الى البراهين القاطعة فوقعوا في الخطاء العظيم وعدلوا عن مكون الاكوان ومدبر الامور ومغير الاحوال ومسبب الاسباب بالحكمة البالغة الى الافلاك والكواكب المسخرات بأمره المقهورة لا الفاعلة الفاطرة بل المفعولة المفطورة هذا * وعلم النجوم مع علم المنطق معدودان من علوم الفلاسفة - وقد ثبت في المنطق انه لا يلزم من حصول شيء عند حصول شيء وعن عدمه عند عدمه كونه معللا به لاحتمال حصول الدوران مع شطر العلة او شرطها او صفة لازمة له

طردا وعكسا مع كونه اجنبيا عن التاثير * والطائفة الخامسة الثنويّة الذين ينسبون الخير الي النور والشرّ الى الظلمة * والطائفة السادسة المعتزلة القائلون بخالقين ايضا باضافتهم خلق افعال العباد اليهم * قلت وقد تقدم ايضاح بطلان مذهبهم - ولست اطول بذكر الحجج على بطلان كلواحد من مذاهب هؤلآء الطوائف المذكورة اكتفاء باقامة البراهين القاطعة على ان لا خالق الا الله فى الاستدلال على خلق الافعال - وبطلان مذهب ذوى الاعتزال - في غير هذا المكان * فمذهب سائر هذه الطوائف اولى بالبطلان - والله الموفق والمستعان * واذ قد اوضحنا مذاهب المخالفين القائلين بكون المخلوقين خالقين فلنوضح ايضا مذاهب اصحابنا في كيفية نسبة الافعال - الى خلق الله الكبير المتعال - مع اتفاقهم ان العبد غير موجد فعلا بالاستقلال * قال الشيخ ابو الحسن الاشعري افعال العباد كلها واقعة بقدرة الله ومخلوقة له وقدرة العبد الحادثة لا تؤثر اصلا - بل الداعي والقدرة والمقدور كل ذلك واقع بقدرة الله تعالى ومذهبه ان الوجود باسره لا مؤثر فيه الا الله عز وجل * وقال القاضي ابو بكر الباقلاني ذات الفعل صادرة من الله تعالى ووصف كونه طاعة او معصية من العبد - وهذا قريب من قول ابى الحسن فى المغني - وقال الاستاذ ابو اسحق الاسفرائني المؤثر فى الفعل مجموع قدرة الله وقدرة العبد * وقال امام الحرمين منا وابو الحسين من المعتزلة - والحكماء من الفلاسفة الفعل واقع بقدرة يخلقها الله تعالى فى العبد * قلت وقد تقدم قول الامام ابي حامد الغزالي ان انفراد الله تعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار - فالقدرة وصف للعبد وخلق للرب وليست كسبا له - والحركة خلق للرب ووصف للعبد وكسب له - قلت واذا علم هذا رجعنا الى اصل

السوال وهو قول السائل انما يصح الاستدلال بكلام الله تعالى الى آخر قوله فاما مع تجويزكم القبيح عليه - فما الثقة بكلامه وذكر من جملة القبيح ارادة الكفر والظلم - وقد قدمت منع كون ذلك قبيحا بالنسبة الى الله تعالى واستدللت عليه وعلى بطلان التحسين والتقبيح العقلي بما فيه كفاية - وبعد هذا اقول في تقرير صحة الاستدلال - بكلام الله الكبير المتعال - وخبره الصدق وقوله الحق المعظم وصدق معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم تقريرات خمسة - التقرير الاول - اقول وبالله التوفيق لا مانع من الوثوق بكلام العدل ما لم يثبت فيه قادح خارج عند حاكم ولا حاكم الا الشرع للدليل المتقدم ولم يثبت قادح في الشرع في حق الحق العدل فلا مانع من الوثوق بكلامه * التقرير الثاني اقول ايضا لا ظالم الا من تصرف في غير ملكه او في ملكه على وجه منعه منه حاكم عليه محق - والله تعالى متصرف في ملكه على وجه لم يمنعه منه حاكم اذ لا حاكم عليه فلا يكون ظالما فيكون عدلا والعدل موثوق بكلامه فكلام الله تعالى موثوق به بل كلامه اصدق الكلام واوثقه واعدله واحقه وهو الحاكم لا المحكوم عليه فالمرجوع في كل شيء اليه نفعنا الله ببركاته وجعلنا من المستضيئين بنور آياته والمسلمين آمين * التقرير الثالث اقول ايضا خبر الله تعالى صدق لان الكذب نقص والنقص على الله تعالى محال فخبره صدق والصدق موثوق به فخبر الله موثوق به * التقرير الرابع اقول ايضا ارادة الحق تعالى لكفر الكافر وظلم الظالم لا يقدح في صدق المعجز الصادق بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر عن الامام ابن الخطيب الرازي رضي الله عنه الذي شنع عليه السائل ونسبه الى الهوى والمراوغة عن الحق والتخبط في تيه الباطل بزعمه - وما يدريني من الاولى بهذا الذي نسبه اليه اهو امامنا المذكور ام ائمة القائلون بوجوب الاصلح على الله تعالى الذين مقتضي مذهبهم ان يكون كفر الكفار وما هم

فيه من سخط الجبار - وتخليدهم ابدا في النار - اصلح لهم من تخليدهم ابدا في الجنان - وما فيها من النعيم ورضى الرحمن - وكون بقائهم فيما يقاسون منها اصلح لهم من عدم ايجادهم او موتهم فيها لان اظهار المعجز علامة على صدق الارسال انشاء والانشاء لا يدخله الكذب كالتوكيل وليس باخبار عن ماض حتى يدخله الكذب اذ ذلك نازلة منزلة قول الملك لبعض خواصه ارسلتك او وكلتك فلزم ان يكون صدقا والصدق موثوق به - فخبر الله موثوق به * التقرير الخامس في زيادة ايضاح هذا التقرير المذكور وبيان صحة قول الامام المحققين الخطيب المشهور الذي نسبه السائل الى التخبط في تيه الباطل اقول ايضا لو فرضنا ان ملكا من ملوك الدنيا الذين يصح صدور القبح منهم علم منه فعل القبيح مثلا فقام بين يديه انسان في محفل عظيم من رعيته وخدمه وحاشيته وادعى على من حوله انه رسول الملك اليهم - ومولى منه عليهم - وانه قد امرهم ان يطيعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه وان علامة صدقه في ذلك المقال - والشاهد له في ذلك الحال - ان يقوم الملك على سريره ويقعد على خلاف عادته ثلاث مرار - ثم قال عند ذلك ايها الملك ان كنت صادقا فيما ادعيت من الرسالة الموصوفة فقم على سريرك واقعد ثلث مرات على خلاف عادتك المعروفة ففعل الملك ذلك في الحال على وفق ما ادعاه اليس يحصل علم قطعي بان ذلك نازل منزلة قول الملك له صدقت لمن راه ويعلم صدق رسالته المذكورة جميع الحضور - ولا يقدح في صدقها ما ينسب الى الملك من القبيح المذكور - فكيف بمن لا يصح نسبة القبح اليه اصلا شرعا ولا عقلا ولا يتصور ذلك منه جل وعلا * فان قالت المعتزلة اذا جوزتم الاضلال على الله تعالى فجوزوا عليه اظهار المعجز على يد كاذب يضل الناس - والجواب انما جوزنا خلق الاضلال والضلال - واما الاضلال الذي هو الدعوة الى

الضلال والحكم بان الباطل حق فلا يجوز عندنا - ومن ذلك اظهار المعجز
على يد الكاذب لان ذلك كذب والكذب على الله تعالى محال * اذا علم
هذا فكل خارق للعادة عجز الخلق عن الاتيان بمثله عجزا لا بجهل لا يكون
الا فعلا لله عز وجل فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم
نزل منزلة قوله تعالى له صدقت وكان معجزة له * وذلك بالضرورة يعلم
وان ظهر على يد مطيع لله متبع لرسوله غير متحد بالنبوة كان كرامة
ليشهد له بصدق الولاية - وان ظهر على يد فاسق او كافر كان سحرا ليشهد
بزندقته - والخروج عن دين الله وطاعته * ويكفي في هذا الاستدلال -
ما جاء في فتنة المسيح الدجّال * فان قلت هذا يؤدي الي التباس
الكرامة بالمعجزة والنبي بالمتنبي * قلت لا للفرق الذي ذكرته وقد قررت
في" كفاية المعتقد ونكاية المنتقد " في فصل سلوك الطريقة - والجمع بين
الشريعة والحقيقة - تقريرا مشتملا على جواز بلوغ الكرامة التي اكرم الولي
بها مبلغ معجزة النبي في جنسها وعظمها * فقلت لا يخلو اما ان يكون
المنع من ذلك من جهة النقل او من جهة العقل - والاول باطل اذ ليس
في منع ذلك نقل يوجد - بل العقل متظاهر وظاهر في جوازه * والثاني
اما ان يمتنع لذاته او لغيره - والاول باطل اذ خرق العادة في الكبير والصغير -
للنبي والولي وغيرهما من الشريف والحقير - لا يحيله العقل في قدرة الرب
القدير - والثاني اما ان يكون لالتباس النبي بالمتنبي وغيره - والثاني
باطل اذ ليس فيه رافع لاصل ولا قادح في معجزة - والاول اما ان لا يكون
مقرونا بدعوي النبوة او يكون - والاول باطل اذ ليس فيه التباس فتعين
الثاني وهو حصر الالتباس المحصور فيه المنع في الخارق المقرون
بدعوي النبوة - ولا التباس في غير الخارق المقرون بالدعوى المذكورة -
فلا منع من كل خارق ليس مقرونا بدعوى النبوة وهو المطلوب * والحمد

لله - وقد ظهر لك بهذا ان ظهور الخارق للعادة على يد الكذابين بل العاجزين والكافرين غير مستحيل في قدرة الله تعالى من غير دعوي * فاما وقوعه منهم مع الدعوي شاهدا على صدقها فمحال لان الشهادة بصدق الكاذب كذب والكذب على الله تعالى محال فقد ظهر لك واستظهر ايضا ان كلام الله لا يجوز فيه الكذب ولا يقع فيه اصلا لما عرفت من التقرير المذكور ولما ستعرف بعد - ان شاء الله تعالى فتشنيعك على امام ائمة الاصول - الجامع بين قواطع المعقول والمنقول- من الكتاب والسنة - واجماع الامة - الى ابي الحسن الاشعري رضي الله عنه وزعمك ايها السائل انه جوز اظهار المعجز على الكذابين باطل * قلت واما الفرق بين الكرامة والسحر فمندرج تحت التقرير الخامس - فان جهل ما ذكرت من حال صاحب الخارق للعادة من الديانة وعدمها والتبست الكرامة بالسحر - وقد اوضحت ذلك في خاتمة في كتاب " روض الرياحين " وقسمت الناس في ذلك عشرة اقسام - وبينت الحكم في ذلك واوضحت فيه الكلام فمن احب الاطلاع على ذلك فليطالعه يجد حكمه واضحا هنالك *

واما الادلة على اثبات كرامات الاولياء التي انكرتموها مع كونها قد ملأ وقوعها الوجود - وتظاهرت على ذلك قواطع الشهود - من الآيات الكريمات - والاحاديث النبويات الصحيحات الصريحات والآثار المستفيضات والحكايات المتواترات المخبرات - عن العيان والمشاهدات - مما رايناه والله ورويناه بالاسانيد الصحيحات ورواه ورآه غيرنا من الخلائق فى المغارب والمشارق ممن لا يحصي عددهم الا الخالق و شهد العقل كما ذكرت ايضا بجوازها دون امتناعها واستحالتها - فقد ذكرت منها في كتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين وكتاب كفاية المعتقد المذكور ما تقرّ به العيون وتنشرح الصدور وساذكر ان شاء الله شيئا من ذلك عليه المعتمد - في آخر هذا المعتقد *

واما ثبوت السحر وزندقة صاحبه فقد شهدت بذلك شواهد من الكتاب والسنة - واقوال علماء الامة - فمن الكتاب قصة هاروت وماروت وسورة الفلق المخبرة عن النفث في العقد - وآيات اخرى مخبرة ايضا عن سحرة فرعون وسحرهم المشاهد * ومن السنة حديث اليهودي الملعون لبيد بن اعصم وسحره لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاءه انه سحر ابن عمر بن عمر رضي الله عنهما - وان جارية سحرت عائشة رضي الله عنها * قال امام الحرمين رضي الله عنه اتفق العلماء على وجود السحر واختلفوا في حكمه وهم اهل الحل والعقد وبهم ينعقد الاجماع - قال ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة فقد ثبت السحر جوازا ووقوعا واستدل على جوازه بالمعقول والمنقول - مما ذكره يطول * قلت وقوله واختلفوا يعني ان منهم من يقول بكفر الساحر مطلقا - و منهم من يقول لا يكفر الا اذا علم في سحره ما يقتضي الكفر من قول او فعل فهو مذهبنا - مع اتفاق الكل على فسقه وفجوره * قال و الشياطين والجن قد انكرهم معظم المعتزلة ودل انكارهم اياهم على قلة مبالاتهم وركاكة دياناتهم - فليس في اثباتهم مستحيل عقلي وقد نصت نصوص الكتاب والسنة على اثباتهم * قال وحق اللبيب المعتصم بحبل الله ان يثبت ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته ولا يخفي لمن ينكر ابليس وجنوده والشياطين المسخرين في زمن سليمان صلوات الله عليه كما انبأ عنهم اي من كتاب الله لا يحصيها مسكة في الدين وعلقة يتشبث بها انتهى -

قلت ولما كتبت ما ظهر لي في التقريرات الخمسة المذكورة في صحة الاستدلال بكلام الله سبحانه وصدق معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع ما ذكر من الشبهة وجدت بحمد الله نصوص ائمتنا ذو البراهين القاطعة للشبهة المذكورة دافعة فاعجبني ذلك مكاتبته - والحقته بالتقرير

الذي قررته * قال الامام عمدة المحققين - النظار المدققين - مرهم المعضلات - وكشّاف المشكلات - موضح غوامض المعاني - الاستاذ ابو اسحق الاسفرائني رضي الله عنه في كتابه المترجم بالجامع على ما نقله عنه الامام المحقق البارع الفحل النجيب ذو البرهان القاطع المترله بالتقدم في علم الفقه والاصلين المتفرد باللقب المشهور في الآفاق امام الحرمين رضي الله عنه الاحكام لا ترجع عندنا الى صفات الاحوال * وانما ترجع الى تعلق الكلام القديم بها والشيء لا يجب لنفسه ولكن يقضي فيه بالوجوب للتوعد على تركه ووعد الثواب على فعله والوعد والوعيد خبران فلو لم يثبتا على حكم الصدق لم يوثق بهما * واذا كانت كذلك لم يتقرر ايجاب وحظر وندب الى الطاعة - وتحذير من المخالفة - ويؤول قصارى ذلك الى ان لا يتصور للباري تعالى امر يطاع وقد دلت الادلة على كونه آلها قادرا عالما ولا يعقل الآلهية لمن لا يتصور منه الامر والنهي انتهى *

قلت يعني فيلزم من هذا كون خبره تعالى صدقا والا لما عقلت الآلهية ولكنها قد عقلت ودلت البراهين القاطعة عليها * فان قيل كيف تثبت الادلة المذكورة واعتمادكم فيها على السمع والسمع ما ثبت بعد اذ كلامك الآن انما هو في السمعي في اقامة الدليل على ثبوته . قلت المراد بالادلة الادلة العقلية لانا لا نمنع من حصول معرفة الآله بها وانما نمنع من وجوب من معرفته بها لا من المعرفة نفسها وقد قدمت ذلك في الشبهة الاولى واضحا - فتأمل ههنا تكن للتحقيق رابحا * ونقل امام الحرمين عن الاستاذ المذكور انه حث على التمسك بكلامه هذا . وقال لو لم يتفق في كتابنا الا هذا لكان بالحري ان يغتبط به . قال امام الحرمين وقد ادينا ما فهمناه من كلام ذلك الحبر رضي الله عنه ثم اردفه بجواب آخر واستدل على صدق المعجزة بعد أن ذكر شبهة المعجزة فيها * ومختصر

ذلك انه قال فان قيل لا نسلم لكم ما ذكرتموه من نزول المعجزة منزلة التصديق بالقول فلا يتم غرضكم دون ان يثبتوا استحالة الخلف وامتناع الكذب في حكم الله تعالى ولا سبيل الى اثبات ذلك بالسمع فان مرجع ادلة السمعية الى قول الله تعالى فما لم يثبت وجوب كونه حقا صدقا فلا يستمر في السمع اصلا ولا يمكن التمسك في تنزيه الرب عن الكذب لكونه نقصا من وجهين - احدهما ان الكذب عندكم لا يقبح لعينه - والثاني انه لو سلم كونه نقصا فالمعتمد في النقائص دلالة السمع * ثم قال رضي الله عنه في الجواب قلنا اما الرسالة فانها تثبت دون ذلك في الحال ولا يتعلق اثباتها باخبار تتصدي بكونه صدقا او كذبا وكان المرسل قال جعلته رسولا فانشات ذلك ولم يقله مخبرا عن ماض - وسبيل ذلك كسبيل قول القائل وكلتك في امري استنبتك لشاني فهذا توكيل ناجز يستوي فيه الكاذب الصادق ثم ذكر كلاما حاصله انه وان بلغ وان كانت صيغته صيغة الخبر فالمراد منه الامر بالانتداب لشان لا يدخله الصدق والكذب * ثم قال فالفعل الذي فرضنا منه يعني المعجز الخارق للعادة يصدق الرسول ويثبت الرسالة قطعاً على الغيب من غير ريب ولكن لا يثبت صدق الرسول بعد ثبوت الرسالة فيما يوديه وينهيه ويشرعه من الاحكام و يشرحه من الحلال والحرام إلا مع القطع بتقدس الباري سبحانه وتعالى عن الخلف والكذب - ثم ذكر جواب الاستاذ ابي اسحق المذكور واردفه كما ذكر ثم بجواب أخر تكلم فيه بما يدق معناه على الافهام ويطول في شرحه الكلام * ومختصر ذلك انه قال والذي عليه التعويل انا قد أوضحنا الطرق الموصلة الى كون الباري سبحانه وتعالى عالماً ومريداً وقد قدمنا ما فيه مقنع في إثبات كلام النفس والعالم بالشيء المريد له لا يمتنع ان يقوم به أخبار عن المعلوم المراد على حسب تعلق

لعلم والارادة به وكل معني يقبله بوجود فانه لا يعري عنه وعن ضده ان كان
له ضد فلو لم يتصف الباري تعالى بخبر صدق يوجب اتصافه بضده واذا
اتصف استحال ان يقدر ذلك الضد ذهولا وغفلة عما قدرنا مخبرا عنه *
فان الذهول كما يضاد الخبر عن الشيء - فانه يضاد ايضا العلم به وارادته -
فان كان ضد الخبر الصدق خبرا هو خلف وكذب واقع على خلاف المخبر
فيجب مع تقدير ذلك الوصف الحكم بقدمه وايضا باستحالة عدمه لما
قدمناه من اثبات قدم الكلام * قلت وسياتي ذلك ان شاء الله * قال ثم
يؤول منتهي ذلك الى انه يستحيل من الباري تعالى ان يخبر عما
علمه على حسب تعلق العلم به وذلك معلوم بطلانه * فان قيل بنيتم فرعا
على اصل منازع فيه وهو كلام النفس * قلنا الذي مدعا اهل الحق انه
كلام النفس لا ينكر وانما التنازع في ان ما ادعيناه هل هو كلام ام هو
اعتقاد ام هو علم فاما هواجس النفس وخواطرها فالاتصاف بها معلوم
لايجحد * و قال ايضا المعجزة لا تظهر على يد الكاذب لانها لو ظهرت
لدلّت على صدقه وتصديق الكاذب مستحيل في قضيات العقول * فان
قيل هل يجوز في المقدور وقوع المعجزة على حسب دعوى الكاذب ام
تقولون ليس ذلك في المقدور * قلنا ما نرتضيه في ذلك ان المعجزة
يستحيل وقوعها على حسب دعوى كاذب لانها تضمن تصديقا -
والمستحيل خارج عن قبيل المقدورات وجنس المعجزة يقع من غير
دعوى وانما الممتنع وقوعه على حسب دعوى كاذب فاعلموا ذلك *
قلت وهذا يؤيد ما قدمته من كون ظهور الخارق للعادة على يد الكاذب انما
يمتنع مع الدعوى لانه يكون تصديقا لكاذب وتصديق الكاذب محال ولا يمتنع
مع عدمها * قال امام الحرمين فان قيل ان ثبت ما ادعيتموه في المثال
الذي فرضتموه فبم يقيسون الغائب على الشاهد مع علمكم بانه لابدّ من

جامع بينهما فان روم الجمع من غير جامع يجرّ الى الالحاد - وربما عضدوا هذا السوال بآخر - فقالوا انا علمنا رسالة مدعيها بقرائن الاحوال وما احسسناها منها وذلك مفقود غير موجود في حكم الاله * قال وهذا آخر عقدة في النبوات واذا انحلت لم يبق بعدها للطاعن مضطرب فنقول المعجزة انما تثبت في حق من يعتقد ان له ربا قادرا يفعل ما يشاو فيقول النبي في مخاطبة من سبق اعتقاده للالهية قد علمتهم ان انبعاث النبي غير منكر عقلا وانا رسول الله اليكم وآية صدقي انكم تعلمون تفرد الرب بالقدرة على احياء الموتي و تعلمون ان الله عالم بسرّنا وعلننا وما نخفيه من سرائرنا ونبديه من ظواهرنا فان كنت صادقا فقلت يا رب هذه الخشبة حيّها تسعى - فاذا انقلبت - كما قال واهل المجلس عالمون بالله - فيعلمون على الضرورة - ان الرب تعالى - قصد بابداع ما ابدع تصديقه كما ذكرنا شاهدا - قلت يعني كما تقدم من تمثيل ذلك بقيام الملك وقعوده ثلث مرات عيانا عند قوله ان كنت صادقا فيما ادعيت من رسالتك ايها الملك فقم واقعد على خلاف عادتك نفعل ذلك - قال وما موهوبه من قرائن الاحوال لا محصول له - فان من كان غائبا عن المجلس الموصوف فبلغه ما جرى - يعني من قلب الخشبة حية - شارك الحاضرين في العلم وان لم يخبر حالا * قال و هذا قولنا في وجه دلالة المعجزة على صدق الرسل - .لا يكاد يتأتي ذلك للمعتزلة - فان مبني ما ذكرنا على القصد - ويعسر على المعتزلة اثبات قصد الله تعالى - فانهم نفوا ارادة عظيمة - ومنعوا كونه مريدا لنفسه - وقد قام البرهان على بطلان كونه مريدا بارادة حادثة - فلا يبقي لهم تعلق في اثبات قصد الى تصديق - انتهى كلامه مختصرا لفظا ومعني * قلت - وسياتي بيان قيام البرهان المذكور في الكلام في صفات الله ان شاء الله وقال الامام البارع

اللبيب معدن الفوائد فخر الدين بن الجيب رضي الله عنه - الشيء اذا علم وجوده بالضرورة لم يكن تجويز نقيضه قادحا في ذلك العلم الضروري - مثال ذلك انه يجوز دخول شخص في الوجود من غير ابوين - وشيخ هرم من غير سبق طفولية وشبوبية وكهولية - ثم انّا اذا ابصرنا شخصا علمنا بالضرورة انه مولود من ابوين وانه كان طفلا ثم صار شابا ثم صار كهلا ثم صار شيخا - اذا عرفت هذا فنقول ان دلالة المعجز على ان خالق المعجز يصدق المدعي معلوم بالضرورة والدليل على ذلك - ان موسى عليه السلام لما قال ان كنت صادقا في ادعاء الرسالة فاجعل هذا الجبل واقفا على الهواء فوق رؤسهم ثم ان القوم يشاهدون انهم كلما آمنوا به يباعد الجبل عنهم - وكلما همّوا بتكذيبه قرب من السقط عليهم فعند هذا يعلم كل احد بالضرورة ان المقصود من ذلك التصديق في دعوى الرسالة فان قيل افعال الله تعالى غير معللة بالاغراض عندكم قلنا فرق بين العلة والمعرف - ونحن لا ندعي ان خلق المعجزة لغرض التصديق بل ذلك يعرف قيام التصديق بذات الله تعالى - هذا مختصر كلامه * وقال بعض ائمتنا المتاخرين في قولهم لو كان الحسن والقبح بالشرع لما قبح من الله شيء فلا يقبح منه اظهار المعجزة على يد الكاذب ويحسن منه ان يأمر بالكفر والزنا والسرقة لانها غير قبيحة فاذا امر الله بها صارت حسنة جوابه اجمالا وتفصيلا * اما اجمالا فقد نقل الامام القاضي ابو بكر الباقلاني عن بعض ائمة اهل الحق ان هذا وامثاله لا يستحق جوابا فليس لنا ان نتكلم على حكم ما لم يقع - ولا يجوز ان يقع باجماع بان يقدر - ان لو كان كيف كان - يكون حاله - ولا كلفنا القول في ذلك * واما تفصيلا فقد يجوز ان يظهر على يد الكاذب ما يكون فتنة لمن اراد الله تعالى ضلالته *

فيغفريه مغفرنا به ما يدلّ على الكذب لمن اراد الله هدايته ويضره تكذيبه - ولكن هذا لم يقع على صفة المعجزة وادعائها رحمة من الله لعباده - وقد اشار بعض ائمة اهل الحق ايضا الى نحو هذا - فقال ان حسن الشيء لا يوجب وقوعه - بل قد كان يجزم بانتفائه * قلت هذا مختصر كلامهما وفيه اشكال من وجهين احدهما مخالفته لما قدمته عن امام الحرمين وغيره انه مستحيل - والثاني الحكم بجوازه مع الجزم بانتفاء وقوعه - وكونه لا يجوز ان يقع باجماع كما تقدم قريبا - وقد مست الحاجة بل الضرورة الى دفع هذا الاشكال ورفع ابهام يناقض الكلام - عند قاصرى الافهام - لا سيما والخصوم في هذه المسئلة بالمرصاد لنا قيام - لاجرم رايت ان انبه على ذلك بما يرفع التناقض الموهوم - ويدفع اعتراض الخصوم * فاقول وبالله التوفيق لاصابة الحق والتحقيق - اما الوجه الاول فالمخالفة المذكورة فيه وان كانت ظاهرة في جواز ذلك وعدم جوازه عقلا فالقول بالجواز مرجوح او باطل - والصحيح بل الصواب ما قدمته - وهو ما ارضاه امام الحرمين من كون المعجزة يستحيل وقوعها على حسب دعوى كاذب - وتقريره تقدم - وهذا المذكور في الجواز - واما الوقوع فقد تقدم انه خلاف من جميع اهل الحق انه ما وقع ولا يقع * واما الوجه الثاني وهو الحكم بجوازه مع الجزم بانتفاء وقوعه والاجماع على امتناع جواز الوقوع فمعناه على هذا القول انه جائز في نفس الامر غير ممتنع لذاته لكنه امتنع وقوعه لئلا يلتبس النبي بالمتنبي - لان الشيء قد يجوز من وجه ويمتنع من وجه آخر - وذلك مثل المغفرة للكافر فانها جائزة عقلا ممتنعة الوقوع نقلا - بصريح الدليل السمعي النص القطعي * قلت فاذا تقرر هذا علم منه اتفاق اهل الحق على شيئين - احدهما امتناع المعجزة من الكاذب على وفق دعواه - والثاني جواز وقوع جنسها منه بغير دعوى - فان قيل

ينتقض عليك الاول بالدجال والثاني بالولي على الصحيح * قلت هذا الاعتراض في كل واحد منهما ليس بصحيح لخروج الاول عن دعوى النبوة - والثاني عن الكذب وعنها فان اكتفي المعترض بهذا الايجاز فهو كاف وان طلب ايضاحا أبيّنه ببيان شاف - اما الولي وظهور حسن المعجزة منه وهي الكرامة وان جاز مع دعوى الولاية على القول الصحيح فهو صادق في دعواه وكلامنا في الكاذب صريح - وايضا فانما القادح دعوى النبوة ولم يدعها الولي فارتفع خوف التباس النبي بالمتنبي واما الدجّال فلنا في المقال فيه مجال في نفي الاحتجاج به علينا واثبات الحجة به لنا اما الاول فاعتراض المعترض على معاني المذكور بالدجال غير وارد لانه لا يدعي النبوة - بل الالهية التي لا تكون الا للاله الواحد المتقدس عن سمات الحدث والنقائص والامثال المتصف بالجلال والجمال - وجميع اوصاف الكمال المستحيلة في المحدث الناقص الحقير المعرض للفناء والزوال - فكيف بالمتصف بكل وصف ذميم الاعور الدجال - فاذا ادعي الالهيّة كذبه شهود نقصه وعورته وكتب احرف يقرأ في جبهته - فلا التباس ولا اشكال في دعوي الالهية بحال * وفي هذا المعني خطر في البال * شعر *

يكذب للدجال عند ادعائه * الالهية منه شواهد تذكر
نقائص احداث وكاف وفاورا * مسطرة في جبهته النجس آعور
تقدس مولانا عن النقص مطلقا * وجلت صفات كنهها ليس يخبر
له كل ذرات الوجود شواهد * على انه الباري الاله المصور

واما الثاني وهو اثبات الحجة لمذهبنا الظاهر بالحق على مذاهب من سياتي ذكره من الفرق فها انا اوضح ذلك بالاستدلال - بما ورد من امور الدجال مما اخبر به الصادق المصدوق المختار صلوات الله وسلامه عليه -

وتواترت به الاخبار - والاثار وشاع في جميع البوادي والامصار - واستفاض في سائر الجهات والاقطار - واشتهرت فيه الاحاديث الصحيحة - وحذرت منه الانبياء اممها على وجه النصيحة * قال ائمتنا رضي الله عنهم ما ورد في قصة الدجال - حجة لمذهب اهل الحق في وجوده - وانه شخص لعينه ابتلى الله به عباده واقدره على ما شاء من مقدوراته تعالى من احياء الميت الذي يقتله وظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الارض له - وامره السماء والارض ان تنبت فينبت وغير ذلك - فيقع بقدرة الله ومشيته - ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل وغيره ويبطل امره - ويقتله عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم [ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت] هذا مذهب اهل السنة في جميع الامصار والاعصار - المحدثين منهم والفقهاء والنظار - خلافا لمن انكره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة - وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في انه صحيح الوجود - ولكن الذي يفعله فخارف وخيالات لا حقائق لها - وزعمهم انه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لكونها ليست مستحيلة في الخلق - وانما يدعي الالهية - وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله - ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العورة التي في عينه - وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلاّ رعاع من الناس لشدة الحاجة والفاقة والخوف من اذاه لان فتنته عظيمة جدا يدهش العقول ويحير الالباب مع سرعة مروره - فلا يمكث بحيث يتامل الضعفاء حاله - ودلائل الحدوث فيه والنقص - فيصدقه منهم من يصدقه في هذه الحالة - واما الاقوياء الموفقون فلا يغترون به ولا بما معه ينخدعون لما فيه من الدلائل

لشاهدة بمحاله وما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول الذي يقتله ثم يحييه باقدار الله له الموافق تقديره ما ازددت فيك الا بصيرة * قلت هذا معنى ما قاله ونقله جماعة من ائمتنا وقد روى اماما المحدثين البخاري ومسلم رضي الله عنهما في صحيحهما احاديث كثيرة في الدجال عن خلائق من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو - وانس - وحذيفة - وابو هريرة - وابو سعيد الخدري - وابو مسعود الانصاري وابو بكرة - وعقبة بن عامر - والمغيرة بن شعبة - والنواس بن اسعان وعائشة وام شريك وفاطمة بنت قيس وغير هؤلاء الخمسة عشر المذكورين رضي الله عنهم اجمعين * ورواه كل من الامامين المذكورين - من طرف كثيرة فرواه مسلم من نيف واربعين طريقا * وها انا اذكر منها عشرة محذوفة الاسانيد - مختصرة مما رويناه في الصحيحين او في احدهما واشير الى نسبته مما جاء عن الدجال نعوذ بالله من فتنته * الحديث الاول عن ام المومنين عايشة رضي الله عنها - قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال وهذا لفظ البخاري * الحديث الثاني عن انس بن مالك رضي الله عنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من بني الا وقد انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور - وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه ك - ف - ر * قلت هذه رواية مسلم وفي رواية اخرى له مكتوب بين عينيه كافر ثم يهجاها ك - ف - ر يقرأه كل مسلم وفي رواية اخرى له يقرأه كل مومن كاتب وغير كاتب ورواية البخاري مكتوب بين عينيه كافر وفي روايتهما جميعا اعور العين اليمنى عنبة عند البخاري كانها وعند مسلم كان عينه عنبة طافية * الحديث الثالث عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا انه قال

ياتى الدجال وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة - فينزل بعض السباخ التي يلي المدينة - فيخرج اليه يومئذ رجل وهو خيار الناس أو من خيار الناس فيقول اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته هل يشكون في الامر فيه - فيقول لا فيقتله ثم يحييه فيقول والله ما كنت قبل أشد بصيرة مني اليوم فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه * قلت هذا لفظ البخاري وفي لفظ هو خير الناس او من خير الناس وسياتي بيان هذا الرجل من هو والتنبيه على شرح الفاظ في هذه الاحاديث بعد ان شاء الله تعالى * الحديث الرابع عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة يزحف ثلث زحفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق عن انس ايضا قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة ياتيها الدجال - فيجد الملئكة يحرسونها - فلا يقربها الدجال ولا الطاعون ان شاء الله * قلت هذه رواية البخاري في هذين الحديثين و رواية مسلم لهما في حديث واحد عن انس رضي الله عنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة وليس نقب من انقابها الا وعليه الملئكة يحرسهما - فينزل بالسبخة فيزحف المدينة ثلث زحفات يخرج اليه منها كل كافر ومنافق - وفي رواية أخرى له فيخرج اليه كل منافق ومنافقة * الحديث السادس عن انس ايضا رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة - اخرجه مسلم * الحديث السابع عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع

الشمس من مغربها وخروج الدابـة على الناس ضحا - وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا - اخرجه مسلم ايضا * الحديث الثامن عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنـه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم يخرج الـدجال فيتوجـه قبله رجل من المؤمنين فيتلقاه المسالـح مسالح الدجال يقولون له الى اين تعمد فيقول اعمد الى هذا الرجل الذي خرج فيقولون له او ما تؤمن بربنا فيقول ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم ان يقتلوا احدا دونه قال فينطلقون به الى الدجال فاذا راه المومن قال يا ايهاالناس هـذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيامر الدجال به فيشبح فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا قال فيقول او ما تومن بي قال فيقول انت المسيح الكذاب قال فيومر به فيئشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي قائما ثم قال يقول له اتؤمن بي فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول يا ايها الناس انه لا يفعل بعدي بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا فلا يستطيع اليه سبيلا - قال فياخذ بيـديه ورجليه فيقذف فيحسب الناس انه انما قذفه الى النار وانما القى في الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظـم الناس شهادة عند رب العالمين وفي رواية مسلم ايضا معه جنـة ونار فناره جنة وجنته نار وفي رواية ايضا نهران وفي رواية مآء ونار فلما ادركه احد فليات النهر الذي يراه نارآ * الحديث التاسع عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها عن النبي صلى اللـه عليـه وسلم انه حدثه تميمٌ الداري رضي الله عنه انه ركب في سفينة مـع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب منهم الموج شهراً في البحر ثم أرفؤا الى جزيرة في البحـر حيث مغـرب الشمس فجلسوا في اقـرب السفينة فدخلـوا

الجزيرة فلقيتهم دابة اهلب الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما انت قالت انا الجساسة قالوا وما الجساسة قالت ايها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها ان يكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه اعظم انسان ما رأيناه قط خلقا واشده وثاقا مجموعة يداه الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما انت قال قد قدرتم على خبري فاخبروني ما انتم قالوه نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة فصادفنا البحر حين اغلتم + وساق الحديث الى ان قال فقال اخبروني عن نخل بيسان قلنا عن اى شانها تستخبر قال اسالكم عن نخلها هل يثمر قلنا له نعم قال اما انه توشك ان لا تثمر قال فاخبروني عن بحيرة الطبرية قلنا عن اى شانها تستخبر قال هل فيها ماء قالوا هي كثيرة الماء قال اما ان ماءها يوشك ان يذهب قال اخبروني عن عين زغر قالوا عن اي شانها تستخبر قال هل في العين مآء وهل يزرع اهلها بماء العين قلنا له نعم هي كثيرة الماء واهلها يزرعون من مآئها قال فاخبروني عن نبي الاميين ما فعل قلنا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال اقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع فيهم فاخبرنا انه قد ظهر على من يليه من العرب واطاعوه قال لهم قد كان ذلك قلنا نعم قال اما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه واني مخبركم عني اني انا المسيح وانا اوشك ان يوذن لي في الخروج فاخرج فاسير في الارض فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما كلما اردت ان ادخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وان على كل نقب منها ملئكة يحرسونها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة وهذا بعض الحديث * الحديث

العاشر عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا عرف ذلك فينا فقال ماشانكم قلنا يا رسول الله ذكرت لنا الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم - فامرء حجيج لنفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط احدى عينيه طافية كاني اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلوة يوم قال لا اقدروه قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتي على القوم فيدعوهم فيومنون به ويستجيبون له فيامر السماء بمطر فيمطر والارض فينبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده خواصر وروى خواصرا ثم ياتي القوم - فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس في ايديهم شئ من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فيتبعه كنوزها كيعاسيب النخل ثم يدعوا رجلا ممتلا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفه على اجنحة ملكين - اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللولو فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله - الحديث اخرجه مسلم * قلت

وهذا شرح الفاظ في الاحاديث المذكورة مما بنه عليه العلماء فمن ذلك قولـه صلى الله عليه وسلم فعاث يمينا وعاث شمالا هو بالعين المهملة والثـاء المثلثة على وزن قـام يقال عـاث يعيث والعيث الفساد او اشـد الفساد والاسراع فيـه وقولـه صلى الله عليه وسلم فيتبعه كنـوزها كيعاسيب النخل هو زكورها جمع يعسوب وهوا مير هامتي طار تبعته وقوله صلى الله عليه وسلم فيقطعـه جزلتين رمية الغرض وهو بفتح الجيم على المشهور وقيل بكسرهـا اى قطعتين ومعني رميـة الغـرض ان يجعل بين الجزلتين مقـدرا رمية الغرض وقيل يصيبه اصابة رميـة الغرض فيقطعه وقوله صلى الله عليه وسلم بين مهـروذتين اى لابس ثـوبين مصبوغين بورس او زعفران * وقيل هما سقفان والسقة نصف الملاة وقولـه صلى الله عليه وسلم يتحدر منـه جمان كاللولوء هو بضم الجيم وتخفيف اللام وهي حبات من الفضة تصنع على هيئـة اللولو الكبار والمراد يحدر منه الماء على هيئـة اللولوء في صفائـه فسمي الماء جمانا لشبهه به في الصفاء والحسن وقوله صلى الله عليه وسلم فلا يحل لكافر يجد ريحه الامات اى لا يمكن ولا يقع * قلت ومن هذا قول كعب بن زهير [اذا يُساوِر قِرْنا لا يحل له ان يترك القرن الا وهو مخذول] وقيل معناه حق واجب - وقوله صلى الله عليه وسلم يـدركه بباب لُدّ هو بضـم اللام وتشديد الدال المهملة قرية قـريب بيت المقـدس وقوله صلى الله عليه وسلم محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة هو بكسر النون

[1] ....

ما وضع لافادة معني وهذا لايتأتي على مذهب أصحابك لان الكـلام عندهـم ما قام بذات المتكلـم وكانت الحـروف حـكايات عنه وكـلام الله تعالى عندكم ليس بحـرف ولا صوت الى آخـره * فها انا اوضح لك

[1] Two folios are here missing from the original MS.

معنى الكلام اولا ثم أبيّن بطلان قولك وما ادعيت فيه من بطلان مذاهب اهل الحق فاقول الكلام يطلق حقيقة على كلام النفس الذي يدل عليه اللسان ويشهد لذلك قول اهل الفصاحة والبيان من ذلك قول الاخطل المستفيض في سائر البلدان ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا وقول كثير من اهل الفصاحة في نفسي كلام - اريد ان اذكره لك ونحو هذه العبارة ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث البيعة هيات كلاما وروى زورت في نفسي كلاما وكذلك اذا كتب انسان جوابا فارسل به الى آخر فانه اذا رد جوابه يقول فهمت معنى كلامك فبيّنه لي وكذلك يقول سمعت علما والمراد الفاظ دالة على العلم وكل هذا معروف ويطلق كلام المخلوق ايضا على اللفظ المذكور ولا يطلق كلام الخالق سبحانه على ذلك لان كلامه ليس بحرف ولا صوت يقومان بذاته خلافا للحشوية والكرامية ولا بغيره خلافا للمعتزلة وغير هم من الفرق بل هو القائم بالنفس المعبر عنه بالعبارات المختلفة الذي لا يتغير باختلاف الالسنة لاستحالة ذلك في حقه تعالى كما سياتي * قلت فكل طائفة من الطوائف المذكورة وافقتنا من وجه وخالفت من وجه فالحشوية والكرامية وافقونا في قدم القرآن وخالفونا في الحروف فجعلوا القرآن حروفا قديمة والمعتزلة ومن تابعهم وافقونا في حدوث الحروف وخالفونا في قدم القرآن فجعلوه مخلوقا وحروفا حادثة * وها أنا اذكر شيئًا من اقوال ائمتنا في بيان مذهب اهل الحق ومذهب من خالفهم من الفرق واقامة الادلة على صحة مذهبنا وبطلان مذهبهم ثم أعقب ذلك باستدلالات رتبتها وتفريعات ومباحث وضعتها * قال نخبة الانظار وقدوة النظار استاذ الفقهاء والمتكلمين النجيب ابن النجيب امام الحرمين رضي الله عنه اعلموا وفيتم البدع ان مذهب

اهل الحق ان الباري تعالى متكلم بكلام ازلي لا مفتتح لوجوده قال وذهبت المعتزلة والخوارج والزيدية والامامية ومن عداهم من اهل الاهواء الى ان كلام الله تعالى عن قول الزائغين حادث مفتتح وصار صائرون من هولاء الى الامتناع من تسميته مخلوقا مع القطع بحدوثه لما في لفظ المخلوق من ايهام الخلق اذ الكلام المختلق هو الذي يبديه المتكلم تخرصا من غير اصل * قال وأطلق معظم المعتزلة لفظ المخلــوق على كلام الله تعالى * وذهبت الكرامية الى ان الكــلام قديم والقول حادث غير محدث والقرآن قول الله تعالى وليس كلام الله وكلام الله عندهم هو القدرة على الكلام وقوله حادث قائم بذاته تعالى عن قول المبطليــن وهو غير قائل بالقول القائم بذاته بل قائل بالقابلية و مفتتح وجوده قائم بالذات فهو حادث بالقدرة غير محدث وكل مفتتح غير مباين للذات فهو محــدث بقوله لكن لا بالقـــدرة في هذيان طويل * قال وذهبت الحشــوية المنتمــون الى الظــاهر الى ان كلام الله تعالى قديم ازلي ثم زعموا انه حروف واصوات وقطعوا بان المسموع من أصوات القراء ونغماتهم عين كلام الله تعالى * قال واطلق الرعاع منهــم القول بان المسمــوع صوت الله تعالى غير قولهم وهذا قياس جهالتهــم * ثم قالوا اذا كتب كلام الله تعــالى بجسم من الاجسام وانتظمــت تلك الاجسام رسوما ورقوما وكلمــا فهي بأعيانها كلام الله القــديم وقد كان اذا كان جسما حادثا ثم انقلب قديمــا * قلت قوله بجسم من الاجسام اي باي مداد كان لان الجسم هو المركــب من جواهر وسياتي ان شاء الله تعالى بيان الجسم والجوهر والعرض التي يرجع اليها في الخلق جميع المخلوقات قال ثم قضوا بان المرئي من الاسطر الكلام القديم الذي هو حروف واصوات على اصلهم وان الاصوات على تقطعها كانت ثابتة في الازل قائمة بذات الله تعالى عن قولهم * قال وقواعد مذهبهم مبنيــة على جحــد الضرورات

فانهم اثبتوا الحروف الكلام القديم على زعمهم ابتداء وانتهاء و جعلوا منها سابقا ومسبوقا فان الحرف الثاني من كل كلمة مسبوق بالمتقدم عليه وكل مسبوق مبتدأ الوجود وبالاضطرار نعلم كون المفتتح وجوده حادثاً ولا خفاء بمراغمتهم لبديه العقول في حكمهم بانقلاب الحادث قديماً * قال ومما يقرر افتضاحهم بمناكرة الخلائق ان الحروف لو مثلت في بعض الجواهر فهي عين كلام الله عندهم والحديد الذي صنع منه الحروف خارج عن كونه حديداً و نحن ندرك الحديد متالفا جسما فكيف تسوغ محاجة قوم هذه غايتهم * ثم جهلتهم يصممون على ان اسم الله اذا كتب فالرقم المرئي في الكتابة هو الله بعينه وهو المعبود الذي يصمد اليه ثم اصلهم ان الكلام القديم يحل الاجسام ولا يفارق الذات * قال وهذا تلاعب بالدين ومضاهات لمذهب النصارى في مصيرهم الى قيام الكلمة بالمسيح متدرعا بالناسوت ولولا اغترار كثير من العوام في الاغتراء الى هؤلاء لاقتضى الحال الاضراب عن التعرض لهذه العورات والفضائح المتباديه * وقال الامام ناصر الدين البيضاوي رضي الله عنه تواتر اجماع الانبياء عليهم الصلوة والسلام واتفاقهم على انه سبحانه متكلم و ثبوت ثبوتهم خير متوقف على كلامه فيجب الاقرار به وكلامه ليس بحرف ولا صوت يقومان بذاته خلافا الحنابلة والكرامية او بغيره خلافا للمعتزلة بل هو المعني القائم بالنفس المعبر عنه بالعبارات المختلفة المتغيرة * وقال الامام القاضي ابوبكر الباقلاني رضي الله في كتاب التهذيب وهو اربعون مجلدا ومسئلة القران ثلث مجلدات وتكلم فيها على القائلين بقدم الحروف في ثلثة اسطر قال من زعم ان السين من بسم الله بعد الباء والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا اول لها فقد خرج عن المعقول الى جهل الضرورة فان من اعترف بوقوع شيء بعد شيء فقد اعترف باوليته فان ادعى انه لا اول لما له اول

سقطت مكالمته واما من زعم ان الرب سبحانه تكلم بالحروف دفعة واحدة من غير ترتيب ولا تعاقب فيها فيقال له الحروف اصوات مختلفة ولا شك في اختلافها وقد اعترف خصومنا باختلافها وزعموا ان لله صوتا من الكلام متغايرة مختلفة على اختلاف اللغات والمقاصد في العبارات وكل صوتين مختلفين متضادان يستحيل اجتماعهما في المحل الواحد وقتا واحدا كما يستحيل اجتماع مختلفين من الالوان * وقال الشيخ الامام ابو اسحق الشيرازي رضي الله عنه في كتاب الاشارة المتشبهة تقولون ان كلام الله حروف واصوات ثم يوافقونا في التسمية ويقولون بقدم القرآن والمعول على الاعتقاد بالقلب لا على التسمية باللسان ويحملهم على ذلك الجهل في الفرق بين القديم والمحدث * ثم يقوؤون جهلهم بالبهت على الخطاء قال - وقال بعض الادباء اجهل الناس من اذا لزمه الحق ثقل عليه واذا سنح له الباطل اسرع اليه قال والاولى لمن تكلم من اهل الحق معهم في ذلك ان يطالبهم اولا بالفرق بين القديم والمحدث فمن كان جاهلا بذلك فالسكوت عنه اولى من كلامه * قال واما نحن فلا نوافق بان كلام الله احرف واصوات لان الاحرف والاصوات نعتنا وصفتنا ومنسوبة الينا بقرأتها كلام الله افهمنا بها كلامه القديم الازلي كما أفهم موسى بالعبرانية وعيسى بالسريانية وداؤد باليونانية صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين * ولا يقال ان كلام الله لغات مختلفة لان اللغات صفة المخلوقين بل المفهوم من هذه اللغات كلام الله القديم الازلي كما ان العرب يسمونه تعالى (الله) والعجم (خداى) ولا يقال ان هذا الاختلاف عائد الى افهامنا ولغاتنا فمن قال بقدم هذه اللغات فبجهله وحمقه لان المتكلم في حال ما تكلم بالعربية العبرانية معدومة وكذلك السريانية واليونانية وما يوجد ويعدم لايكون قديما * قال فان قيل اذا قلتم ان كلامه ليس بحرف ولا صوت وليس يدرك اسماعنا الا ما هذه

صفته فموسى عليه السلام كيف سمع و كيف يستمع يقال لهم سماعنا لكلامه تعالى كعلمنا به فكما انا لانعلم موجودا الا جسما او جوهرا او عرضا ثم ان الله عز و جل معلوم لنا بخلاف ذلك فكذلك سماعنا لكلامه بخلاف سماعنا لكلام المخلوقين ثم ذكر ان هذا القياس مما يحتج به على القدرية ايضا و ذكر ان المشبهة ايضا تقيس معهم سماعنا لكلامه تعالى على رؤيتنا له لانهم موافقونا في الرؤية بخلاف القدرية فيقال لهم كما ان الله عزوجل يرى لنا غدا وليس بذي جسم ولا محدود خلاف جميع المرئيات بخلقه تعالى لنا بصرا نبصره به وكذلك يخلق تعالى لنا سمعا نسمع به كلامه على ما هو عليه بخلاف المسموعات التي ندركها اليوم ثم استدل على خلق السمع والبصر المذكورين بكون الروح الامين جبريل يراه النبي عليهما افضل الصلوة والتسليم وبسمع كلامه حين ينزل عليه والصحابة رضي الله عنهم حاضرون ولا يرونه ولا كلامه يسمعون وكذلك المحضور يرى ملك الموت عند قبض روحه دون الحاضرين ممن حوله من اهله وكذلك الجن مع اختلاف حالهم يروننا ولا نراهم قال فان قيل اذا قلتم ان هذه الاحرف محدثة وليست القرآن فالقرآن اين هو يقال لهم واذا قلتم ان هذه الاحرف القرآن فالقديم اين هو ويقال لهم ايضا هذه الاحرف التي ينسبون قدمها فى القرآن هل هي احرف (ا ب ت ث) ام غيرها فهذا دفع للضرورة وان قيل هي يقال لو كانت هذه الاحرف قديمة وهي القرآن لكان المصلي اذا قالها فى الصلوة لايبطل صلاته فان الاتيان بالقرآن في الصلوة لا يبطلها ولكانت تجزيه عن قرأة غيرها يعني اذا اتى بحروف الفاتحة ولكان لها حرمة بحيث لا يجوز للجنب الاتيان بها فلما لم يصح ذلك دل على انها مخلوقة واذا رتب بعضها على بعض و آلف حتى فهم منه المكتوب فان كان القرآن صار لها حرمة وان كان غيره لم يكن لها حرمة فالذي يتجدد

وهو الحرمة لا القدم وكما ان الذكر غير المذكور والعلم غير المعلوم و التلاوة غير المتلو والكتابة غير المكتوب * ومن الدليل على ذلك قوله عز و جل [النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل] فالنبي مكتوب على الحقيقة في التوراة والانجيل غير حال فيهما بل هو مدفون في المدينة ولو كانت الكتابة هي المكتوب لكان صلى الله عليه وسلم موجودا في التوراة والانجيل حالا فيهما فلما لم يكن كذلك دل على ان الذي في التوراة والانجيل هي الاحرف المفهوم بها النبي صلى الله عليه وسلم فهي غيره وهو غيرها اذ حقيقة الغيرين ما يجوز لاحدهما ان يفارق الآخر وكما ان الرب سبحانه مكتوب في مصاحفنا ومعبود في مساجدنا ومعلوم في قلوبنا ومذكور بالسنتنا على الحقيقة غير حال تعالى في شيء من ذلك فكذلك لا يجوز على صفاته مالا يجوز على ذاته تبارك وتعالى * قال ثم يقال لهم اذا قرأ القاري هل يستمع منه القرآن كما يسمع من الرب تعالى ام لا فان قيل يسمع من الرب تعالى بخلاف ما يسمع من القاري والاحرف والاصوات التي ثبتت قدمها في حقه ليست هذه الاصوات المسموعة منا اليوم والاحرف المشاهدة لنا فقد رجعوا الى مذهب اهل الحق وصار الخلاف معهم ان التسمية موقوفة على الشرع فان ورد الشرع بان كلام الله صوت وحرف سميناه بذلك والا فلا * وان قيل ليس بينهما فرق وذا ذاك وذاك ذا فهذا هو التشبيه بعينه ولا شبه لكلام الله عز وجل ولا مثل له كما انه عز وجل لا مثل له ولا شبه * قلت فهذا مختصر ما بسطه من الكلام في القرآن في نحو عشر ورقات * وتكلم امام الحرمين في حقيقة الكلام وحده ومعناه ثم قال اعلم ان المعتزلة ومخالفي اهل الحق خبطوا في حد الكلام ونحن نومي الى جمل من الفاظهم ويعقبها

بالنص فمما ذكره قدماؤهم ان الكلام حروف منتظمة واصوات منقطعة دالة على اغراض صحيحة قال وهذا باطل اذ الحد ما يحوي احاد المحدود والحرف الواحد قد يكون كلاما مفيدا فانك اذا امرت من وقى ووشى قلت ق و ش فهذا كلام وليس بحروف ولا اصوات ثم لا معني للتقييد بالافادة فان من تلفظ بكلمات لا يفيد يقال تكلم ولم يفد والحروف نفس الاصوات فلا معنى لتكريرها والحدود يتوقا فيها التكرير الذي لا يفيد لانه يصير التقدير الكلام اصوات واصوات فاذا حذفوا الحرف قبل الاصوات المنقطعة لا يفيد لانفسها مالم يصطلح على نصبها ادلّة فان ارتضيتم ذلك او اكتفيتم به لزمكم من مسافة تسمية بقرآت على اوتار مصطلح عليها كلاما * قال وهذا القدر مغن في تتبع حدهم وذكر اقوال اصحابنا في حد الكلام * ثم قال والاولى ان نقول الكلام هو القول القائم بالنفس الذي يدل عليه العبارات او ما يصطلح عليه من الاشارات ثم قال وقد انكرت المعتزلة الكلام القائم بالنفس وزعموا ان الكلام هو الاصوات المنقطعة والحروف المنتظمة * قال وذهب اهل الحق الى اثبات كلام القائم بالنفس والدليل على ذلك ان العاقل اذا امر عبده بامر وجد من نفسه اقتضاء للطاعة وجدانا ضروريا ثم انه يدل على مايجده ببعض العبارات او بضروب من الاشارات او برقوم من الكتابات وان قول القائل افعل يتضمن ايجابا ويقتضي اباحة ويتضمن استحبابا ويرد مورد النهي فاذا دل على ايجاب فيستحيل ان يكون هو الايجاب بنفسه فان صورة اللفظ في ارادة الايجاب كصورته في ارادة الاستحباب اذ هو أصوات منقطعة ضربا من التقطع والاصوات لاتختلف في نفسها في جهات الاحتمالات على قطع فلزم المصير الى ان الايجاب معنى في النفس يتميز بخاص وصفه عن الاستحباب الهاجس في النفس ثم يعثور عليه الدلالات وغيرها من الامارات واستدل على ذلك ايضا بما يطول ذكره * ثم

قال فهـــذا القدر كاف في مدارك العقـــل وان رددنا الى اطلاق اللسان عرفنا قطعا ان العرب يطلـــق كلام النفس والقول الدائر في الخلـــد فيقول كان في نفسي كلام وزورت في نفسي قولا * قال واشتهـــار ذلك يغني عن الاشتهاد عليه بنثر ناثر وشعر شاعر ثم استشهد بقول الاخطل ان الكـلام لفي الفواد البيت المتقدم * ثم قال وان قال المخالف الالفاظ المفيدة تسميهـا العقلاء كلاما على الاطلاق يقول سمعت كلاما والمراد ما ادركوا من العبارات قلنا الطريقة المرضيـة عندنا ان العبارات تسمى كلاما على الحقيقة والكلام القائم بالنفس كلاما ومن اصحابنا من قال الكلام الحقيقي هو الكلام القائم بالنفس والعبارات تسمى كلاما تجوزا كما تسمى علوما اذ قد يقول القـائل سمعت علما وادركت علوما وانما يريد ادراك العبارات الدالة على العلـوم ورب مجاز اشتهر اشتهار الحقائق * قال والمتكلم عند اهل الحق من قام به الكلام وذهبت المعتـزلة وكل قائل بان كلام الله تعالى حادث الى ان يكون المتكلـم متكلما من صفات الافعال والمتكلـم عند المعتزلة من فعل الكلام ثم ليس للفاعل من فعلـه حكم يرجع الى ذاته اذ المعنى بكون الفاعل فاعلا وقوع الفعل منه وعلى موجب ذلك لم يشترطوا قيام الكـلام بالمتكلم كما لا يجب قيام الفعل بالفاعل - قال ومن اهمّ ما يعتنا به في هذا ان يقال لو كان المتكلم من فعل الكلام لكان لا يعلم المتكلـم متكلما من لم يعلمه فاعلا للكلام وليس الامر كذلك فان من سمع كلاما صادرا من متكلم استيقن كونه متكلما من غير ان يخطر بباله كونه فاعلا للكلام او مضطرا اليه فاذا اعتقد كونه متكلما مع الاضراب عن هذه الجهات يتقـرر بذلك ان يكون المتكلم متكلما ليس معناه كونه فاعلا للكـلام * والذي يوضح ذلك انا نعتقـد ان لا فاعـل على الحقيقة الا الله تعالى ويصمم على ذلك الاعتقاد ولا يـزعنـا ذلك عن العلم الضروري بكون المتكلم متكلما * قال ومما يقوي التمسك بـه ان

يقول الكلام عندكم اصوات منقطعة وحروف منتظمة ضربا من الانتظام فاذا
قال القائل منا قد قمت اليوم الى زيد فهذا الصادر منه كلام وهو المتكلم به
فلو خلق الله تعالى هذه الاصوات على انتظامها في العبد ضرورية فلا يخلوا
المخالف وقد فرضنا الكلام في ذلك اما ان يقضي بكون محل الكلام
متكلما واما ان لا يقضى به فان زعم ان المحل هو المتكلم فقد نقض المصير
الى ان المتكلم • من فعل الكلام فان الكلام من فعل الله تعالى في الضرورة
المفروضة وان زعم ان محل الكلام او الجملة التي محل الكلام بها ليست
بمتكلمة فقد عاند وجاحد ما يداني البداية فانّا نسمع من قام الكلام به
يقول قد قمت اليوم الى زيد كما كنا نسمعه يقول ذلك اذ هو مختار
ولو بنينا غرضنا من هذا على اصلنا في استيثار الرب سبحانه بالخلق
واستحالة كون غيره موجدا يتضح على هذا الاصل بطلان المصير الى ان
الباري سبحانه انما كان متكلما من حيث كان فاعلا للكلام اذ هو فاعل كلاما
للمتحدثين وليس هو متكلما به * ويتضح الكلام على النجارية فانهم يوافقون
اهل الحق في ان الله تعالى خالق اعمال العباد فلا يستمر لهم وهذا
معتقدهم * قال ثم الكلام على مذهب المخالفين اصوات فلئن كان المتكلم
من فعل الكلام فليكن الصوت من فعل الصوت ويلزم من ذلك كون الباري
تعالى عن قول الزائغين مصوتا من حيث كان فاعلا للاصوات * فاذا بطل
بهذه القواطع مذهب من يقول المتكلم من فعل الكلام فلا بد من اختصاص
الكلام بالمتكلم على وجه من الوجوه فاذا انتقض وجه الفعل فلا يبقى على
السير والتقسيم بعد بطلان ما ذكرناه الا ما ارتضيناه من ان المتكلم من قام
به الكلام * وقال ايضا في الاستدلال على بطلان قولهم ان المتكلم من فعل
الكلام خصوصا من المعتزلة ومن انتحا نحوهم مصدودون عن إثبات المعجزة
والتوصل الى العلم بوجوهها الدالة على صدق التحدي ثم ذكر وجه

ذلك وقد اشرت الى شيء منه في المعجزات * قال ثم نقول لهم لايستقيم لكم ما استمر لنا عند محاولة اثبات ما رمناه وذكر ما قدمته في تصديق الملك مدعي الرسالة * فقال من تصدى للملك وتصدر لمنصبه في موعد معلوم واحتف به المختصون بخدمته من حاشيته ثم ادعى من في جملة الحاضرين انه رسول الملك الى من شهد وغاب وذلك بمرأى من الملك ومستمع واستشهد في هذه الحالة على اثبات الرسالة بامر تصدر من الملك خارقا للمألوف من عادته فاجابه الملك الى مناه ووافق دعواه فيدل على تصديق الملك اياه يقول في نفسه والفعل الظاهر مترجم عنه فازلة منزلة العبارات المصطلح عليها في إفهام المعاني فهذا سبيلنا * ولا يستتب ذلك للمعتزلة يعني لايتأتي لهم فان المعني بكون الباري متكلما عندهم انه فاعل للكلام وليس في ظهور الايات ما يدل على ان الرب خلق أصواتا منقطعة في بعض الاجسام وهي الكلام وانما ترتبط المعجزات بتصديق مظهرها اذا كان التصديق صفة وكان متصفا به على التحقيق وليس يرجع من الفعل صفة حقيقة الى الفاعل فلا يكون المعجزات دالة على ثبوت الكلام * قال والذي يوضح غرضنا في ذلك انا بينا بالبراهين بان المصدق لايكون مصدقا بفعله اذا التصديق من اقسام الكلام وقد ذكرنا عموم بطلان مذهب من يقول المتكلم من فعل الكلام وذلك يحتوي على التصديق فانه من اقسام الكلام * فاذا بطل كون الباري تعالى مصدقا للرسل بالقول على مذهب المعتزلة ووجه دلالة المعجزة على صدق الانبياء ونزولها منزلة التصديق بالقول فعند ذلك يتضح بطلان وجه دلالة المعجزات على فاسد عقائدهم ومتناقض قواعدهم وفي بطلان المعجزات انحسام السبيل المفضية بسالكها الى اثبات القول * قلت وهذا الكلام يعرفك ايها السائل من الذين انسد عليهم العلم بالنبوات كما زعمت * قال ائمتنا

ومنهم امام الحرمين المذكور المحقق المشكور البارع المشهور وهذا لفظه قال وكلام الله تعالى مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور وليس حالا في مصحف ولا قائما بقلب * والكتابة قد يعبر بها عن حركات الكاتب وقد يعبر بها عن الاحرف المرسومة والاسطر المرقومة وكلها حوادث ومدلول الخطوط والمفهوم منها الكلام القديم وهو بمثابة الاطلاق بأن يقال مكتوب في المصاحف وليس المعنى بذلك اتصاله بالاجسام وقيامه بالاجرام ولم يصر أحد من المسلمين المنتمين الى التحقيق الى قيام الكلام بمحل الاسطر الا الجبائي فيما حكيناه من هذيانه * ويؤثر عن النجار ان الرقوم التي هي اجسام كلام الله تعالى والكلام اصوات عند القرأة واجسام عند الكتابة قال وكل ذلك خبط وتخليط في غير الحق وتفريط في درك الصدق * قلت وهذان المذكوران من شيوخ المعتزلة والذي حكاه عن الجبائي واشار اليه بقوله (حكيناه من هذيانه) هو ما ذكر عنه في مواضع آخر حيث قال فنقول مذهب جماهيركم ان كلام الله اذ خلقه كان اصواتا ثم انصرمت وانقضت فالمتلو المحفوظ المكتوب ليس بكلام الله قال وهذا مذهب من تحديق من متاخريهم فلما استشعر الجبائي ذلك وتيقن انه يلتزم لو قال بهذا المذهب خرق اجماع الامة ابدع مذهبا خرق فيه حجاب الهيبة وركب جحد الضرورات وقال كلام الله تعالى يوجد مع قرأة كل قارئ مع كل حرف حرف سواء كان مكتوبا او مقروءا ثم الكلام عنده حروف تقارب الاصوات المنقطعة على مخارج الحروف وليست هي باصوات وزعم انها توجد عند الكتابة فاذا اسبقت الحروف المنظومة المرسومة المرقومة وجدت حروف قائمة بالمصحف ليست الاشكال البادية والاسطر الظاهرة ثم زعم ان الحروف تسمع عند القرأة وان لم تكن اصواتا ولا تبقى عند ثبوت الاسطر انتهى * وقال الشيخ ابو اسحاق الشيرازي لو كان القرآن مخلوقا

لقال تعالى الرحمن خلق القران وخلق الانسان علمه البيان فلمـا لم يقل ذلك دل على ان الانسان مخلـوق والقرآن غير مخلوق * قال ويدلّ على ذلك ايضا قوله عـز وجل [الا له الخلق والامـر] بالواو والامر كلام ولو كان مخلوقا لقال تعالى الخلق والخلق ويكون مكررا فلمـا فصل بينهما دل على ان الخلق مخلوق والامر كلام قديم ازلي قال الله عـز وجل [انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون] فلـوكان كن مخلوقا لافتقر الى قوله قبله وكذلك ما قبلـه ويودّي ذلك الى التسلسل وعـدم التناهي ويودّي ذلك الى عـدم المخلوقات ولان الـرب سبحانه لا يخلق الخلق بالخلق وانما يخلقه بصفته القديمة انتهى* قلت ومعنا قولنـا كلام الله تعالى مقرؤ بالسنتنا غيـر حالّ فيها هو كقولنا ان الله تعالى مـذكور بالسنتنا غير حالّ فيها اذ الصفة القديمـة لا تقبـل الحدوث ولا تنفصل عن الموصوف * واما قولهم كيف يكون كلامه تعالى قديما وهو مشتمل على الامر والنهي ولا مامور في القدم ولا منهي ولا سامع ولا واعي نقوله تعالى [اخلع نعليك] وتقدير الاتصاف به قبل خلق موسى عليه الصلوة والسلام هجر وخلف من الكلام فقد اجـاب ائمتنا على ذلك المستبعد فقالـوا لا يبعد قيـام الطلب في النفس ممن سيوجد * قال الامام علم العلماء الاعلام ناصرالدين وحجة الاسلام صاحب المقام العالي ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وكما عقل قيام طلب العلم واراد به بذات الوالد قبل ان يخلق ولـده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما امـا في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيـه ودوام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دلّ عليـه قوله تعالى [اخلع نعليك] بذات الله ويصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده اذا خلقت له معرفة الطلب وسمع بذلك الكلام القـديم انتهى * قلت وها انا اشرع فيما وعدت به من الادلة

التي رتبتها والتفريعات والمباحث التي وضعتها * فاقول وبالله التوفيق ومن الادلّة على صحة مذهبنا ان الكلام صفة المتكلم وصفات الله تعالى قديمة لانها لو كانت حادثة لكان القديم تعالى محلا للحوادث ومحل الحوادث حادث فيكون القديم حادثا هذا خلف فلزم ان يكون كلامه قديما قائما بذاته وهو مع ذلك مكتوب في المصاحف مقرو بالالسنة محفوظ في القلوب من غير حلول ذات الكلام في شيء منها اذ لو حلّ ذات المكتوب في الكتاب لحلّ ذات النار بكتب اسمها في الورق واحترق ومن الادلة ايضا على بطلان قول الحشوية والكرّامية في زعمهم ان الحروف والاصوات قديمة وجوه الاول ان القديم عبارة عن ما ليس قبله شيء والحروف تتاخر وتتقدم وتوجد وتعدم اذ السين من بسم الله مسبوقة بالباء وحروف كل كلمة مسبوقة بما قبلها وكل مسبوق حادث وكذلك يعدم بعضها بوصله وقلبه وادغامه * الثاني ان الحروف تستدعي مخارج والمخارج تستدعي جسما والجسم يستدعي تركيبا والتركيب يستدعي مركبا والله متعال عن ذلك كله * الثالث ان اصوات القرّاء مخلوقة مثلهم ومختلفة ومتفاوتة في الحسن والتحقيق والصوت الغليظ والرقيق- والقديم لا يقبل شيئا من ذلك اعني لا يتغير الصفة القديمة لان التغير من سمات الحدوث والاصوات خارجة من مخارج البحث فمن زعم ان نحة صوت القاري المخلوقة في الصوت المخلوق المسموع او المداد الذي هو من العقاقير المخلوقة مصنوع عين كلام الله المسموع منه والمرئي في كتابه فكفّ لسانك عن خطابه ونزّه عقلك عن جوابه * الرابع كما انه تعالى ليس كمثله شيء ليس ككلامه كلام * الخامس كما انه تعالى ليس بجسم ولا عرض فكلامه ليس بحرف ولا صوت * السادس قال امام الحرمين رضي الله عنه القرأة عند اهل الحق اصوات القرّاء وتعلمهم وشيء من السنتهم التي يومون بها ويزجرون عنها في وقت

يثابون ويعاقبون عليها باجماع المسلمين ولا يتعلق الثواب والعقاب الا بما هو افعال العباد ويستحيل ان يناط التكليف والتعنيف والترغيب والترهيب بصفة ازلية خارجة عن الممكنات وقبيل المقدورات انتهى * وقال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه ان كان المسموع المشترك يعني اصوات القراء كلام الله القديم القائم بذاته فايّ فضل لموسى في اختصاصه بكونه كليما على تلك الصفة انتهى * قلت ومن الادلة ايضا على بطلان مذهب المعتزلة ومن وافقهم من الفرق في جرأتهم على الله تعالى وجعلهم كلامه مخلوقا من جملة ما خلق غير قائم بذاته بل يخلقه في جسم من مخلوقاته وجوه الاول ان اسم الفاعل لا يسبق لشيء والفعل قائم بغيره للاستقراء كالضارب والراكب والعالم والنائم وغيرها فكما لا يسمى زيد ضاربا وراكبا والضرب والركوب صادران من عمرو دونه لا يسمى متكلما من صدر الكلام من غيره * الثاني ان الكلام بالنسبة الى المتكلم اما نفسي او لفظي وغيرهما ليس بكلامه اتفاقا والمخلوق في جسم غيرهما بالنسبة الى الله تعالى فليس بكلامه * الثالث ان الكلام صفة كمال في ذات المتكلم وعدمه نقص فيها والنقص على الله محال فعدم الكلام في ذات الله محال * الرابع ان كل من لم يتصف بصفة لها نقيض اتصف بنقيضها لاستحالة اجتماع النقيضين وارتفاعهما ونقيض الاقتدار على الكلام البكم واطلاقه على الله تعالى باطل ومحال بل كفر وضلال - الخامس قوله عز وجل [وكلم الله موسى تكليما] فاكّد الفعل بالمصدر وتاكيد الفعل بالمصدر دليل على تحقيق الفعل وقيامه بالمسند اليه وصدوره منه لا من غيره واشعار بالحقيقة ورفع لايهام المجاز كما يقال رأيت زيداً عيانا وكلمته مشافهةً * السادس انه لو لم يسمع موسى عليه السلام الا بواسطة الشجرة لم تكن له مزية بالتكليم ولم يسم كليما اذ سائر المرسلين عليهم السلام سمعوا ذلك بالوسائط وسلمت عليهم

الاشجار والاحجار بخلق الله فيها الكلام * السابع قوله تعالى [قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - ان الذين حقت عليهم كلمات ربك - ولا يكلمهم الله يوم القيامة - لقد حق القول على اكثرهم - ولكن حق القول مني قال فالحق والحق اقول - يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم - ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين] ونظائر ذلك مما يطول ذكره ويشق حصره من الايات الكريمات وكذلك من الاحاديث الصحيحات كقوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات الله التامات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب الحديث يقول الله عز وجل وجبت محبتي للمتحابين في الحديث اذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل وفي رواية مسلم دعا جبريل عليه السلام فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض ثم ذكر كلاما كذلك في البغض وقوله صلى الله عليه وسلم ويسألهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي في حديث تعاقب ملئكة الليل وملئكة النهار وكذلك يقول الله حمدني ربي الحديث ونظائر ذلك وهي نحو مائة حديث وقد افردها بعض العلماء بتصنيف وذكر بعضهم ان عدد الايات المصرح فيها بالقول وآيات الامر بالاحكام والتوحيد والتفكر والاعتبار وآيات النهي وآيات الاخبار بتعداد النعم وقصص الاولين المسندة صريحا الى الله تعالى اكثر من الفين او ثلثة آلاف اية وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم الحديث * قال ائمتنا فيه دلالة ظاهرة على انه اذا لم يسمع المذكورين كلامه عقوبة لهم اسمعه اهل رحمته ان شاء كرامة لهم وقد سمع كلامه اهل العقوبة بما يزيدهم ندامة وحسرة كما قال الله تعالى [الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون]

الى قوله [اخسئوا فيها ولا تكلمون] * الثامن ما روى في المستدرك على الصحيحين عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لا ترجعون الى الله تعالى بشيء افضل مما خـــرج منـــه يعني القرآن قال الحافظ ابو عبد الله الحاكم صحيح ورواه البيهقي من حـديث الامام احمد ابن حنبل وقال معنى خرج منه اي وجـد منه بان تكلم به وانزله على نبيه صلى الله عليه وسلم وافهمـه عباده وليس ذلك بخـروج كلامنا منا فانه تعالى صمد تعالى عن اشباه المخلوقين * التاسع قوله صلى الله عليـــه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان وقوله صلى الله عليـــه وسلم لجابر رضي الله عنــه ان الله كلم اباك من غيـــر حجاب الحديث الصحيح ونظائر ذلك من الاحاديث الصحيحة * العاشـــر قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة حكايـة عن ابراهيـــم الخليل عليه السلام لست هناكم ولكن ايتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليما مع قوله تعالى [انى اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي] ولو سمع الكلام من الشجرة لما كان مصطفا بالتكليم ولكان سماع كلام الله من الملائكة افضل * الحادي عشر ماروي عن علي رضي الله عنه مسنداً انه لما حكم الحكمين قالت له الخـوارج حكمت رجلين فقال ما حكمت مخلوقا وانما حكمت القران وروي الامام البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى [قرآنا عربيا غيـر ذي عوج] قال غيـــر مخلوق * الثاني عشر اجمـاع المسلمين قبل ظهور المبتدعين على ان موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من الله عز وجل وعلا بغيـر واسطة كما دل عليه الكتـاب والسنة * الثالث عشر مارواه الربيـع قال لما خرج الشافعي الى مصر وانا معـــه كتب كتابا وقال يا ربيع خذ كتابي هذا وامض به الى عبـد الله احمد بن حنبل وايتني بالجواب قال

الربيع فدخلت بغداد ومعي الكتاب فلقيت احمد بن حنبل في صلاة الصبح فصليت معه الفجر فلما انفتل من المحراب سلمت الكتاب اليه وقلت هذا كتاب اخيك الشافعي من مصر فقال احمد نظرت فيه فقلت لا فكسّر الختم وقرأ الكتاب فتغرغرت عيناه بالدموع فقلت له ايش فيه فقال انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له اكتب الى عبد الله احمد بن حنبل واقرء عليه مني السلام وقل له انك ستمتحن وتدعى للقول بخلق القرآن فلا تجبهم فسيرفع الله لك علما الى يوم القيامة - قال الربيع فقلت البشارة فخلع قميصه الذي يلي جلده ودفعه الي واخذت جواب الكتاب وخرجت الى مصر فسلمت الكتاب للشافعي فقال يا ربيع ايش الذي دفع اليك قلت القميص الذي يلي جلده فقال لا نفجعك به ولكن بلّه وادفع الي الماء حتى اكون شريكا لك فيه انتهى كلامه ؛ وممن نقله من الائمة الامام فخر الدين الرازي قلت فان قال الحشوي هذا مع دونه حجة على المعتزلة حجة عليكم ايضا اذ هذا مما يؤيد مذهبنا فان الامام احمد منا وارسال النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام مما يدل على انه على الحق المستقيم قلت الجواب من ثلاثة اوجه والله سبحانه العلام الاول انا لاننكر فضل احمد ولا دونه من جملة ائمة السنة السنية ولكن لا نسلم انه على مذهب فرقة الحشوية وسياتي بيان مذهبه الذي كان عليه وبطلان ما نسبه بعض الحشوية اليه * الثاني ان الامام احمد من الفضائل ما يطول ذكره بل يتعذر حصره وقد شهد الخضر عليه السلام بالصديقية له ونحن لا نكفّر احداً من اهل القبلة وان صحت مخالفته لاهل الحق وخلا عن الفضائل ما خلا فرقا قامت على كفرهم قواطع الدلائل اوضحتها في مواضع عديدة لمن هو عنها سائل ؛ الثالث انا نعارض السلام المذكور بما اشتهر واستفاض بين الانام ورواه خلائق من الفقهاء والفقراء والعوام من ارساله عليه

افضل الصلوة والسلام بسلامه الى السيد الفقيه الامام الاشعري المشهور عزالدين بن عبد السلام مع الشيخ الكبير العارف بالله رفيع المقام ابى الحسن الشاذلي الاشعرى ذي المناقب العظام ومما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لابى الحسن الاشعري فى المنام وما سياتي في منامات يطول في ذكرها الكلام *

بيـــان شئ من اقـــوال السلف في ان القـــران كلام اللــه عزوجل غيرمخلوق

روي الامام البيهقي وغيره من الائمة عن جماعة غير الامام سفيان بن عيينـــة قال سمعت عمرو بن دينار يقـــول ادركت مشائخنا والناس منذ سبعين سنـــة يقولون القــرآن غير مخلوق * قال الامام اسحق بن راهويه وهو احد الرواة وقد ادرك عمرو بن دينـــار جلة من اصحـــاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البدريين والمهـاجرين والانصار مثل جابـــر و ابي سعيد و ابن عمر وابن عبـاس و ابن الزبير وجلة التابعين و على هذا صدر هذه الامة ولم يختلفوا في ذلك * و روى الحاكم ابن محمد الطبري عن سفيان بن عيينة قال ادركت مشائخنا من اربعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون القرآن كلام الله وليس بمخلوق * قال بعض الائمة وقد لقى ابن عيينة نحوا من مائتى نفس من التابعين واكثر من ثلثمائة من اتباعهم من اهل الحرمين والكوفة والبصرة والشام ومصر واليمن يعنى من اهل العلم وقال ابوبكر بن ابي شيبة سمعت ابا نعيم الفضل بن دكين يقول ادركت ثلثمائة شيخ كلهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلـــوق * وقال اسماعيل بن ابى اويس سمعت خالي مالك ابن انس وجماعة العلماء بالمدينة ذكروا القرآن فقالوا كلام الله وهو منه وليس من الله شيء مخلـــوق * وقال يحيي بن المغيرة المخزومي ما ادركت من علمائنا الا وهو يقول القرآن كلام الله غير مخلوق.

بيان اول من احدث البـــدعة الشنيعة والمقالة الفضيعة ومال الى الضـــلال والكفـــران في اعتقـــاد خلـــق القـــران

قال ائمة اهل الحق اول من احدث ذلك من الفـــرق عن الحق مرق الجعـــد بن درهم وتبعه شيخ الجهمية الجهم بن صفـــوان وخلفهـــا بشر المريسي ثم اشتهـــر ذلك في زمن الامام احمد بن حنبل وجرى عليه بسببه بلاء عظيم وثبت ثباتا عظيمـــا لاجرم انه سمى بالصديق الثاني ودامت تلك الفتنة في زمن المامون ثم المعتضد الى ان جاء المتوكل فرفعها وامر باظهار السنة واخمال البدعة بلّ الله ثراه بالرحمة * فاما الجعد فقد ذكر بعض العلماء انه لا خلاف بين الائمة انه اول من قال القـــران مخلوق وقتلـــه على ذلك خالد بن عبـــدالله القشيـــري * وقال عبدالرحمن بن ابي حاتم سمعت ابي يقول اول من اتا بخلق القـــرآن جعـــد بن درهم في نيف وعشـــرين ومائة سنة وروى الامام البيهقي بسنـــده الى عبد الرحمن بن ابي حبيب عن ابيه عن جده قال شهدت خالد بن عبد الله القسيـــري وقد خطبهم في اضحى بواسط فقال ارجعوا ايها الناس فضحّوا يتقبل الله منكم فاني مضحي بالجعـــد بن درهم فانه زعم ان الله لم يتخـــذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليمـــا تعالى الله عمـــا يقول الجعد بن درهم ثم نزل فذبحه رواه البخـــاري في كتاب خلق الاعمال واما جهم فانه كان في سنة ثلاثين ومائة اخذ هذه البدعة من جعد وشهرها فلمـــا سمع اهل العلم بذلك نـــاظروه وقالوا تكلم بالكفـــر وقتل بذلك رجلين عرب سفك الدم وحمة قالوا وكان زنديقاً جاهلا لايعبد الله وانما يعبد

الهوى وترك الصلـــوة اربعين يوماً شكّا في خالقه من هو * قال البخاري في كتاب افعال العباد قال سمرة عن ابن شودب ترك جهم الصلوة اربعين يوما خاصمه بعض السمنية فشك فاقام اربعين يوما لايصلي * وقال عبدالعـزيز ابن سلمة سئل جهم عمن طلق امرأته قبل ان يـــدخل بها فقال عليه العدة فخالف كتاب الله لجهله وقال عبـد الحميد جهم كافر بالله العظيم - ثم روى بسنده عن ابن نعيم البلخي قال كان رجل من اهل مرو صـــديقا لجهم ثم قطعه وجفاه فقيل له لم حقرته فقال جاء منه مالا يحتمل قرأت يوما آية كذا و كذ فقـــال ما كان اظرف محمـــدا فاحتملتها ثم قرا سورة طه فقال قال [الرحمن على العرش استوى] قال اما والله لو وجدت سبيلا الى حكّها لحككتها من المصاحف فاحتملتهـا ثم قرأ سورة القصص فلما انتهى الى ذكر موسى عليه السلام قال ما هذا ذكر قصته في موضع فلم يتمّها ثم ذكرها - هنا فلم يتمها ثم رمى بالمصحف من حجره فوثبت عليه وقال الامام احمـــد بن حنبل رضي الله عنه فيمـــا رواه عنه الامـــام البيهقي بسنده الصحيح جاءت امـــراة الى جهم فقالت تؤمن بالله واليوم الآخـــر قال نعم قالت ومن اين تعـــرفه قال اعرفه ليس كمثله شيء فقالت اقرأ ما بعـــدها يكون ليس كمثلـــه شيء وهو السميع البصيـــر فسك في دينـــه اربعين يوماً * وقال الامام احمـــد قال لي علي بن عاصم قـــال لي محمد بن سوقة مرّ بنـــا اليه فقال له محمد لم تصلّ منذ اربعين يوماً قال نعم فذهب محمد الى الري حتى اخذ جهمـــا فضرب عنقه وصلبه * وقال الشهـــرستاني كان السلف كلهم من اشد الـــرادين عليه ويعتقد ان نعيم الجنة وعذاب النـــار تفنى - قال البخـــاري قال علي بن الحسين سمعت ابن مصعب يقول كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله في قولهم ان نعيم الجنة تفنى قال الله تعالى [ان هذا لرزقنا ماله من نفاد] ومن قال انها تنفد فقد كفر

وقال الله تعالى [أكلهـا دائم وظلهـا] فمن قال انها لاتدوم فقد كفـر وقال تعالى [لامقطوعة ولا ممنوعة] فمن قال انها تنقطع فقد كفـر وقال تعالى [عطاء غير مجذوذ] فمن قال ينقطع فقد كفر وروى عبدالرحمن ابي حاتم بسنده الى سعيد صاحب ابى اسحق الفـزاري انه قال انما خرج جهم سنة ثلاثين ومائة فقال القـرآن مخلوق فلما بلغ العلمـاء ذلك تعاظمهم فاجمعوا على انه تكلم بالكفر وحمل الناس ذلك عنهم * واما بشر المريسي فكان والده صباغا يهوديا وكفّره اهل زمانه فمن بعدهم سفيـان بن عيينة وعبدالله ابن المبـارك ويحيي بن سعيـد وعبدالرحمن بن مهـدي ويزيد ابن هارون وعبدالـرزاق والمـاجشون والقعنبي وغيرهم * وقال البخـاري قال وكيع الجهمية كفار المريسي جهمي على المـريسي لعنـة الله يهودي او نصراني كان ابوه او جده يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه - قال وقال يزيد بن هارون لقد حرضت اهل بغداد على قتله جهدي - قال وحدثني بو جعفر قال حدثنـا احمد بن خالد قال سمعت يزيد بن هارون ذكر ابابكر الاصم والمريسي فقال هما والله زنديقـان كافران بالرحمن حلال الدم وكان بشر يستخفى ببدعته في زمن هارون الرشيـد و بلغه ذلك عنه فقال لئن ظفرني الله به لاقتلنه ثم لما توفي الرشيـد ظهرت هـذه البدعة وارتفع ظهورها مدة ثم خمدها الله تعالى و ظهر امر الله وهم كارهون *

بيـان من كفر اهل هذه المقالة من العلماء

قال الامام الفقيه في الاسماء اخبرنا الحاكم قال سمعت ابا زكريا يحيى بن محمد العنبري قال سمعت عمران بن موسى الجرجاني قال سمعت سويد بن سعيد يقول سمعت مالك بن انس وحماد بن يزيد وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض وشريك بن عبد الله ويحيى بن سليم ومسلم

ابن خالد و هشام بن سليمان المخزومي وجرير بن عبدالحميد وعلي بن مسهر وعبدة بن سليمان وعبدالله بن ادريس وحفص بن عياث ووكيع ابن الجراح ومحمد بن فضيل وعبدالرحمن سليمان وعبدالعزيز بن ابي حازم والدراوردي واسمعيل بن جعفر وحاتم بن اسمعيل وعبد الله بن يزيد المقري وجميع من حملت عنهم العلم يقولون القرآن كلام الله من صفات ذاته غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فقد كفر بالله العظيم وافضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوبكر وعمر وعثمان وعلي قال عمران وبذلك اقول وبه ادين الله عزوجل وما رأيت محمديا قط الا وهو يقوله وقال البخاري و قال سفيان بن عيينة والحجاج بن محمد ويزيد بن هارون وهاشم بن القاسم والربيع بن نافع ومحمد بن يوسف وعاصم بن علي ويحيى بن يحيى واهل العلم من قال القرآن مخلوق فهو كافر * وقال موسى بن ابراهيم الوراق اخبرنا عبدالله بن المبارك قال سمعت الناس منذ تسعة واربعين عاماً يقولون من قال القرآن مخلوق فامرأته طالق ثلاثا بَتَّةً - قلت و لِمَ ذلك قال لان امراته مسلمة ومسلمة لا تكون تحت كافر * وروى ذلك ايضاً مع موسى بن هارون بعض الائمة وقال قد لقى عبد الله يعني المبارك جماعة من التابعين قال ولعله يروي عن الف شيخ من اتباع التابعين وليس في الاسلام في وقته اكبر رجلة منه وهو اكثر طلبا للعلم واجمعهم له واجودهم معرفة واحسنهم سيرة وارضاهم طريقة * وروى عن غير واحد من الائمة باسانيدهم ان رجلا اتى الى الامام مالك بن انس رضى الله عنه فقال يا ابا عبدالله ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق قال كافر زنديق فاقتلوه * قال الراوي لقيت الليث بن سعيد فسالته عن ذلك فقال كافر فسألت ابن لهيعة فقال كافر فأتيت مكة فسألت سفيان بن عيينة فقال كافر ثم قدمت الكوفة فسالت ابابكر بن عياش فقال

كافر من لم يقل انه كافر فهو كافر وسألت عبد الله بن ادريس و ابا اسامة وعقدة
ابن سليمن ويحيى بن زكريا ووكيع بن الجراح فقالوا كافر فلقيت ابن
المبارك وابا اسحق الفزاري والوليد بن مسلم فقالوا كافر وقال عبدالرحمن
بن ابى حاتم حدثنا محمد بن احمد بن عمر ابن علي قال سمعت ابي
يقول مارأيت مجلساً يجتمع فيه المشائخ انبل من مشائخ اجتمعوا
في مسجد جامع الكوفة في وقت الامتحان فقرئ عليهم الكتاب الذي
المحنة * فقال ابو نعيم ادركت ثمانمائة شيخ ونيفاً وسبعين شيخاً فما
رأيت خلقاً يقول بهذه المقالة ولايكلم بهذه المقالة احد إلا رمى بالزندقة فقام
احمد بن يونس فقبل راسه و قال جزاك الله عن الاسلام خيرا وقال وكيع
ومن زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم ان شيئاً من الله مخلوق *
وروى البخاري بسنده عن عبدالله بن ادريس انه جاء رجل فقال
يا ابا محمد ما تقول في قوم يقولون القران مخلوق قال أمن اليهود قال لا
قال فمن النصارى قال لا قال فمن المجوسي ، ن لا قال فمن اهل التوحيد
قال ليس هولاء من اهل التوحيد هولاء الزنادقة * وقال البخاري حلف
يزيد بن هرون بالله الذي لا إله الا هو من قال ان القرآن مخلوق فهو زنديق
ويستتاب فان تاب والا قتل * وقال السفيان الثوري من قال مخلوق فهو كافر
وقال بعض علماء السلف ما الذين قالوا ان لله ولدا اكفر من الذين قالوا
ان الله لايتكلم * و قال وكيع من قال ان القرآن مخلوق فهو كافر بما انزل الله
على محمد يستتاب فان تاب وإلاضربت عنقه وقال ابو عبيد القسم بن سلام
وقد سئل عن قول المريسي ان الله لا يتكلم فقال ليس في الكفر شيء الا
وهو دونه وهذا بعض كلام له غلّظ فيه تغليظاً شديداً وكذلك البخاري قال
نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رايت قوماً اضل في كفرهم
منهم يعني من اصحاب هذه المقالة قال واني لاستجهل من لا يكفرهم

وقال قال عبدالرحمن بن مهــدي لو ان رجلا على الجسر وبيدي سيف يقول القــرآن مخلوق لضربت عنقه * وقال يحيى بن سراج كنا عند ابن عنيية فقال الناس قد قدم بشر المريسي قال ما يقول قالوا يقول القرآن مخلوق قال جئوني بشاهدين حتى آمر الوالي بضرب عنقه وقال عبدالله بن نافع قلت لمالك ان قوما بالعراق يقولون ان القرآن مخلوق فنتــريده من يـــدي - فلم يكلمني الظهر ولا العصر ولا المغرب فاما كان عشاء الآخرة قال لي يا عبدالله من اين لك هـــذا الكلام القيت في قلبي شيئـــاً هو الكفر صاحب هذاالمقال يقتل ولا يستتاب وفي رواية يحبس حتى يعلم منه - وفى رواية يقتــل او يحبس او ينفي وقال القـــاضي عيـــاض قال ابن القسم من زعم ان الله لم يكلم موسى فيستتـــاب فان تاب والا قتل * قال البيهقي اخبرنا الحاكم بسنده الى ابي يوسف قال كلمت ابا حنيفة في ان القرآن مخـلوق ام لا فاتفق رايه ورائي على ان من قال القـــرآن مخلوق فهو كافر * قال الحـــاكم رواية كلهم ثقــات * وقال ابن المبارك ذكر جهم في مجلس ابي حنيفة - فقال مايقـــول قالــوا يقول القرآن مخلوق قال [كبـــرت كلمـــة تخـــرج من افواههم ان يقولوا الا كـــذبا] * وعن ابي يوسف انه من قال القـــرآن مخلوق حـــرام كلامه و فرض منابذته * وروى الحسن بن حماد عن محمد بن الحسن انه سئـــل هل القـــرآن مخلوق فقال القـــرآن كلام الله وليس من الله شيء مخلوق قال الحسن وهو الحق عنـــدنا * وروى البيهقي عن الامام احمد انه قال واما من قال ذلك القول فلا يصلي خلفه الجمعة ولا غيـــرها الا انا لاندع اتيانها فان صلى رجل اعاد الصلوة * وقال البخاري ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي ام صليت خلف اليهودي والنصراني * وقال الشيخ ابوالحسن الاشعري فى خطبة كتــاب الابانة وقد ذكر المعتـــزلة والقدرية قالوا بخلق

القرآن نظيراً لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا [إن هذا إلا قول البشر] * فزعموا ان القرآن مخلوق كقول البشر * وروى البيهقي وغيره بالاسناد الى عكرمة قال حمل ابن عباس جنازة فلما وضع الميت في قبره قال رجل اللهم رب القرآن اغفرله فقال له ابن عباس لاتقل هذ. منه بدأ واليه يعود - وفي رواية القرآن كلام الله وليس بمربوب وفي رواية البيهقي ثكلتك امك ان القرآن منه ان القرآن منه * وروى البيهقي وغيره عن عبدالله بن احمد بن حنبل بسنده الى جعفر بن محمد عن ابيه رضوان الله عليهما قال سئل علي بن الحسين رضوان الله عليهما عن القرآن فقال ليس بخالق ولا مخلوق و هو كلام الله وبسنده الى الزهري قال سألت على بن الحسين عن القرآن فقال كتاب الله وكلامه * وروى البخاري انه سئل جعفر بن محمد عن القرآن فقال ليس بخالق ولا مخلوق * وروى البيهقي بسنده الصحيح الى قيس بن الربيع قال سألت جعفر بن محمد عن القرآن فقال كلام الله فقلت مخلوق قال لا قلت ماتقول في من زعم انه مخلوق قال يقتل ولا يستتاب - ورواية غير البيهقي عنه لو كان خالقاً لعبد ولو كان مخلوقاً لنفد * وقال يحيى بن سعيد اما تعجب من هؤلاء يقولون [قل هو الله احد] مخلوق وقال ايضاً كيف يصنعون [بقل هو الله احد] وبقوله [اني انا الله لا اله الا انا] وقال عفان من قال قل هوالله احد مخلوق فهو كافر ويلزمهم حيث قالوا انه مخلوق انه يهلك ويفنى وكلمات الله هيّ التامة لا نقص فيها ولا هلاك لها ولا فناء لقوله تعالى حين يفنى الخلق [لمن الملك اليوم] فيجيب تعالى نفسه [لله الواحد القهار] قال يحيى بن سعيد القطان سمعت رجلا سأل ابا الهديل عن القرآن فقال مخلوق فقال له مخلوق يموت او يخلد قال بل يموت قال فمتى يموت القرآن قال اذا مات من يتلوه فهو موته - قال

لقد مات من يتلوه وذهبت الدنيا وتصرمت - فاذا قال الله عزوجل [لمن الملك اليوم] فهل القرآن يموت فقال ما ادري وبهت * وقال بعض ائمتنا كيف يمكن ان يقول الشجرة لموسى عليه السلام [انا ربك إنني انا الله لا إله إلا أنا فاعبدني] تحقيق * قال امام الحرمين ظن من لم يحصل انهم وصفوا الرب سبحانه وتعالى بكونه متكلما وزعموا ان كلامه مخلوق وليس هذا مذهبهم بل حقيقة معتقدهم ان الكلام فعل من افعال العباد تعالى كخلقه للجواهر واعراضها فلا يرجع الى حقيقة وجوده حكم من احكام الكلام فمحصول أصلهم انهم قالوا ليس لله تعالى كلام وليس قائلا - ولا آمراً ولا ناهياً وانما يخلق اصواتاً في جسم دال على ارادته - وقال ايضاً اجماع الامة على ان الرب عزوجل خص موسى وغيره من المصطفين من الانس والملائكة بان اسمعهم كلامه العزيز من غير واسطة * فلوكان السامع للقرأة القاري مدركا لنفس كلام الله من غير تبليغ مبلغ لما كان موسى مخصصاً بالتكلم * وقال غيره من ائمتنا نفيهم الكلام عن الله قد ردوا به ألوفاً من آيات الكتاب العزيز كلها نص في رد قولهم ولا يخفى على ذي بصيرة ان آيات القرآن نصوص من اثبات الكلام والقول كذلك الفاظ السنة * واما تفسيرهم له بانه يكون متكلماً بكلام لايقوم بذاته بل بجماد - ولا يسمي ذلك الجماد متكلما فانه مخالف للمعقول والمفهوم من اللغة العربية ان كل من اتصف بوصف فانه يقوم به ولا يقوم بغيره ولايقال متكلم عالم كاتب فيمن قام ذلك بغيره ويلزم بذلك اشياء شنيعة وامور فضيعة ذكرها الشيخ ابوالحسن والمحققون من اتباعه فقالوا قال الله تعالى [وكلم الله موسى تكليما] ولا يجوز ان يكون كلام المتكلم قائما بغيره ثم يكون هو متكلما به دون ذلك الغير كما لا يجوز ذلك في السمع والبصر والعلم وقال الله تعالى [ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب

او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء] فلو كان كلام الله مخلوقاً في شيٍ مخلوق لم يكن لاشتراط هذه الامور معنى ولايستوى جميع الخلق في سماعه وهذا يوجب اسقاط رتبة النبيين صلوات الله وسلامه عليهم * ويلزمهم اذا زعموا ان كلام الله لموسى عليه السلام خلقه في شجرة ان يكون من سمع كلام الله من ملك او نبي افضل في سماع الكلام من موسى لانهم سمعوه من مصطفى ولم يسمعه موسى بزعمهم الا من شجرة ويلزمهم على هذا ان يقولوا سماع اليهود كلام الله من موسى افضل من سماع موسى من ذلك الشجرة و لو كان مخلوقا في شجرة لم يكن الله مكلما موسى من وراء حجاب ولكانت الشجرة متكلمة بذلك قائلة [انني انا الله لااله الا انا فاعبدني] قلت وها أنا اوضح لك وأبيّن تقريره واقيم البرهان القطعي انه عليه السلام سمع الكلام من الله تعالى لا من الشجرة * فاقول قد خبر الله عزوجل في الاية المذكورة ان تكليمه منقسم ثلثة اقسام وهي الهام واسماع بواسطة او مشافهة واثنان منها عامان لخواص من الملك والبشر والثالث خاص بمخصوصين من الخواص المذكورين وهو الكلام من وراء حجاب شفاهاً وهو اشرفها وافضلها وغير هذا القسم الثالث لم يكن تكليم موسى عليه السلام اجماعاً اذ لا مزية فيه حتى يخصص بتسمية الكليم بل هو مشترك بين خواص القبيلتين فلزم ان يكون تكليمه بالثالث وهو المشافهة - وسماع الكلام من الشجرة ليس بمشافهة من غيرها في وضع العربية اتفاقا بل منها وهو راجع الى احد القسمين الاولين وهو الاسماع بواسطة وليس تكليم موسى بالوادي المقدس بواسطة قطعاً بالاجماع فبطل ما قالوه قطعاً وتعين ان من الله كان السماع وقد قالوا الارادة لاتقوم بذات الله ولا في محل آخر قال ائمتنا وهو باطل ببديهة العقل ويلزمهم مثله في الكلام وسائر الصفات * وقد استدل خلائق من علماء السلف بقوله

من أولى بما نسبته الى الشيخ ابي الحسن الاشعري واصحابه من الباطل والحماقة والجهل والعمى والتخبط والتمويه والخلود في بحور الهوى كما لم يوافقوا مذهبك في كون القرآن الكريم الذي هو من جملة الصفات مخلوقاً في جسم سمع منه حروف واصوات هي عين كلام الله كما زعمتم تعالى الله عن قولكم من اولى بما ذكرت أهم ائمتنا القائلون كلام الله سبحانه قديم بذاته كسائر صفاته ام ائمتك المعتزلة القائلون بان كلام الله تعالى مخلوق غير قائم بذاته ولا هو من صفاته ولا تكلم به بل هو فعل من جملة أفعاله تكلم به جسم مخلوق خلقت فيه حروف واصوات سمعها موسى عليه السلام من ذلك الجسم ولم يسمعها من الله عز وجل فليس له على اعتقادهم كلام بل جعلوا القرآن كلام الجسم المخلوق لاكلام خالق القائل سبحانه وتعالى [وكلم الله موسى تكليما] ومن هو الذي أنكر ما علم من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ضرورة كما زعمت بلا بصيرة * فائدة ذكر بعض المتأخرين انه حين كان يكتب مخالفة اهل البدع في زعمهم ان كلام الله تعالى حادث نام فرأى الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه قال فقال تشتهي ان ترى منزلي في الجنة بصبري على الحق وقولي القرآن غير مخلوق قال فالتفت فرأيت أبواباً عالية في قصور عالية واستيقظت عند قوله وقولي ان القرآن غير مخلوق * وقال امام الحرمين اجمع المسلمون على ان قوله تعالى لموسى عليه السلام [اخلع نعليك] كلام الله تعالى في دهرنا وموسى غير مخاطب به الان واذا لم يبعد متأخراً لم يبعد متقدماً ثم قال وأما تعلقهم بان فيه خبراً عما مضى وكيف يقول في الازل [انا ارسلنا نوحاً] وفيه أمر ونهي ولم يكن في القدم لامامور ولا منهي - فقد ذهب عبد الله بن مسعود من اصحابنا الى ان الكلام في الازل لايتصف بكونه امراً نهياً خبراً الا عند وجود المخاطبين واستجماعهم

شرائط المامورين * قال امام الحرمين والصحيح ما ارتضاه شيخنا يعني الشيخ ابالحسن الاشعري من ان الكلام في الازل لم يزل متصفا بكونه امراً نهياً خبراً * والمعدوم على اصله مامور بالامر الازلي على تقدير الوجود والامر القديم في نفسه على صفة الاقتضاء ممن سيكون اذا كان انتهى * قال أئمتنا ومذهب جماهير المعتزلة انه ليس لله في وقتنا كلام وان ما وجد من كلام الله تعالى عدم وانقضى قلت وهذا ايضاً على قولهم انه متكلم والا فهو على مقتضي اصلهم غير متكلم بل فعل فعلا في جسم كما مضى و في تنزيه كلام الله عن الحروف والاصوات وسائر سمات المخلوقات واثبات صفات الكمال السبع المشهورات والتوحيد لله واثبات القدر في جميع الكائنات والتنزيه له ونفي التجسيم وسائر الاحداث وسمات المخلوقات ودلالة الصنعة وما تضمنته من الاتقان والحسن والاحسان على توحيد الصانع الآله المنان واتصافه بصفات الكمال المنزهة عن شوائب النقصان وفي تقريع المخالفين النافين لصفات الكمال الاكبر قلت هذه الابيات الخمسة عشر *

تبارك من لا صنعه وصنيعه له شهدا في خلق حسن واحسان

فكل جميل او جمال بجوده وصنعته عن حكمة ذات اتقان

بتوحيده كم أعلنا بشهادة وكم عبد فاضي العقل جاء ببرهان

على كون باري الكون بالقطع قادراً عليماً بلا عجز وجهل ونسيان

له قدرة ماشانها كان عنده كن وعلم به فاضي الحوادث كالداني

مريد ولا فوت قضا كل كائن وحي ولا موت وغير هو الفاني

سميع بصير لا بخارجه فعن صماخ واحداق تعالى واجفان

يرى النملة السوداء ويسمع دبها على الصخرة الصماء وظلما الدجا الداجي

تقدس عن حرف وصوت كلامه وعن كل احداث علي عالي الشان

صفات كمال تلك سبع وعدها نفاها وجلت عن تباه ونقصان

تعداد وصف ليس فيه تعدد لموصوفه بل واحد ماله ثاني
فبالله أنصف ايها الخصم واحد اذا قلت زيد عالم ام هو اثنان
وهل عالم من غير علم وقادر بلا قدرة في الوضع او عقل يقظان
وهل خالق الاصوات في غيره بها تكلم ام ذوالنطق جنبني بتبيان
ومن ملحد في دينه وموحد بنفي واثبات الصفات لرحمان

فان قلت ايها السائل او قالت الحشوية كيف سمع موسى صلى الله عليه وسلم كلام الله عز وجل من غير حرف ولا صوت وسماع كلام بغير هما غير معقول * قلنا ان كان ذلك غير معقول كما زعمتم فكيف كان وجود شيء من غير جسم ولا لون معقولا عندكم وعندهم و رويته من غيرهما عندهم وكونه في غير جهة عندكم * واما عندنا فكل معقول لكن الكيفية مجهولة اذالعقول قاصرة عن الوصول الى حقيقة صفات من ليس كمثله شيء * فالعبارة عن ذلك متعذرة وتعريف المفكر لذلك به لايمكن الا بسماعه إياه وهو ممتنع في بعض صفات الخلق ما لا يمكن العبارة عنه فكيف بصفات الخالق سبحانه * وها نحن نفتتح الكلام معكم في نفيكم الرؤية ومعهم في إثباتهم الجهة فنقول لكم لم كذبتم بالرؤية ونفيتموها ولهم لم قلتم بالجهة وابيتموها وقد قام البرهان على جواز الرؤية في الحال ووقوعها في المال واستحالة الجهة والمكان في حق الكبير المتعال واما جواز الرؤية ووقوعها فها أنا استدل عليه بالادلة العقلية والنقلية * الدليل الاول ان روية جميع الموجودات انما تتعلق بالوجود المشترك بين الكل لا الاحوال المختلفة المختصة المميزة لكل ذات عن غيرها فالمصحح لروية كل ذات وجودها فكل موجود يجوز ان يرى والله تعالى موجود فجاز ان يرى * الدليل الثاني ان الروية نوع كشف وعلم فلا يتوقف على جهة كما لايتوقف العلم على جهة فكما كان تعالى معلوماً وليس في جهة يجوز ان يكون مرئيا كذلك من غير جهة * الدليل الثالث كما لم يمتنع وجوده تعالى

من غير جسم ولا لون ولا جهة لا يمتنع رؤيته كذلك * الدليل الرابع " تعالى يرى الخلق من غير مقابلة ولا جهة فجاز ان يرى كذلك ومن قال ان الله تعالى لا يرى الخلق فقد اعظم الفرية والجراة على الله في هذا المقال ونسب النقص العظيم الى البارى الموصوف بصفات الكمال السميع البصير العليم الخبير الذي قال وقوله الحق المبين [الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين] والذي قال سبحانه وتعالى [انني معكما اسمع وارى] وقال جل جلاله ايضاً في محكم التنزيل حاكيا قول رسوله ابراهيم الخليل على نبينا وعليه افضل الصلوة والسلام لأبيه وموبخاله في عبادته ما لا يسمع ولا يرى [يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً] ولو كان الحق سبحانه لا يرى كما زعم الفئة المعتزلة الضالة المضلة لا صبح برهان ابراهيم زائغاً وحجته داحضة باطلة ولعاد اليه ما عاب به الغير وبكته في توبيخه ولومه - وليس كذلك بل سيد ه بعكس ذلك قول اصدق القائلين [وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه] وغير ذلك من الآيات التى لا تحصر المشهدات لله تعالى بالسمع والبصر فلب العجب كل العجب ممن ينفي صفات الكمال عن الرب تعالى وهو يثبتها للمخلوق حقيراً تراه عنده أكمل من الخالق العلى الكبير فوالله لو لم يرد ما ورد في القرآن الكريم من المدح بمدحه عز وجل بالسميع والبصير لكان العقل يقضي باثبات ذلك ولا يتوقف من جهة السمع على دليل فكيف وقد اجتمعت قواطع العقل والنقل على اثباته مع غيره من كل وصف جميل * فان اعترض جاهل او ذو ضلال وباطل وقال كيف يمدح الحق سبحانه كما ذكرت بما يشاركه فيه الخلق فلت ليس يمدحه جل وعلا بما يشاركه فيه الورى بل بسمعه لجميع المسموعات وابصاره لجميع الكائنات في جميع الارض والسموات يسمع دبيب النمل على ظهر الصخرات وغمر

